الفرق الإسلامية

نشأتها، عقائدها وتفنيدها

الشيخ/ د. فلاح ثاني السعيدي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

من المعلوم لكل أحد أن المسلمين كانوا في عهد رسول الله ﷺ أمة واحدة، وجماعة واحدة، أنقذهم الله بالكتاب المنزل، والنبي المرسل، من الكفر والشرك إلى الإيمان والتوحيد، ومن العمى إلى الهدى، ومن الغي إلى الرشاد، أرشدهم إلى محاسن الأخلاق ومجامع الآداب، وجمعهم بعد فرقة، وألف بين قلوبهم بعد أن كانت مشحونة بالإحن والضغائن.

قال تعالى ممتنا ببعثة رسوله ﷺ على العرب:﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الجمعة:٢).

وقال سبحانه ممتنا عليهم بنعمة الإسلام وأخوة الإيمان:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءً فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنًا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾ (آل عمران:١٠٢- ١٠٣).

وقد أظهر الله تعالى على أيديهم دينه الذي أرسل به رسوله ،وأكمل لهم دينهم الذي ارتضاه لهم وأتم عليهم نعمه ،وما مات رسول الله –صلى الله عليه وسلم–إلا بعد أن تركهم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

وقد كان من أعظم الأصول التي دل عليها كتاب الله وسنة رسوله–صلى اله عليه وسلم– :

١– أن الإسلام دين التوحيد ،فمن حقق التوحيد دخل الجنة،ومن زاغ عنه فقد هلك،وأن أعظم ما ينبغي أن يحرص المسلم عليه هو التوحيد علما وعملا ودعوة .

فهو لب الرسالات جميعا وأصلها التي قامت عليه،قال تعالى{ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت } النحل/ ٣٦ .

وقال الله –عز وجل–{لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره}الأعراف/١٥٩، ومثل هذا قال الرسل من بعده لأقوامهم :هود وصالح وشعيب عليهم السلام.

٢– أن دين الله قد كمل ورسالة النبي–صلى الله عليه وسلم– قد تمت،فماعارض الكتاب والسنة فهو باطل لا ريب، وهو من الأمور المحدثة التي حذرهم منها نبيهم ،ومن البدع والضلالات والأهواء التي أمرهم باجتنابها فهي شر لا خير فيها،وباطل لاحق فيها.

٣– أن أهل الإسلام يجب أن يكونوا أمة واحدة ،وجماعة واحدة ،بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر،مستمسكون بالكتاب والسنة،ومجتمعون على السمع والطاعة لمن ولاه الله أمرهم،ولا نجاة إلا بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم.

٤– أن الصحابة رضوان الله عليهم هم الجماعة في عهد رسول الله–صلى الله عليه وسلم–وهم أفضل الأمة، وأعلمهم بالله وبدينه ورسوله،وهم حلقة الوصل بين الرسول–صلى الله عليه وسلم–وبين الناس من بعده؛ وقد بلغوا ما تحملوه من القرآن والسنة البلاغ التام، وبينوه لمن بعدهم البيان الوافي.

فالخير لمن بعدهم في اتباعهم والإقتداء بهم؛ فقد كانوا أقرب الناس إلى كل خير، وأبعد الناس عن كل شر،وكانوا على الهدى القويم، والصراط والمستقيم،فمن التمس الهدى من غير طريقهم فقد ضل.

٥– وكان مما دل عليه الكتاب والسنة أن أمة محمد–صلى الله عليه وسلم– ستفترق شأنها شأن من سبقها من الأمم فرقا عديدة ،بسبب الأهواء المبتدعة، والآراء المخترعة التي تصير دينا لأصحابها وأربابها وأتباعهم يخالفون من أجلها كتاب الله وسنة رسوله–صلى الله عليه وسلم– ويفارقون جماعة المسلمين، وقد حذرهم الله عز وجل ورسوله–صلى الله عليه وسلم– من الفرقة والإختلاف.

٦- وقد بينت نصوص القرآن العظيم وأحاديث النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم- أن سبيل النجاة من تلك الفرق والسلامة من تلك الأهواء والضلالات يكون بالاعتصام بالكتاب والسنة ولزوم جماعة المسلمين من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

وفيما يلي بيان ذلك على وجه من الإختصار.

سياق ما جاء في الحث على التمسك بالكتاب والسنة

لقد كان العرب قبل الإسلام في جاهلية عمياء في دينها وعاداتها وبعض أخلاقها ،فهداهم الله بهذا الدين وهذا الرسول-صلى الله عليه وسلم-وأنقذهم الله من الضلالة إلى النور ،ومن الشرك إلى عبادة الله وحده،وتمم لهم مكارم الأخلاق،ونهاهم عن مساوئها،وجمعهم بعد شتلت ،وألف بين قلوبهم فأصبحوا إخوانا في دين الله .

صار المسلمون أمة واحدة مجتمعة على الحق والهدى والأخلاق الفاضلة لإيمانهم بالكتاب المنزل الذي يهدي للتي هي أقوم ،واتباعهم للنبي المرسل ، الذي هو قدوة حسنة لهم في العلم والعمل ،فلم يكونوا بعده محتاجين إلى علم في دينهم غير ما جاءهم به ولا إلى عمل غير ما شرعه لهم .

وقد تضمن الكتاب والسنة حث المسلمين على التمسك بهذين الأصلين واتباعهما لأن ذلك سبيل النجاة والسعادة والرفعة والتمكين في الدنيا والآخرة .

١-قال الله تعالى :

{إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا }الإسراء/٩

فالقرآن يهدي للتي هي أقوم في العقائد والمناهج والشرائع والأخلاق والمعاملات .

وقال الله عز وجل :

{واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون }الزمر/٥٥

وقال عز وجل :

{واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا }آل عمران/١٠٣

وحبل الله الذي أمر بالاعتصام به قيل : الإسلام ،وقيل القرآن ،وقيل :الإخلاص لله وحده،وقيل :الجماعة ولا منافاة بين هذه الأمور كلها .

يقول ابن كثير :" أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة ".

وقال الشوكاني :" أمرهم سبحانه بأن يجتمعوا على التمسك بدين الإسلام أو القرآن ،ونهاهم عن الاختلاف في الدين" .

٢- وقد أمر الله عز وجل بطاعته وطاعة رسوله ،وجعله إماما للناس وقدوة لهم وأثنى على من آمن بـــه وتبعه واتبع النور الذي أنزل معه ، ورتب على ذلك الفوز والسعادة والنجاة في الدنيا والآخرة .

قال تعالى :{وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون }آل عمران /١٣

وقال :{قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكـــم مـــا حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين }النور/٥٤

وقال :{لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كـــان يرجـــو الله واليـــوم الآخـــر وذكـــر الله كثيرا}الأحزاب/٢١

وقال :{يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله والرسول إذا دعاكم لما يحييكم } الأنفال/٢٤

وأمر المؤمنين عند الاختلاف والتنازع بالرجوع إلى الله وإلى الرسول -صلى الله عليه وسلم-وأخـــبر أن ذلك خير لهم وأحسن عاقبة {يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكـــم فـــإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخـــر ذلـــك خـــير وأحســـن تأويلا}النساء/٥٩

قال ميمون بن مهران :"الرد إلى الله إلى كتابه ، والرد إلى الرسول إن قبض إلى سنته " .

فطاعة الله وطاعة رسوله سبب للرحمة والهداية والاجتماع والألفـــة، وبلـــوغ الغايـــات المحمـــودة، والأهداف المنشودة ،والقوة والعزة ،والتمكين في الأرض ، والسعادة والفوز في الآخرة .

وجاءت السنة بمثل ذلك من الحظ على التمسك بالقرآن والاهتداء بالسنة .

١-عن زيد بن أرقم قال :قام رسول الله-صلى الله عليه وسلم- يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكـــة والمدينة،فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال :" أما بعد ،ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يـــأتي رسول ربي فأجيب،وأنا تارك فيكم الثقلين ، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنـــور فخـــذوا بكتـــاب الله واستمسكوا به " .

فحث على كتاب الله ورغب فيه ،ثم قال :"وأهل بيتي ،أذكركم الله في أهل بيتي ،أذكركم الله في أهـــل بيتي ،أذكركم الله في أهل بيتي" أخرجه مسلم ٢٤٠٨

وفي رواية:

"كتاب الله فيه الهدى والنور من استمسك به وأخذ به كان على الهدى ومن أخطأه ضل"

٢–عن العرباض بن سارية –رضي الله عنه– قال :"صلى بنا رسول الله–صلى الله عليـــه وســـلم–ذات يوم،ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة،ذرفت منها العيون،ووجلت منها القلوب،فقال رجل:يـــا رسول الله،كأنها موعظة مودع فأوصنا: فقال :أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة،وإن كـــان عبـــدا حبشيا،فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا ،فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهـــديين من بعدي ،تمسكوا بها وعضـــوا عليها بالنواجذ،وإياكم ومحدثات الأمور،فإن كل محدثة بدعة ،وكـــل بدعة ضلالة" أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه

٣–وعن أبي هريرة –رضي الله عنه–قال :قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:"تركت فيكـــم شيئين لن تضلوا بعدهما،كتاب الله وسنتي،ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض" أخرجه الحاكم

ففي هذه الأحاديث بين النبي –صلى الله عليه وسلم– أن أمته ستختلف من بعده اختلافا كثيرا شـــأن الأمم قبلها ،وأن العصمة من هذا الاختلاف والوقاية من شرور تلك الفرقة تكون بالأخذ بكتـــاب الله والتمسك بالهدي الذي كان عليه النبي–صلى الله عليه وسلم– والخلفاء الراشدين المهديين من بعده .

سياق ما جاء في الحث على الجماعة وذم التفرق والتحذير منه

يريد الله من البشر عامة أن يدخلوا في دين الله جميعا ،ليقوموا بحق العبودية لله تعالى بأن يعبدوه وحده مخلصين له الدين مستسلمين له ولشرعه وأن يكونوا أمة واحدة وأخوة في دين الله تعالى تربطهم وثائق الإيمان فتقوم الجماعة المسلمة على المحبة والألفة والتعاون والتناصر للقيام بحق الله ونصرة دينه والتعاون فيما بينهم فيما يكون فيه خير لهم في دينهم ودنياهم ، فلا سبيل للفرقة على أهل الإيمان الذين استقاموا على كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم .

١-قال الله تعالى :{إنما المؤمنون أخوة } الحجرات/ ١٠

وهذه الأخوة الإيمانية أقوى من أخوة النسب، فهي في الله ولله وبها يجد المؤمن حلاوة الإيمان.

قال صلى الله عليه وسلم : "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " أخرجه البخاري

فالإيمان بالله يقتضي أن يكون أهله إخوانا متحابين متعاونين، قال صلى الله عليه وسلم : "أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله ،والحب في الله والبغض في الله "

وقال : "ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لايحبه إلا لله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار" متفق عليه

٢- وقال الله عز وجل :{والمؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض} التوبة / ٧١

فأهل الإيمان الحق الجديرون بهذا الوصف أهل اجتماع وائتلاف لا افتراق واختلاف .فإذا ما حصل بينهم فرقة واختلاف فهذا دليل على نقص في الإيمان وخلل فيه عند أولئك المختلفين أو عند أحد الجانبين.

٣- وقال الله عز وجل :{واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون} آل عمران/١٠٣

يقول ابن جرير:"يريد الله تعالى ذكره : وتمسكوا بدين الله الذي أمركم به وعهده الذي عهد إليكم في كتابه إليكم من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله " جامع البيان عن تأويل القرآن ٤/ ٣٢

وقال القرطبي في تفسيره بعد أن ذكر قول ابن مسعود في تأويل حبل الله "بالجماعة" قال:"فإن الله يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة ، فإن الفرقة هلكة والجماعة نجاة .ورحم الله بن المبارك حيث قال :

إن الجماعة حبل الله فاعتصموا ... منه بعروته الوثقى لمن دانا " ا.هـ

وينبغي أن نلاحظ أن الجماعة المأمور بالتزامها والكون معها هي التي تجتمع على الحق ، قولا واعتقادا وعملا .

ومع أن الآيات السابقة الآمرة بالاجتماع والداعية إلى الائتلاف تقتضي النهي عن الفرقة والاختلاف فقد جاءت آيات أخرى صريحة في ذلك .

فمنها آيات ذم الله فيها الأمم السابقة على اختلافها في دينها وفي ذلك تحذير لهذه الأمة أن تسلك مسلكها فتهلك

قال تعالى :

{كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم} البقرة/٢١٣

وقال تعالى ذاما أهل الكتاب على تفرقهم في دينهم بعد وصول العلم إليهم{وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة} البينة/٤

وقال سبحانه {ولقد بوأنا بني إسرائيل مُبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون} يونس/٩٣

وقال تعالى {إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب } آل عمران/١٩

فالعلم يوجب الاتفاق لا الاختلاف لكن هؤلاء اختلفوا بسبب ما وقع في قلوبهم من البغي والحسد فاستنكفوا عن متابعة أهل الحق فعادوهم وخالفوهم .

قال ابن كثير :"أي بغى بعضهم فاختلفوا في الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرهم ،فحمل بعضهم بغض البعض الآخر على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله وإن كان حقا "ا.هـ

وهناك آيات أخرى جاء فيها النهي الصريح لهذه الأمة عن الاختلاف في دينها والتفرق فيه، منها:

-قوله تعالى {واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ...} آل عمران /١٠٣ ، وقد مضى الكلام فيها .

- {ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون .ولا تكونوا كالذين تفرقوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم} آل عمران/ ١٠٤-١٠٥

ينهى الله هذه الأمة أن تكون كالأمم الماضية في تفرقها واختلافها بعد أن جاءهم العلم ،وختم الآية بالوعيد بالعذاب العظيم لمن يقع منه ذلك .

وقال سبحانه {وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون} الأنعام/١٥٣

أخرج الإمام أحمد وغيره عن ابن مسعود قال: خط رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خطا بيده ثم قال :"هذا سبيل الله مستقيما "؛وخط عن يمينه وشماله ثم قال :"هذه السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه "ثم قرأ:{وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله }

وقد روى عن ابن عباس في هذه الآية ونحوها أنه قال :" أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والتفرقة وأخبرهم أنه إنما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله".انظر تفسير ابن كثير

الأدلة من السنة في الحث على الجماعة وذم التفرق والتحذير منه

قد تقدم حديث العرباض بن سارية ،وزيد بن أرقم وفيهما دلالة واضحة على الاجتماع على الكتاب والسنة ونبذ ما خالفهما .

وفي حديث العرباض بيان أن سبب الافتراق الذي سيصيب الأمة إنما يرجع إلى الأهواء والبدع .

ومما جاء عن النبي-صلى الله عليه وسلم- في ذلك:

حديث أبي هريرة عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال:"إن الله يرضى لكم ثلاثا ،أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ،وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ،وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم"

قال النووي في شرحه ١١/١٢ :وأما قوله (ولا تفرقوا): فهو أمر بلزوم جماعة المسلمين وتآلف بعضهم ببعض ،وهذه إحدى قواعد الإسلام .

ومنها حديث أنس أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم- قال:" نضر الله عبدا سمع مقالتي هذه فحملها، فرب حامل الفقه فيه غير فقيه ،ورب حامل الفقه إلى من هو أفقه منه . ثلاث لا يغل عليهن صدر مسلم ،إخلاص العمل لله عز وجل ،ومناصحة أولي الأمر ،ولزوم جماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم "أخرجه أحمد والدارمي وابن حبان.

والأمر بالاعتصام بحبل الله جميعا ولزوم جماعة المسلمين ،والنهي عن التفريق يقتضي أن تكون الجماعة دائما على الحق فلا تجتمع على باطل أو ضلالة،وقد روي ذلك صريحا في عدة أحاديث يقوي بعضها بعضا.

منها عن ابن عمر قال :"ما كان الله ليجمع هذه الأمة على الضلالة أبدا ويد الله على الجماعة."

أخرجه الطبراني وصحح الشيخ ناصر الدين الألباني إسناده كما في ظلال الجنة ٤٠/١

وعن ابن مسعود قال :"عليكم بالجماعة فإن الله لا يجمع أمة محمد-صلى الله عليه وسلم- على ضلالة "أخرجه ابن أبي عاصم ٤١/١-٤٢ وقال محققه إسناده جيد موقوف رجاله رجال الصحيحين .

وفي هذا الباب أحاديث أخرى تتضمن الحث على الاجتماع وإن لم يكن صريحا

منها:حديث أبو موسى الأشعري قال :قال –رسول الله صلى الله عليه وسلم"إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " متفق عليه

وحديث النعمان بن بشير قال: قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم:"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى"

متفق عليه

ولو فارق أحد الجماعة وخرج عن السلطان لكان قد شابه أهل الجاهلية ولو مات على هـــذه الحـــال لمات ميتة جاهلية .

فعن ابن عباس عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال :"من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليـــه فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات إلا مات ميتة جاهلية "أخرجه البخاري في صحيحه

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٧/١٣ :"في هذا الحديث حجة في ترك الخروج على السلطان ولو جار ،وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه،وأن طاعته خير من الخـــروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء وحجتهم هذا الخبر وغيره مما يساعده ،و لم يستثنوا مـــن ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح، فلا تجوز طاعته في ذلك بل تجب مجاهدته لمن قدر عليـــها ومع كل هذا التحذير من الافتراق ،والدعوة المؤكدة للاجتماع والائتلاف فإن الاختلاف وقع،والفرقـــة حصلت، وقدأخبر بها النبي–صلى الله عليه وسلم– قبل وقوعها ودل على سبيل النجاة منها ليأخذ المسلم حذره وقد تقدم حديث العرباض وفيه"فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي ...

ومن أوضحها وأصرحها حديث معاوية رضي الله عنه قال:إن رسول الله –صلى الله عليـــه وســـلم– قال:"إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين ملة –يعني الأهواء– كلها في النار إلا واحـــدة ،وهي الجماعة" وقال :"إنه سيخرخ من أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كمـــا يتجـــارى الكَلَـــب بصاحبه ،فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله".أخرجه أبو داود وابن أبي عاصم،والآجري في الشريعة،وابن بطة في كتاب الإبانة عـــن شريعة الفرقة الناجية ١/ ٣٧١

وفي لفظ آخر :قيل :من هي يا رسول الله ؟ قال:"من كان على مثل ما أنا عليه اليـــوم وأصحـــابي "وفي لفظ "ما أنا عليه اليوم وأصحابي"

وهذه الفرقة الناجية هي التي جاء وصفها بأنها الطائفة المنصورة القائمة بأمر الله .

أهل السنة والجماعة

أهل السنة والجماعة

السـلف ، أهل الحديث

قد علمنا من قبل أن النصوص الشرعية قد دلت على وقوع الافتراق في هذه الأمة كما حصل في الأمم السابقة .ودلت تلك النصوص على أن طائفة من هذه الأمة ستبقى متمسكة بالدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم- عاملة به داعية إليه منافحة عنه أمام تلك الفرق الضالة التي مزقتها الأهواء وفرقتها البدع .

فلما بزغت البدع ،وأظهرت الفتنة رأسها وكانوا في ذلك مخالفين لما كان عليه النبي –صلى الله عليه وسلم- صار أهل الحق يسمون أنفسهم أهل السنة لأنهم تمسكوا بما كان عليه النبي–صلى الله عليه وسلم وما كان عليه أصحابه رضوان الله عليم ،تمييزا لهم عن غيرهم من أهل الأهواء والآراء الضالة التي خالفوا بها السنة الثابتة .

وقد ظهرت هذه التسمية في أواخر عهد الصحابة .

قال محمد بن سيرين وهو من التابعين أدرك نحو ثلاثين صحابيا وتوفي سنة ١١٠هـ قال هذا الإمام :" لم يكونوا يسألون عن الإسناد ،فلما وقعت الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم ،فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ،وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم ".

فهذا اللقب لا يستحقه إلا من حقق المتابعة للنبي –صلى الله عليه وسلم- في العقيدة والعبادة والأخلاق وسائر أمور الدين وسلم من البدع المخالفة لهدي النبي –صلى الله عليه وسلم- صغيرها وكبيرها .

وهذا المعنى للسنة هو المعنى الكامل التام الذي كان يعنيه السلف كما ذكرنا عن محمد بن سيرين .

فالسنة في اللغة : هي الطريقة والسيرة .

فإذا قيل سنة النبي-صلى الله عليه وسلم- فالمراد طريقته وسيرته وهديه في هذا الدين فتشمل الاعتقادات والأعمال والأقوال .

قال الحافظ أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب :"والسنة هي الطريق المسلوك ،فيشمل ذلك التمسك بما كان عليه هو-يعني النبي صلى الله عليه وسلم-وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال وهذه هي السنة الكاملة ، ولهذا كان السلف قديما لا يطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك كله ،وروي معنى ذلك عن الحسن والأوزاعي والفضيل بن عياض ..." جامع العلوم والحكم/ ٢٣٠

وينبغي أن أشير ههنا إلى أن أهل السنة اتبعوا النبي-صلى الله عليه وسلم-في كل شيء جاء بـــه ومـــن ذلك تميزهم بالأوصاف التي أثنى على أهلها فاتخذوها أسماء لهم فتسميتهم بأهل السنة يرجع إلى قوله صلى الله عليه وسلم :"عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها ..."أخرجه الترمذي وغيره وقوله:"فمن رغب عن سنتي فليس مني "

ومثل ذلك تسميتهم بالفرقة الناجية ،والجماعة ،والطائفة المنصورة، وغير ذلك من الأوصاف والألقـاب التي صاروا يعرفون بها .

وبعد أن عرفت معنى السنة عند الإطلاق ،وهو ما كان عليه النبي-صلى الله عليه وســـلم وخلفـــاؤه الراشدون من الاعتقادات والأعمال والأقوال ويؤيد هذا المعنى الحديثان السابقان ، ننبه إلى أن "الســـنة " و"أهل السنة" صار لها استعمالان ،ويطلقان على وجهين :

الأول: يطلق أهل السنة على من يقابل الرافضة المنكرين لخلافة الخلفاء الثلاثة ،فكل من أثبت خلافـــة أبي بكر و عمر وعثمان يقال له من أهل السنة ،فيدخل في هذا الإطلاق جميع الطوائف إلا الرافضة . ولذا صار معلوما عند العوام المراد بالسنة والشيعة (الرافضة).

الثاني :يطلق هذا اللقب على المتمسكين بسنة النبي-صلى الله عليه وسلم – المهتدين بهديه الآخذين بمـــا جاء به ، وهذا الإطلاق يكون في مقابل أهل البدع والأهواء .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان هذين الإطلاقين:"فلفظ"أهل السنة" يراد به من أثبت خلافة الخلفـاء الثلاث فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة .وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة ،فلا يدخـــل فيه إلا من أثبت الصفات لله تعالى ويقول إن القرآن غير مخلوق،وإن الله يرى في الآخرة وأثبـــت القـــدر وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة" ا.هـ منهاج السنة٢/٢٢١

ولما كثرت البدع في مسائل الاعتقاد وتنوعت الأهواء في هذا الجانب نشط أهل السنة في تدوين مسائل الاعتقاد والرد على أهل البدع والضلالات وصاروا يسمون مؤلفاتهم المتضمنة لمسائل الاعتقاد بالسنة مثل :السنة للخلال ،والسنة

فصاروا يطلقون السنة إطلاقا خاصا على مسائل العقيدة .

قال الحافظ ابن رجب بعد كلامه السابق :"...وكثير من العلماء المتأخرين يخص اسم السنة بما يتعلـــق بالاعتقاد ،إلا أنها أصل الدين ا لمخالف فيها على خطر عظيم"ص٢٣٠

الجماعة

يقال أهل السنة و الجماعة ،ويقال الجماعة .

وقد ورد هذا الصف في عدة أحاديث توجب لزوم الجماعة

منها

١-حديث عمر رضي الله عنه ،أنه خطب بالجابية فقال:قام فينا رسول الله-صلى الله عليه وسلم- مقامي فيكم فقال:"استوصوا بأصحابي خيرا ،ثم الذين يلوهم ،ثم الذين يلوهم ،ثم يفشو الكذب حتى أن الرجل ليبتديء بالشهادة قبل أن يسألها فمن أراد بحبحة الجنة فليلزم الجماعة ،فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد .. أخرجه أحمد والترمذي وابن أبي عاصم والحاكم

٢-عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي -صلى الله عليه وسلم-قال:"من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر فإن من فارق الجماعة شبرا فمات إلا مات ميتة جاهلية "

٣-عن معاوية رضي الله عنه قال :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة ،وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين :ثنتان في النار وواحدة في الجنة ،وهي الجماعة" أخرجه أبو داود في سننه

وقد اختلف العلماء في المقصود بالجماعة على أقوال ذكرها أهل العلم في مصنفاهم منهم :أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي ت.٧٩٠هـ في كتابه الحافل:الاعتصام .

وهذه الأقوال هي:

١-السواد الأعظم من أهل الإسلام .

٢-جماعة العلماء المجتهدين .

٣-الصحابة على الخصوص .فهم الذين أقاموا الدين وأرسوا أوتاده .

٤-هم جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر .

٥-جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير .

٦-جماعة الحق وأهله ،كما قال البربهاري في شرح السنة ص٢٢

وعند التحقيق فإن هذه الأقوال لا تعارض بينها :

فإن الجماعة الموعودة بالجنة والنجاة من النار هم الذين سلموا من البدع والأهواء ،فاجتمعوا على الحق وعملوا به ودعوا إليه وأولى الناس بهذا الوصف هم الصحابة رضوان الله عليهم بل هم الجماعة الأولى

التي كانت على الحق المحض على الكتاب والسنة ، لم تدخلها الأهواء و لم تفرقها الآراء ،بل تمسكوا بالسنة وعملوا بها ودعوا إليها ،والآيات في بيان فضل الصحابة وعلو مكانتهم كثيرة في كتاب الله تعالى،والأحاديث المنوه بشرفهم ومترلتهم العالية مبثوثة في دواوين السنة في الصحيحين وغيرهما .
وآثار السلف ذلك لا تكاد تحصى .

- قال عبد الله بن مسعود :أن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد ،فاصطفاه لنفسه ،فابتعثه برسالته ،ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد-صلى الله عليه وسلم- فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد ،فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه ،فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ،وما رأوه سيئا فهو عند الله سيىء"أخرجه الإمام أحمد ٣٧٩/١
- وقال أيضا:"من كان مستنا فليستن بمن قد مات،فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة ،أولئك أصحاب محمد كانوا والله أفضل هذه الأمة ،وأبرها قلوبا،وأعمقها علما ،وأقلها تكلفا ،قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم ،وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم ،فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"أخرجه ابن بطة كما في منهاج السنة لابن تيمية ١٦٦/١

فهذا كلام جامع من ابن مسعود في وصف أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم- بين فيه حسن تعبدهم وصدق نياتهم ورغبتهم في الخير وحرصهم عليه،وبين فيه كمال معرفتهم ودقة علمهم بالله وبدينه ،وسهولة ذلك عليهم وتيسيره لهم وبذا امتنعوا من القول على الله وفي دينه بلا علم ،فلزموا اتباع الكتاب والسنة وسلموا من تكلف ما وراء ذلك .

قال ابراهيم النخعي :"لوأن أصحاب محمد-صلى الله عليه وسلم- مسحوا على ظفر لما غسلته التماس الفضل في اتباعهم "أخرجه ابن بطة في الإبانة ٣٦١/١

وفي لفظ آخر:"لو بلغني أنهم لم يجاوزوا بالوضوء ظفرا لما جاوزته وكفى بنا على القوم إزراء أن نخالف أعمالهم "

فأقوال الناس وآرائهم واعتقاداتهم وأخلاقهم وسائر أمور دينهم توزن بما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم، فما وافقهم كان حقا وما خالفهم كان باطلا مردود على صاحبه كائنا من كان .

يوضح ذلك أن في بعض طرق حديث الفرق وصف الفرقة الناجية بأنها ما كان عليه النبي-صلى الله عليه وسلم-وأصحابه.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ،قال :قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم:"ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة ،كلها في النار إلا واحدة ،ما أنا عليه اليوم وأصحابي"أخرجه الترمذي والمروزي في السنة وابن بطة في الإبانة واللفظ له ٣٦٨/١-٣٦٩

وكل من تبع الصحابة وتمسك بالحق الذي كانوا عليه واقتدى بهم فهو من الجماعة لأنه وافقهم في الحق الذي كانوا عليه .

وقد كان أهل الحق والمتمسكون بالسنة هم السواد الأعظم من الأمة في القرون الثلاثة المفضلة وهم الذين كانوا يلزمون جماعة المسلمين وإمامهم خلافا لأهل البدع المخالفين لأهل الحق وهم الجماعة ، الخارجين عن طاعة إمام المسلمين .

ولا ريب أن الجماعة الأولى وهم الصحابة رضوان الله عليهم هم أهل العلم والإيمان .

وأهل الحق ممن بعدهم هم أهل العلم ،العلماء بالكتاب والسنة والمتمسكون بما كانت عليه الجماعة الأولى(الصحابة)

وهكذا ترى بعد الفحص لتلك الأقوال أنها متفقة لا مختلفة ،ومحل اتفاقها هو أن الجماعة الممدوحة المحمودة هم أهل الحق وذلك لأن الجماعة لغة :هم القوم المجتمعون على أمرما .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :"الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة ،وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسما لنفس القوم المجتمعين"مجموع الفتاوى١٥٧/٣

لا ريب أن ليس كل اجتماع محمود ،ولا كل جماعة محمودة وإنما الجماعة المحمودة هي التي يكون اجتماعها على الحق ،وهذا هو الاجتماع المحمود ولهذا كانت الأمة لا تجتمع على ضلالة ،وصار الإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين .

والجماعة المذكورة في الأحاديث هم أهل السنة لأن السنة هي الحق وما عداها أهواء وضلالات .

وتأسيسا على ما تقدم تكون الجماعة في الاصطلاح الشرعي: هم الصحابة والتابعون لهم بإحسان ومن اقتدى بهم وسلك سبيلهم من أئمة الهدى وأهل العلم الذين تمسكوا بالسنة واجتمعوا على الحق وعلى ولاة أمورهم ، ومن تبعهم على هذا المنهج من المؤمنين في أي زمان وفي وأي مكان.

فليس للجماعة وقت توجد به ولا مكان تقصد فيه .

فالصحابة رضوان الله عليهم في عهد الرسول–صلى الله عليه وسلم– هم الجماعة وهم الجماعة الأولى الذين نصر الله بهم رسوله وأظهر على أيديهم دينه وهم القدوة بعد رسول الله–صلى الله عليه وسلم–

لكل من جاء بعدهم ،فمن وافقهم وسلك سبيلهم ، واقتدى بآثارهم فقد اهتدى ، وهو من الجماعة ومن أهل السنة ، ومن خالفهم وشذ عنهم وسلك غير مناهجهم فليس من الجماعة ولا هو من أهل السنة .

فمن اقتدى بالصحابة وسلك سبيلهم فقد التزم بالجماعة وتمسك بالسنة وسلم من البدع والضلالات والأهواء ،وكان من الناجين بإذن الله .

فكل جماعة على الحق هي امتداد للصحابة ،وهم الجماعة في وقتهم وفي زمنهم .

قال ابن مسعود "إنما الجماعة ما وافق ما طاعة الله وإن كنت وحدك "أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/١٠٨-١٠٩

وهذا يعني أن العبرة ليست بالكثرة وإنما في إصابة الحق والاتباع وموافقة السنة،فلم تكن الكثرة مقياسا للحق ولا دليلا عليه في يوم من الأيام وهذا فهم أئمة السلف المراد بالجماعة .

فقد سئل عبد الله بن المبارك (ت١٨١هـ) عن الجماعة فقال أبو بكر وعمر ،فقيل له :قد مات أبو بكر وعمر ،قال :فلان ،وفلان ،قيل :قد مات فلان وفلان،قال ابن المبارك:أبو حمزة السكري جماعة "شرح السنة للبغوي ١/٢١٦

فقد اعتبر الإمام ابن المبارك أبو حمزة السكري جماعة ،وما ذلك إلا لأنه رجل صالح متمسك بالسنة عامل بها داع إليها .

وأبو حمزة السكري هو محمد بن ميمون المروذي مات سنة (١٨٧)أو (١٨٨)هـ

ونحو هذا ما كان يقول الإمام إسحاق بن إبراهيم بن راهويه في حديث "إن الله لا يجمع أمة محمد-صلى الله عليه وسلم-على ضلالة ،فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم "

فقال رجل :يا أبا يعقوب ، من السواد الأعظم ؟قال :محمد بن أسلم وأصحابه ،ومن تبعه.

ثم قال إسحاق : لم أسمع عالما منذ خمسين سنة كان أشد تمسكا بأثر النبي –صلى الله عليه وسلم- من محمد بن أسلم . سير أعلام النبلاء١٢/١٩٦-١٩٧

محمد بن أسلم الطوسي ت(٢٤٢هـ)

وقال الإمام الترمذي في كتابه السنن(٤/٤٦٧) بعد أن ساق بإسناده حديث:"إن الله لا يجمع أمتي "أوقال"أمة محمد –صلى الله عليه وسلم- على ضلالة ويد الله مع الجماعة ومن شذ شذ في النار"

قال :"وتفسير الجماعة عند أهل العلم هم أهل الفقه والعلم والحديث " ثم ساق بإسناده ما ذكر آنفا عن عبد الله بن المبارك.

وقال الإمام ابن القيم في إغاثة اللهفان (١/٧٠) تعقيبا على الأثر السابق المروي عن إسحاق بن راهويه ؛و لم يسم إسحاق

:"وصدق والله ،فإن العصر إذا كان فيه عارف بالسنة داع إليها فهو الحجة وهو الإجماع وهو السـواد الأعظم وهو سبيل المؤمنين التي من فارقها واتبع سواها ولاه الله ما تـولى وأصـلاه جـهنم وسـاءت مصيرا"ا.هـ

ومن أسماء أهل السنة والجماعة :

٣- الفرقة الناجية:

وهذا اللقب أخذ من الأحاديث التي أخبر فيها النبي -صلى اله عليه وسلم-"أن الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة٠٠٠"

فهذه الفرق كلها ضالة مستحقة للوعيد بالنار والناجية من هذا الوعيد هي فرقة واحدة وهي "الجماعة" كما في حديث معاوية -رضي الله عنه-وفي حديث عبد الله بن عمرو-رضي الله عنه- وغيره "٠٠٠إلا واحدة،ما أنا عليه اليوم وأصحابي"

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله تعالى-"فإذا كان وصف الفرقة الناجية اتباع الصحابة على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-وذلك شعار أهل السنة كانت الفرقة الناجية هم أهل السنة" اهـ،منهاج السنة(٣/٤٥٧)

ومن المقطوع به أن أحق الفرق بالنجاة والوصف بأنها ناجية هم المتمسكون بالسنة التي كان عليها النبي-صلى الله عليه وسلم-والسنة التي كان عليها أصحابه فهم أهل الهداية والرشاد٠

قال تعالى:{وإن تطيعوه تهتدوا} النور/٥٤، وقال عز وجل {قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم} آل عمران/ ٣١ الشافية في "الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة"،"الكافية الإنتصار للفرقة الناجية"

٤- الطائفة المنصورة :

وهذا الوصف أخذ لأهل السنة والجماعة من قول النبي-صلى الله عليه وسلم-"لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة"أخرجه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه واللالكائي من حديث معاوية بن قرة عن أبيه،وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في السلسلة الصحيحة(١/٤٧٩)

والحديث في الصحيحين من حديث المغيرة بن شعبة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-قال:"لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون" خ/١٣/٢٩٣-مع الفتح،م/٣/١٩٢٣

وفي حديث ثوبان-رضي الله عنه- عندمسلم رقم(١٩٢٠):"لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك٠"

وفي حديث جابر-رضي الله عنه-عند مسلم (١٩٢٣):" لاتزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة"

و الطائفة المنصورة هم أهل السنة والجماعة ،ومن أحق بهذا الوصف منهم وهم حملة الدين وحماته على مر العصور وتوالي الدهور ،ينشرون السنن ويقمعون البدع ،ويدعون الناس إلى الهدى،ويحذرونهم

التردي في الهوى،ويقاتلون مع إمام المسلمين من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة،ويسارعون في الجـــهاد في سبيل الله كلما فتح بابه الشرعي.

وقد فسر جماعة من العلماء الطائفة المنصورة بأقوال متقاربة تنطبق على أهل السنة والجماعة:

* قال عبد الله بن المبارك:"هم عندي أصحاب الحديث".

* وقال على بن المديني:"هم أصحاب الحديث".

* وقال الإمام أحمد:"إن لم تكن هذه الطائفةالمنصورة أصحاب الحديث فلا أدري من هم".

*وقال أحمد بن سنان:"هم أهل العلم وأصحاب الحديث".

*وقال الإمام البخاري:"هم أهل العلم".

ولاشك أن أهل العلم هم أهل الحديث وهم أهل السنةوالجماعة،قال القاضي عياض(ت٤٤٥هـ)معقبا على كلام الإمام أحمد:"إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقـــد مذهـــب أهـــل الحديـــث". وانظركلام الحافظ الخطيب البغدادي في كتابه شرف أصحاب الحديث.

٥- *أهل الحديث:*

وأهل السنة هم أهل الحديث ومن سلك سبيلهم واتبعهم على منهاجهم .فأهل الحديث هم أعلم النـــاس بسنة النبي -صلى الله عليه وسلم-رواية ودراية،علما وعملا ودعوة.

*قال الحاكم النيسابوري في معرفة علوم الحديث (30)بعد أن نقل كلام الإمام أحمد:"فلقد أحسن أحمـــد بن حنبل في تفسير هذا الخبر أن الطائفة المنصورة التي يرفع الخذلان عنهم هم أصحاب الحديث،ومن أحق بهذا التأويل من قوم سلكوا محجة الصالحين،واتبعوا آثار الســـلف الماضيين ،ودفعوا أهل البدع والمخالفين لسنة رسول الله-صلى الله عليه وسلم وعلى آله أجمعين"

وانظر أيضا كلام الحافظ ابن حبان في مقدمة صحيحه (راجع الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان(٢ /٢١

ويقال لهم أيضا أهل الأثر ،والأثر بهذا الإطلاق مرادف للحديث.

٦- *السلف أو السلفيون:*

وهذا من ألقاب أهل السنةوالجماعة،والسلف كما في القاموس المحيط :"من تقدمك من آبائك وقرابتك" والسلف في الاصطلاح يدخل فيه الصحابة دخولا أوليا، ومن اقتدى بهم وسلك سبيلهم من التابعـــين وأتباعهم ومن سار على نهجهم من الأئمة العلماء الذين حرصوا على السنة وتمسكوا بها وجانبوا البـــدع والآراء المضلة.

والسلفي نسبة إلى السلف،فيطلق على من سلك طريقتهم وتمسك بمنهجهم وسلم من البدع.

وبعض العلماء يخص السلف بمن كان على الحق والسنة من أهل القرون الثلاثة:"الصحابة ،و التـــابعون، وأتباع التابعين" وبعضهم كالحافظ ابن رجب يدخل طبقة الإمام أحمد ضمن السلف يقول:"وفي زماننـــا يتعين كتابة كلام السلف المقتدى بهم إلى زمن الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد ، وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم..." بيان فضل علم السلف على علم الخلف ،ص٤٣

وقبله قال أبو الحسين الآجري في كتابه الشريعة :"علامة من أراد الله -عز وجل-به خيرا،ســلوك هــذا الطريق: كتاب الله -عزوجل-وسنن الرسول-صلى الله عليه وسلم-وسنن أصحابه -رضي الله عنهـــم- و من تبعهم بإحسان-رحمة الله عليهم-وما كان عليه أئمة المسلمين في كل بلد إلى آخر ما كـــان مـــن العلماء مثل: الأوزاعي،وسفيان الثوري،ومالك بن أنس،والشـــافعي وأحمد بن حنبـــل ، والقاسم بـــن سلام،ومن كان على مثل طريقهم،ومجانبة كل مذهب لا يذهب إليه هؤلاء العلماء" الشريعة/١٤

والسلفية تعني المنهج الذي كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ومن سلـــــك طريقهم وأخذ بسنتهم من الأئمة والعلماء ممن جاء بعدهم مهما تطاول الزمن.

فكل من سلك سبيلهم فهو سلفي ،ومن تقدمهم سلفه، وهويكون سلفا لمن جاء بعده.

وبذلك تدرك أن ليس كل من عاش في القرون المفضلة يكون من السلف وذلك لأن أئمة البدع والضلال كانوا قد نشأوا في هذه الفترة،كالجهم بن صفوان ،والجعد بن درهم،وواصل بن عطاء،وقبلهم الخـــوارج والقدرية ،معبد الجهني وغيلان الدمشقي،وبشر المريسي فلا يدخل في هذا الاسم"السلف"إلامن حقـــق المتابعة للنبي-صلى الله عليه وسلم-وأصحابه رضوان الله عليهم وسلك سبيل التابعين لهم بإحسان وسـلم من البدع والأهواء ،وجانب أهلها وحذر منهم ،وهكذا الشأن في كل عصر وفي كل مصر لايســـتحق هذا الاسم إلا من كان على هذا النهج.

مذهب السلف:

إذا قيل مذهب السلف فالمراد به"ما كان عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم،وأعيان التابعين لهم بإحسان،وأتباعهم،وأئمة الدين فمن شهد له بالإمامة وعرف عظم شأنه في الدين ،وتلقى الناس كلامهم خلفا عن سلف دون من رمي ببدعة،أو شهر بلقب غير مرضي، مثل الخوارج،والروافض، والقدرية ،والمرجئة،والجبرية،والجهمية، والمعتزلة، والكرامية ونحو هؤلاء" اهـ لوامع الأنوارالبهية١/ ٢٠

نشأة التسمية بالسلف،وأسباب نشر مذهبهم:

لما ظهرت البدع وتنازع الناس في مسائل الإيمان والصفات والقدر وصار أصحابها شيعا شتى،وفرقا مختلفة،وكانوا مع ذلك يستدلون لآرائهم الشاذة،ومذاهبهم الباطلة بنصوص من القرآن والسنة يفسرونها تفسيرا خلاف ظاهرها المتبادر إلى الذهن السليم لتوافق تلك الآراء التي اخترعوها،ومع ذلك يدعون أنهم هم أهل الحق، وهم أهل السنة المتمسكين بها،وقد يزعمون أنهم الفرقة الناجية ،والطائفة المنصورة، ويزخرفون تلك المقالات و يموهون على عوام المسلمين بتلك الدعاوى.

لما كان الحال كذلك احتاج أهل السنة حقا إلى إظهار مذهب السلف الصالح الذين هم أهل السنة حقا وعن طريقهم عرف الناس الإسلام والقرآن والسنة ولا سيما الصحابة،والسواد الأعظم من التابعين خاصة المشهود لهم بالفقه والدين ومن تبعهم وسلك سبيلهم من أهل الحديث فإن هؤلاء لا يمتري أحد في صلاحهم وفضلهم وهم بشهادة النبي-صلى الله عليه وسلم-خير القرون،وأهل البدع في زمنهم كانوا نزرا يسيرا،وكانوا مقموعين مدحورين، ولا يجرؤ أحد من أهل البدع على الطعن في السلف ،ومن فعل انكشف أمره للعالم والعامي على حد سواء وحذره الناس .

وأيضا لا يستطيع أحد من أهل البدع على اختلافها أن يزعم أن أحد هؤلاء السلف سبقه إلى تلك المقالة المخترعة التي خرج بها من السنة، وإن زعم ذلك فيطالب بالنقل الموثق فلا يمكنه ذلك .

نعم قد ظهر في عصر التابعين من قال ببعض الآراء المبتدعة ،ولكن أهل السنة والجماعة من الصحابة وأئمة التابعين قد أنكروا عليهم إنكارا شديدا ، فمثل هؤلاء لايتخذ قدوة في الدين وإماما يتبع لمجرد كونه في زمن التابعين .

ولذا كان نشر مذهب السلف وبيان أقوالهم وحفظ آثارهم من الأمور التي كانت محل عناية فائقة من علماء أهل السنة لما تتضمن تلك الآثار من بيان السنة والرد على أهل البدع وتقطع عليهم الطريق في الإنتساب إلى السنة وأهلها .

قال الأوزاعي :"عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس ،وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوا لــــك القول"الآجري في الشريعة ص٥٨

وقال قبله بزمن عبد الله بن مسعود:"اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم"

وقال :"من كان منكم متأسيا فليتأسى بأصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم..."

وقال شيخ الإسلام ابن تيمـــية:"...فمن اتبع السابقين الأولين كان منهم،وهم خير الناس بعد الأنبياء، فإن أمة محمد-صلى الله عليه وسلم- خير أمة أخرجت للناس،وأولئك خير أمة محمد..."

ولهذا كانت معرفة أقوالهم في العلم والدين ، وأعمالهم خيرا وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمـــالهم في جميع علوم الدين وأعماله..فالإقتداء بمن بعدهم ومعرفة إجماعهم ونزاعهم في العلم والدين خير وأنفـــع من معرفة ما يذكر من إجماع غيرهم ونزاعهم ، وذلك أن إجماعهم لا يكـــون إلا معصوما،وإن تنـــازعوا فالحق لا يخرج عنهم فيمكن طلب الحق في بعض أقاويلهم..."مجموع الفتاوى ٢٤/١٣

ويجب على العلماء والدعاة وطلاب العلم أن يظهروا مذهب السلـــف وينتسبوا إليه ،ويبتهجوا بذلـــك وبذلك فليفرحوا فهو خير محض،ولا يكون إلاحقا.

والبدع إنما تنتشر ويتلقاها الناس إذا لم يكونوا على معرفة بمذهب السلف،وأما من عرف مذهب السلـــف فإنه لا يعدل به تلك الآراء المخترعة.

والحق يقال ؛ إن مذهب الأشاعرة إنما انتشر لأنه تدثر بعباءة أهل الســـنة والجماعة ،ولذا فإن الجهات التي يكثر فيها دعاة السلفية وينشط فيها أهل الســـنة حقا في بيان مذهب السلـــف سرعان ما ينكشـــف الأمر للناس فينحسر ذلك المذهب أمام صولة الحق بالشهب السلفية.

وأجدني مضطرا إلى أن أبين ههنا أن مذهب السلف لا يعرف بالدعوى وإنما بالنقل الموثق والفهم المحقق لأقوالهم وإلا فكم من متسلف ليس بسلفي.

خصائص منهج أهل السنة والجماعة

إنه يحسن بنا ونحن نتحدث عن أهل السنة والجماعة أن نوضح أهم خصائص المنهج الذي ساروا عليه ذلك المنهج الذي ضمن لهم السلامة واستقاموا به على السنة وسلكوا به صراط الله المستقيم.

وأبرز هذه الخصائص:

١- أنه منهج يقوم على اتباع الوحي المعصوم، أخذا بوصية الله تعالى ووصية رسوله -صلى الله عليه وسلم.

فأهل السنة والجماعة ،وأهل الأثر ،والسلف،والفرقة الناجية هم أهل الكتاب والسنة،لأنهم"يؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس ، ويقدمون هدي محمد-صلى الله عليه وسلم- على هدي كل أحد"من كلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى(١٥٧/٣)

قال الله تعالى:{اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم}الأعراف/٣

وقال عز وجل:{وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه}الأنعام/١٥٥

وقال أيضا:{وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه...}الأنعام١٥٣

وقال -صلى الله عليه وسلم-:"فعليكم بسنتي..."

وقال أيضا:" فمن رغب عن سنتي فليس مني"

٢-ومن مقتضيات الأمر السابق أن لايعارض الكتاب والسنة بعقل ،أو رأي ،أوذوق ،أو كشف فضلا عن أن تقدم هذه الوسائل عليهما،بل هذا المنهج يحتم على أهله الإيمان بأن ما خالف الكتاب والسنة لا يكون إلا باطلا صرفا ، ومن التمس شيئا من الحق في مسائل الإيمان من غير الكتاب والسنة فهو ضال مبتدع مهما كان ورعه المزعوم ودينه الموهوم ، فان تلك الأوصاف إنما هي زخارف الشيطان يزين بها مقالة الباطل لتسوغ علي ضعاف العقول.

٣-ومن مسلمات هذا المنهج أن الكتاب والسنة قد بينا الدين كله أصوله وفروعه بيانا لا يحتاج معه الناس إلى فلسفة أو منطق أو كلام متكلم ويدخل في بيان الوحيين للدين بيان مسائلة، ودلائله وبراهينه.

قال الله عز وجل{ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء}النحل/٨٩

وقال تعالى{والله يقول الحق وهو يهدي السبيل}الأحزاب/٤

وقال{إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم}الإسراء/٩ ،وقال تعالى{قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام} المائدة/١٤-١٥

وقال الله تعالى مخبرا عن اهتداء من أطاع الرسول واتبعه {وإن تطيعوه تهتدوا} النور/٥٤

وقال في وصف نبيه{وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم} الشورى/٥٢

فكل ما ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم-فهو الحق،وهو الهدى؛ والضلالة في مخالفته.

وقال-صلى الله عليه وسلم-"تركت فيكم شيئين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا الحوض "

وقال -صلى الله عليه وسلم-في حديث العرباض بن سارية كما في رواية ابن ماجه "قد تركتم على البيضاء،ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك،من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ،عضوا عليها بالنواجذ" سنن ابن ماجه/٤٣

ومما لا شك فيه أن مسائل العقيدة أول ما يدخل في بيان القرآن والسنة ،ويدخل في ذلك بيان توحيد الله،وأسمائه وصفاته ومايجب له في ربوبيته وألوهيته، ويشمل بيان الأسماء الشرعية كالإسلام ،والإيمان ، والإحسان ،والكفر ،والفسق وما يترتب عليها من الأحكام كالتكفير،والتفسيق،والتبديع وبيان مسائل القدر،وأن الله جل وعلا هو الخالق وماعداه مخلوق، ويدخل في ذلك أفعال العباد مع بيان كونها واقعة بمشيئتهم،وبيان العلاقة بين الحاكم والمحكوم وما يجب للوالي من السمع والطاعة بالمعروف وعدم الخروج عليه،إلى غير ذلك من مسائل الاعتقاد التي تفرقت فيها الأمة فرقا كثيرة.

٤-ومن ملامح منهج أهل السنة والجماعة أنه يضبط الإستدلال بنصوص القرآن والسنة بفهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة الدين المشهود لهم بالإمامة ،والعلم ،والفقه،والورع المتين .

وذلك لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين على ما تعهده العرب في خطابها وبيانها ،وجاءت السنة بيانا للقرآن فلا تزيده إلا بيانا وتوضيحا.

ومن المقطوع به أن أعلم الناس بالقرآن والسنة هم الصحابة وهم قد بلغوا القرآن والسنة للتابعين ،بلغوا نصوصهما وبينوا المراد منها بأقوالهم وأفعالهم،فكان التابعون أعلم الناس بعد الصحابة بالوحيين وبما كان عليه الصحابة ، وأهل الحديث الذين عنوا بجمع الحديث والنظر في صحيحه من سقيمه، وبجمع آثار الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من الأئمة العلماء هم أفقه الأمة بكتاب الله وسنة رسوله وما كان عليه السلف في أمور الدين كلها وأهمها مسائل الاعتقاد التي يسميها أهل الكلام مسائل أصول الدين.

قال الإمام ابن تيمية في بيان أحقية أهل الحديث والسنة بكونهم الفرقة الناجية، لأنهم "ليس لهم متبوع يتعصبون له إلا رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وهم أعلم الناس بأقواله وأحواله وأعظمهم تمييزا بين صحيحها وسقيمها وأئمتهم فقهاء فيها وأهل معرفة بمعانيها، واتباعا لها: تصديقا وعملا وحبا وموالاة لمن والاها ومعاداة لمن عاداها .."ا.هـ مجموع الفتاوى٣ /٣٤٧

فإن كانت كل الفرق تدعي الكتاب والسنة،فإن أهل السنة يخالفونهم بهذا القيد المحكم:

"على فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين"

وبذلك يتميز أهل السنة و الجماعة عن مناهج الفرق الضالة،فإن آراءهم التي اخترعوها تخالف ما كان عليه الصحابة والتابعون.

٥-ومن أصول منهج الاستدلال عند أهل السنة والجماعة أن نصوص القرآن والسنة تحمل على الظاهر المتبادر من سياق الكلام ، مع اعتقاد أن ظاهرها يطابق مراد المتكلم بها وهو الذي أريد منا أن نفهمه ونقربه.

وهذا هو الأصل في كل خطاب وكلام كل متكلم، وذلك أن مراد المتكلم يكون في نفسه فإذا أراد أن يخبر غيره بما في نفسه بين ذلك بكلامه واستعمل الألفاظ والتراكيب اللغوية الدالة على ما في نفسه ؛وإذا كان المتكلم ناصحا للخاطب، مريدا البيان و الهداية والإرشاد وكان قادرا على ذلك- فهذا يفهم معنى كلامه ومراده بمجرد تلاوة ألفاظه المعهودة معانيها في لغة المخاطبين.

وكلما كان المخاطبون أكثر دراية باللغة التي يخاطبونه بها، ومعرفة بأساليبها المعهودة بلسان أهلها كانوا أدق فهما لمراد المتكلم وأكثر معرفة بالمعاني التي تدل عليها ألفاظه التي استعملها ،وعلى هذا يجرى الناس منه كل جنس وفى كل لغة في كلامها وأسلوب خطابها ؛والقرآن نزل بلسان عربي مبين ،وهو كلام الله لفظه ومعناه منه،وقد أراد الله به أن يبين للناس دينه ، ويفصل لهم أحكام شريعته ، وأن يهديهم للتي هي أقوم.

وأمر الله رسوله -صلى الله عليه وسلم - بتبليغ القرآن ، وبيانه وقد امتثل أمر ربه فبلغ كتابه وبينه أتم البيان وأحسنه فإنه "معلوم للمسلمين أن رسول الله أعلم من غيره بذلك -صلى الله عليه وسلم وأنصح الخلق للأمة وأفصح، فقد اجتمع في حقه كمال العلم والقدرة والإرادة ؛ومعلوم أن المتكلم أو الفاعل إذاكمل علمه وقدرته كمل كلامه وفعله،وإنما يدخل النقص إما من نقص علمه،وإعن بيان علمه،وإما لعدم إرادته البيان؛والرسول-صلىالله عليه وسلم-هوالغايةفي كمال العلم والغاية في كمال إرادته البلاغ المبين، والغاية في قدرته على البلاغ المبين ..فعلم قطعا أن ما بينه من أمر الإيمان باللهواليوم

الآخر حصل به مراده من البيان فهو مطابق لعلمه ،وعلمه بذلك أكمل العلوم .."اهـ من كلام شيخ الإسلام في الفتوى الحموية ص٢٤-٢٥

٦-ومن خصائص هذا المنهج أنه يعتبر" الإجماع" أصلا في معرفة الحق ،فإن ما دل عليه الإجماع لا يكون إلاحقا لقوله تعالى"ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولـه ما تـولى ونصله جهنم وساءت مصيرا"النساء١١٥

فمن خالف سبيل المؤمنين بقول أو اعتقاد أوفعل فقد استحق الوعيد،ومن السنة تلك الأحاديث الـتي ورد فيها الأمر بلزوم الجماعة،ومنها حديث عمر بن الخطاب عن النبي-صلى الله عليه وسـلم-"...ألا فمن سره بحبحة الجنة فليلزم الجماعة فإن الشيطان مع الفذ وهو من الاثنين أبعد.." أخرجه الشـافعي في الرسالة. ص٤٧٣-٤٧٤ ،وله طرق أخرى عن عمر رضي الله عنه،وهو صحيح بمجموع طرقـه ورواه الطبراني في المعجم الكبير١٣/٤٤٧:حدثنا عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل حدثني محمد بـن أبي بكـر المقدمي ثنا معتمر بن سليمان عن مرزوق مولى آل طلحة عن عمر بن دينار عن ابن عمر قال:قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-"لن تجتمع أمتي على الضلالة أبدا ، فعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعـة" قال الشيخ الألباني : فهذا إسناد صحيح رجاله ثقات..."انظر ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم ص/٤٠

قال الإمام الشافعي وهو يقرر حجية الإجماع ،مستدلا له من السنة بما رواه من حديث عمـر السـابق :"... ومن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم ، ومن خالف ما تقول جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أمر بلزومها ، وإنما تكون الغفلة في الفرقة ، فأما الجماعة فلا يمكن فيها كافة غفلـة عن معنى كتاب ولا سنة ولا قياس إن شاء الله" ا.هـ الرسالة للشافعي ص/٤٧٥-٤٧٦

فالإجماع عند أهل السنة حجة فهو المصدر الثالث بعد القرآن والسنة ،ولا سيما إجماع الصحابـةرضوان الله عليهم-وسلف الأمة الصالح من بعدهم .

يقول ابن تيمية عن أهل السنة :"وسموا أهل الجماعـة ،لأن الجماعـة هي الإجتماع ،وضدها الفرقـة ...والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين،وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة بما له تعلق بالدين" ثم قال شيـخ الإسلام ابن تيميـة: تيمية:"والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح ، إذ بعدهم كثر الإختلاف ،وانتشـر في الأمة." مجموع الفتاوى ٣/١٥٧،وقال أيضا في المجلس الذي عقد له بأمـر السلطان ليسـأل عن اعتقـاده-

قال:فقلت:أما الاعتقاد ،فلا يؤخذ عني ولا عمن هو أكبر مني بل يؤخذ عن الله ورسوله -صلى الله عليه وسلم-وما أجمع عليه سلف الأمة"١٦١/٣

ومسائل العقيدة توقيفية لا تعرف إلا بدلالة الكتاب والسنة ،ولذا فالإجماع المعتبر أصلا في العقيدة هي مااستند إليها ،وقد علمنا من قبل أن الإجماع الذى ينضبط وتقوم الأدلة على حصوله هو ما كان عليه سلف الأمة الصالح.

٦-ومن خصائص منهج أهل السنة في الاستدلال أنهم لا يفرقون بين الكتاب والسنة فىالإستدلال ،ولايفرقون كذلك بين الحديث المتواتر ،والحديث الآحاد ،فكلاهما عندهم حجة يعتمد عليها خلافا لأهل البدع قاطبة فإنهم لايعتمدون حديث الآحاد في مسا ئل الاعتقاد .إن علماء الحديث قاطبة في القرون المفضلةلايفرقون هذا التفريق المبنى على الوهم الخالي من التدقيق،بل السنة عندهم حجة بنفسها قائمة بذاتها والآثار المنقولة عنهم في ذلك كثيرة نذكر منها :

١- عن عباد بن العوام قال :قدم علينا شريك بن عبدالله منذ خمسين سنة قال :فقلت له يا أبا عبدالله إن عندنا قوما من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث،قال:فحدثني بنحو من عشرة أحاديث في هذا ،وقال:أما نحن فقد أخذنا ديننا عن التابعين فهم عمن أخذوا"السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ٢٧٣/١

و الأحاديث المذكورة أحاديث الصفات كما جاء في رواية أخرى "إن ما جاءنا بهذه الأحاديث من جاء بالسنن عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:الصلاة ،والصيام ،والزكاة ،والحج،وإنما عرفنا الله هذه الأحاديث" الحجة في بيان الحجة لأبي اسما عيل الأصفهانى ٤٣٩/١

٢-وقال أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني (ت ٤٨٩هـ) ردا علي شبهة المتكلمين "إن أخبار الآحاد لا تقبل فيما طريقة العلم " قال : فهذا رأس شغب المبتدعة في رد الأخبار ،وطلب الدليل من النظر والاعتبار

"ثم قال :"إ ن الخبر إ ذا صح عن رسول الله- صلي اللة عليه وسلم -ورواه الثقات والأ ئمة ،وأسنده خلفهم عن سلفهم إ لي رسول الله -صلي الله عليه وسلم -، وتلقته الأمة بالقبول فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم هذا قول عامة أهل الحديث والمتقنين من القائمين علي السنة ،وإ نما هذا القول الذي يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال،ولابد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به شيء اخترعته القدرية والمعتزلة وكان قصدهم منه رد الأخبار ،وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم في العلم قدم ثابت ،ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول" الأنتصار لأصحاب الحديث ص٣٤-٣٥

ومما يجب أن يتفطن إليه طالب العلم وهو في بداية طلبه أن كثيرا من الذين صنفوا في أصول الفقه بعد

الإمام محمد بن إدريس الشافعي هم من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية،وهؤلاء كما لا يخفى من أهل الكلام الذين يقدمون العقل على النقل ،ولذا فإنهم أدخلوا هذه القاعدة المفتراة -أعني أن حديث الآحاد يفيد الظن فلا يحتج به في العقائد التي مبناها على اليقين وسبيلها العلم لا الظن ،وقد ينسبون هذا القول إلى الجمهور وهذا خطأ على علماء الحديث وجهل بمذهبهم فإنه لايعرف عن أحد من أهل الحديث في زمن القرون المفضلة قال بهذا القول لا نصا ولا ظاهرا ،ولا تلميحا ،وإنما هي مقالة محدثة مسبوقة بالإجماع على الإحتجاج بخبر الواحد العدل . وقد قال الشافعي في كتابه الرسالة ك" لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد " ولو كانت هذه الأحاديث التي فيها ذكر صفات الله تعالى لا تفيد علما ولا يحتج بها في العقيدة فلم كان السلف يتناقلونها ويروونها ويدخلونها كتبهم المصنفة في العقائد والسنة ؟ وهل كانوا يحتجون على الجهمية والمعتزلة -قبل ظهور الأشاعرة- بما لا يحتج به كما يزعم هؤلاء المتحذلقون أو بما لا يفيد علما؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية وقد قسم الأخبار ـــ إلى تواتر وآحاد فقال بعد ذكر التواتر :"وأما القسم الثاني من الأخبار فهوما لايرويه إلا الواحد العدل ونحوه ،و لم يتواتر لفظه ولامعناه ،ولكن تلقته الآمة بالقبول عملا به أوتصديقاله ... فهذا يفيد العلم اليقيني عندجماهير أمه محمد صلى الله عليه وسلم من الأولين والآخرين .أما السلف فلم يكن بينهم في ذلك نزاع ،وأما الخلف فهذا في مذهب الفقهاء الكبار من أصحاب الأئمة الآربعة ..."نقلا عن مختصر الصواعق (٣٧٢ـــ٣٧٣)وقال أيضا مبينا من يؤخذ قوله وحكمه في قبول الآخبارو إفادتها للعلم "...فان ماتلقاه أهل الحديث وعلماؤهم بالقبول والتصديق فهو محصل للعلم مفيد لليقين ،ولاعبرة بمن عداهم من المتكلمين والأصوليين ...".

٧ـــومن خصائص منهج السلف الثبات والاتفاق والسلامة من الاضطراب والتناقض.

فهذه الميزة لهذا المنهج تعود لأنه يقوم على التسليم المطلق للوحي والاعتماد على القرآن والسنة وما أجمع عليه سلف الآمة .فهو ثابت لآن حق في مصادره ودلائله ومسائله،وسلم أهله من الفرقة والاختلاف ،وسلموا من الاضطراب والحيرة والشكوك التي أصابت أهل الأهواء من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم وثبات هذا المنهج وثبات أهله على عقيدة واحدة وقول واحد لهو من أظهر الأدلة على صحته وكونه حقا .

قال أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني ت(٤٨٩هـ):"ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم،قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم ،وتباعدما بينهم من الديار،وسكون كل واحد منهم في قطر من الأقطار وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة ،ونمط واحد يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها،ولا يميلون فيها ، قولهم واحد ،وفعلهم واحد ، لا ترى بينهم اختلافا ولا تفرقا في شيء و إن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ومانقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلب واحد ،وجرى على لسان واحد،وهل على الحق دليل أبين من هذا ؟ ؟ . ." ٥١هـ الإنتصار لأهل الحديث/٤٥

فمذهب أهل الحديث أهل السنة والجماعة هو الحق ،وهو عقيدة الإسلام الخالصة من كل شوب التي لم يتطرق إليها تبديل ،ولاتحريف ،ولاتلفيق ،ولاالتباس ،ولازيادة ،ولانقصان .

قال تعالى{ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلاف كثيرا }النساء/٨٢

فالسلف ،تدبروا القرآن ،وتمسكوا بالسنة فلم يختلفوا واعتصموا بحبل الله جميعا و لم يتفرقوا ، واقتدوا بالجماعة فلم يشذوا . اللهم اجعلنا منهم ،ومعهم ،وعلى إثرهم في سبيلهم وثبتنا على ذلك إلى أن نلقاك غير مفتنونين .

٨ـ منهج السلف سليم من الجدل والخصومات في الدين ،وينأى بأهله عنها ،وذلك أن الاعتقاد مبناه على التوقيف ؛والجدول والخصومات مبناها على الرأي وكلام أهل الأهواء وهذه تورث الفرقة والاختلاف لتباين الآراء وتفاوت الأفهام .

قال الإمام مالك رحمه الله محذرا من الجدل :"ليس هذا الجدل من الدين في شيء"سير أعلام النبلاء٦٧/٨

وقال أيضا:"أكلما جاءنارجل أجدل من رجل تركنا ما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم لجدله؟" السير ٩٩/٨

وقال الشافعي :"المراء في الدين يقسي القلب ويورث الضغائن "السير ٢٨/١٠

وقال الإمام أحمد:"من أحب الكلام لم يفلح ، لأنه يؤول أمرهم إلى حيرة ، عليكم بالسنة والحديث وإياكم والخوض في الجدال والمراء ،أدركنا الناس وما يعرفون هذا الكلام ، عاقبة الكلام لاتؤول إلى خير وأما إذا كان الجدال بالتي هي أحسن ويرجع إلى بيان القرآن والسنة وآثار السلف،ومع من يرجى منه السلامة من الهوى واتباع الحق إذا ظهر له فما هذا وجهه فلا بأس به بل هو مطلوب .

قال ابن عون :"سمعت محمد بن سيرين ينهى عن الجدال إلا رجلا إن كلمته طمعت في رجوعه" .

فليحذر الشاب من الجدال ولينأى بدينه عن الخصومات ، فإن من سلك هذا السبيل أكثر التنقل من مذهب إلى مذهب ، ومن جماعة إلى جماعة .

قال أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز:"من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل "أخرجه الدارمي في سننه (ح/٣١٠)والآجري في الشريعة ص/٥٦

وقال أبو قلابة :"لاتجالسوا أهل الأهواء ،ولاتخالطوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ماكنتم تعرفون "أخرجه الدرامي في سننة (ح/٣٩٧)

وقد رأينا ورأيتم بعض من كان ينتسب لمذهب السلف وينهج نهجهم لما صار يقرأ لبعض المخالفين، ويسمع أشرطتهم صار يتقلب في آرائه ويتلون في مذهبه وأحيانا كثيرة لايصرح ،وإنما يشكك السامعين له والمحيطين به ثم ينتقل بهم بعد ذلك إلى الاستقرار على الرأي الجديد، الذي لم يكن يعرفه في السابق ، ولاجرى له ذكر في باله وصار يعرف أمورا كان ينكرها ،وينكر أمورا كان يعرفها ،وهذا هو التلون في الدين .

قال الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان ـوهو يوصى أبا مسعود الأنصاري:"إن الضلالة حق الضلالة أن تعرف ماكنت تنكر ،وتنكرما كنت تعرف ،وإياك والتلون في دين الله فإن دين الله واحد" الإبانة لابن بطة (٥٠٤/٢،ح/٥٧٢)واللالكائى فى شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ح/١٢٠)

وقال الإمام مالك :"الداء العضال التنقل في الدين "المصدر السابق ح/٥٧٦

٩ـمنهج السلف منهج وسط في جميع مسائله من غير غلو أو تقصير فالحق دائما وسط بين طرفين وكلا طرفي وسط الأمور ذميم ،ولذا فمذهب أهل السنة في المسائل المتنازع عليها بين فرق الأمة كانوا وسطا بين أقوالهم المتضاربة المتضادة فكانوا أسعد هذه الفرق بالحق والصواب ،لأنهم متمسكون بالكتاب والسنة وما اتفق عليه سلف الأمة من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ،فالسنة التي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ هي دين الإسلام المحض .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن الفرقة الناجية أهل السنة "بل هم الوسط في فرق الأمة ،كما أن الأمة هي الوسط في الأمم

- في (باب صفات الله تعالى) بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهه
- في (باب أفعال الله تعالى)بين القدرية والجبرية
- وفي (باب وعيد الله) بين المرجئة ، والوعيدية من القدرية وغيرهم
- وفى(باب أسماء الإيمان والدين)بين الحرورية والمعتزلة ،وبين المرجئة والجهمية
- وفى (أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم)؛بين الروافض والخوارج "مجموع الفتاوى (١٤١/٣).وانظر العقيدة الواسطية بشرح الفوزان ص/١٢٤

الخوارج

الخوارج

تمهيد

لقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم نموذجا فريدا وطراز عجيبا قد هيأهم الله لحمل راية الإسلام وإقامة دينه ،كانت قلوبهم خير القلوب وأزكاها ،وعقولهم أصح العقول وأذكاها ،وعزائمهم أشد العزائم وأحضاها.فلما دخلوا في الإسلام ،وتعلموا من القرآن والحكمة ،وتأدبوا بأخلاق الإسلام ازدادواكمالا فى العلم والفقه والعقل والحكمة وألف الله بين قلوبهم بالإسلام ،وجمع همتهم على نصرته فكانوا أرغب الناس في الخير والجماعة ،وأبعد الناس عن الشر والفرقة .وكان مما تعلموا من هذا الدين الحرص على طلب الحق والقول به ونصرته وعقد الولاء والبراء عليه ،والتأني وترك العجلة فما كانت تستفزهم الأحداث وإن جلت ،وما كانوا يتركونه بعد ما يتبين لهم كيف وقد كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يبايعهم على ألاينازعوا الأمر أهله وأن يقوموا بالحق حيثما كانوا لايخافون لومة لائم .

فلما توفي رسول الله– صلى الله عليه وسلم –،اجتمع الأنصار سقيفة بنى ساعدة يتشاورون فيمن يولون أمرهم وقد كانوا يرون لهم حقا في ذلك فما أن وصل إليهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة .وتكلم أبوبكر فأحسن الكلام وأجاد حتى تبين لهم وجه الحق ،وعرفوا سبيل الرشد ،فبايعوا أبابكر راضين وسمعوا له مطيعين بعد أن سمعوا منه قول النبي –صلى الله عليه وسلم –:"قريش ولاة هذا الأمر ..." أخرجه أحمد . ومن أحق من الأنصار بالرجوع إلى الحق والسمع والطاعة لله ورسوله –صلى الله عليه وسلم –وقد ذكرهم أبوبكر بفضل المهاجرين وقريش خاصة وماكانت تخفىمترلة أبي بكرمن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ومن هذا الدين ،ولذا لم يختلف المسلمون عليه ،وهذا مصداق لقول النبي –صلى الله عليه وسلم – وهو يتحدث عن الأمرمن بعده:"يأبى الله والمؤمنين إلا أبابكر "ثم تمت البيعة العامة من الغد فبايع المسلمون أبابكر فتمت بيعته بإجماع الصحابة المهاجرين منهم والأنصار،وبايع في هذا اليوم الزبير وعلي بن أبي طالب خلافا لما تزعمه الرافضة وغيرهم من تخلف بعض الصحابة ومنهم بنو هاشم وفيهم علي عن بيعة أبي بكر .فهذا كذب محض وافتراء مكشوف .

تولى الخلافة أبوبكر وانقطع التراع والتأمت الكلمة واجتمع الصف فجهز الجيوش لمحاربة المرتدين ومانعي الزكاة فتمهد له الأمر وقضى على هذه الفتنة ثم أرسل جيوشه لفتح العراق والشام ،وفى هذه الأثناء توفاه الله إلى رحمته ورضوانه بعد أن سلك بالأمة سبيل رسول الله–صلى الله عليه وسلم –والأمة في عهده أمرها مجتمع على السنة المحضة ليس فيها شيء من البدع ولاظهرت فيها الأهواء.ثم تولى الخلافة

عمربن الخطاب فلم يرعبقري يفري فريه فنهض بالأمة واستكمل فتح العراق والشام ثم فـارس ومصـر وكثر الخير فى عهده ،وانتشر الإسلام ،ودخل فى دين الله الناس أفواجا ومن بينهم من دخـل في الديـن مظهرا للإسلام وهو يبطن الزندقة .وهؤلاء كانوا يريدون الكيد للإسلام من داخله وتحت شعاره بعد أن عجزوا عن مقاومته بالسيف انتصار لملتهم الباطلة وانتقاما لدولتهم التي أزا لتها جيوش المسلمين وبقـى هؤلاء يعملون بالخفاء حتى تمكن أحدهم من قتل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب فمضى شـهيدا قـد تمسك بالعروة الوثقى وسلك سبيل سلفه واستخلف عثمان بن عفان فاجتمعت الكلمة ونهض بأعبـاء الخلافةوسار على نهج أخويه إلا أن نشاط تلك الحفنة المرذولة اشتد بأنواع من المكر وألوان من الحيـل ويبدو أن الخطةالمرسومةكانت تعمل في جانبين

أحدهما:العمل على شق صف الجماعة ،وتفريق كلمة المسلمين .

والآخر :إثارة الشبهات في أصول الدين ومسلمات العقيدة ·

وكان الغرض من وراء ذلك تمزيق الأمة وتشتيت شملها لتتقطع فرقا ،وتتوزع أحزاباكل ينصر رأيه وكـل يؤيد مذهبه وقد تولى كبر ذلك عبدالله بن سبأ ، يهودي تظاهر بالإسلام ليكيد أهله ويمكر بهم كما مكر من قبله بولس في أتباع المسيح حتى غير الدين الذي جاء به عيسى- عليه السلام -بما أبتدع لهم مـن آراء تبعه عليها عوامهم والطغام منهم وأصحاب الأهواء ،والقلوب المريضة .

كان يريد هذا اليهودي الخبيث الحاقد أن يفعل بالإسلام كما فعل سلفه ولكن الله قد حفظ الذكر الـذى أنزله من أن يتمكن أحدهم من تبديله وتحريفه فما استطاع أن يلج على المسلمين من هـذا البـاب وإن حاول ولكنه استطاع أن يثير بعض الشبه ،ويمهد لبعض مايريد لينقل الناس تدريجيا ويصرفهم عن ديـن الإسلام· وكان في الوقت نفسه يحرض الناس على ولاة عثمان في الأمصارويتهمهم هو وغيره بأنهم بدلوا ،وظلموا ونحو ذلك من البهتان الذي وجد آذانا تصغي إليه وقلوبا تتقبله ،وألسنة تلوكه ،ثم طعنـوا فى عثمان نفسه بعد الطعن بولاته .

ثم تولى أمر الإنكار على أمير المؤمنين عثمان رجال مشهورون بشدة البأس والتزهد ،والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ،ولكن بفقه ضحل وبصيرة ضيقة مع ماداخلهم من العجب والاعتداد بالرأي وقد افتتن بهذه الدعوى أعني الإنكار على عثمان بشر كثير من أهل مصر والكوفة والبصرة فتمالؤا على ذلك وتكاذبوا فيه وأعظم ماكانوا ينقمون عليه توليته لأقربائه مع ماكانوا يطعنون فيهم ويظهرون عدم الرضا بسيرتهم فخرجوا من الأمصار الثلاثة في مظاهر ة عجيبة لينكروا على عثمان ، واجتمع الأحزاب بالمدينة ،وطالبوه باعتزال الخلافة ،وجرت أمور كثيرة وأسفر الأمر عن محاصرة دار عثمان ،وضيقوا عليه ،وبقى

معه في الدار جماعة من أبناء الصحابه :الحسن والحسين ،وعبدالله بن الزبير ،وعبدالله بن عمرو ،يدافعون عنه ويحاجون الأحزاب فلما طال الحصار أقسم عثمان على الصحابة الذين كانوا في الدار معه أن يكفوا أيديهم وينطلقوا إلى بيوتهم .وكان رحمه الله قد رأى في المنام رأى دلت على اقتراب أجله فاستسلم لأمر الله رجاء موعوده :رأى النبي –صلى الله عليه وسلم– في المنام يقول له :"يا عثمان أفطر عندنا "وبعد ذلك تسوروا عليه داره ،وقتلوه قبح الله قاتله ،ومضى هو شهيدا ووقى المسلمين بنفسه فلم يحب أن يهراق بسببه دم مسلم فمنع الصحابة من القتال ،وأقسم عليهم بذلك ،فإلى رحمة الله ورضوانه وجنته يا عثمان يا أمير المؤمنين .وكان مما قيل في رثائه ،ويقال إنها لكعب بن مالك :

فكف يديه و أغلق بابه ... و أيقن أن الله ليس بغافل

وقال لأهل الدار ا تقتلوهم...عفاالله عن كل امريءلم يقاتل

قال بعض السلف وقد سئل عن عثمان :هو أمير البررة ،وقتيل الفجرة مخذول من خذله ،منصور من نصره .

نشأة الخوارج :

ثم تمت البيعة لعلي بن أبي طالب رضى الله عنه ،وبايعته جميع الأمصار إلاماكان من معاوية رضى الله عنه في الشام لقد تولى على رضى الله عنه الخلافة فى وقت حرج ،فأمر المسلمين مضطرب بسبب هذه الجريمة الشنعاء التي ارتكبها الخوارج الأولى .ومعاوية امتنع من البيعة لعلى واعتل بأن عثمان قتل مظلوما وتجب المبادرة إلى الاقتصاص من قتلة وخرجت عائشة وطلحة والزبير فىجيش كبير نحو البصرة لكسب المؤيدين فى المطالبة بدم عثمان وجرت أمور كثيرة أسفرت عن وقفة الجمل سنة ٣٦ه بين أمير المؤمنين على وجيش عائشة رضى الله عنه .ثم تجهز على العراق وسير إلى الشام فالتقى مع جيش الشام في صيفن سنة ٣٧هـ، وبعد حروب طويلة استقر الأمر على التحكيم بين الطرفين ،وأنكرت ذلك الطائفة التي صاروا خوارج ويقال إن أول من أنكر التحكيم عروة بن حرير حين قال :أتحكمون في دين الله الرجال ؟ويقال إنه عبدالله بن وهب الراسبي ثم انتشرت هذه الكلمة بين طوائف من أصحاب على رضى الله عنه ،وقالوا :لا حكم إلا الله .ولذا سموا المحكمة فلما قفل على راجعا بجيشه إلى الكوفة انفصل قبل دخولها أصحاب تلك المقالة قبل كانوا اثني عشر ألفا وقيل ثمانية آلاف ،وقيل ستة ،ونزلوا مكانا يقال له حروراء –ولذا يقال لهم الحرورية –وأنكروا على الخليفة أشياء منها أنه لما كاتب معاوية ورفض أن يكتب على أمير المؤمنين ،أمر على أن يكتب على بن أبي طالب فقال الخوارج :"انسلخت من قميص ألبسكه الله .ومنها:أنهم قالوا له :انطلقت فحكمت في دين الله ،ولاحكم إلالله واشتد أمر الخوارج فأرسل إليهم على رضى الله عنه ابن عباس فناظرهم وبين خطاهم وما توهموه. وروى أن عليا رضى الله عنه قد خطب الناس يوما ،ورد على هاتين الشبهتين فدعا بمصحف فوضعه بين يدين فجعل يصكه بيده ويقول :أيها" المصحف حدث الناس :يريد أن يبين أن حكم الله لايعرف من الكتاب إلا إذا تكلم به الرجال ثم استشهد على ذلك بقوله تعالى :

وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما وقال :إن أمة محمد –صلى الله عليه وسلم –أعظم حرمة من امرأة ورجل وأجاب عن الشبهة الثانية بما حاصله أنه فعل مثل ما فعل النبي –صلى الله عليه وسلم– حين صالح قومه قريشا فقال :اكتب :"هذا ما صالح عليه محمد رسول ،فقال سهيل بن لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك .فقال :اكتب هذا ما صالح محمد بن عبدالله قريشا .وقال على :يقول الله في كتابه (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الأخر وذكر الله كثيرا }الأحزاب/٢١،وبنحو ما تقدم أجاب ابن عباس الخوارج وأزاح عنهم الشبهة فرجع منهم أربعة آلاف ، وقيل ألفان . ثم بالغ الخوارج في أمرهم ،وبالغوا في النكير على

أمـــير المؤمنين علي وصرحوا بكفره فجاء إليه رجلان منهم يأمرانه بالتـــوبة من التحكيم ،وتعرضوا لـــه في خطبه وأسمعوه السب و الشتم والطعن ،فقام خطيبا فذكر أمر الخوارج وعابـــه وذمه ،فقام جماعــــة منهم كل يقول :"لاحكم إلا لله "وقام أحدهم وهو يقول :"{ولقد أوحـــي إليـــك وإلى الذيـــن مـــن قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين }الزمر/٦٥.فجعل علي يقلـــب يديه وهو علـــى المنبر ويقول :"حكم الله ننتظر فيكم ،ثم قال :"إن لكم علينا أن لا نمنعكم مساجدنا ما لم تخرجوا علينــــا ،ولانمنعكم نصيبكم من الفيء مادامت أيديكم معنا ،ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا ".

ولازال أمر الخوارج يشتد وفتنتهم تستعر حتى بلغ الأمر على خروجهم الفعلي بعد القولي على جماعــــة المسلمين وإمامهم ،فاجتمعوا على تأمير عبدالله بن وهب الراسب فخطبهم خطبة بليغة زهدهم في الدنيـــا ورغبتهم في الآخرة وحثهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .وقال :"وأما والله لا أقبلها رغبـــة في الدنيا ولا أدعها فراقا من الموت "وخطبهم زيد بن صوحان وحثهم على الأمر بالمعروف والنـــهي عـــن المنكر،وتلا عليهم آيات من القرآن منها {يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بـــالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله }ص/٢٦

وقوله تعالى:{ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون }المائدة/٤٤

{ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون}المائدة/٤٥

{ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون }المائدة/٤٧

ثم قال :فأشهد على أهل دعوتنا من أهل قبلتنا أنهم قد اتبعوا الهوى ونبذوا حكم الكتاب ،وجـــاروا في القول والعمل ،وأن جهادهم حق على المؤمنين ...

قال ابن كثير في البداية والنهاية (٢٨٦/٧):"وهذا الضرب من الناس من أغرب أشكال بني آدم ،فسبحان من نوع خلقه كما أراد وسبق في قدره العظيم ،ـــوما أحسن ما قال بعض الســـلف في الخوارج إنهـــم المذكورون في قولـــه تعالى :{قل هل ننبئكم بالآخرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهـــم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائـــه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يـــوم القيامة وزنا}الكهف/١٠٣-١٠٤-١٠٥.والمقصود أن هؤلاء الجهلة الضلال ،والأشقياء في الأقوال والأعمال اجتمع رأيهم على الخروج من بين أظهر المسلمين ".

وهكذا لبس الأمرعليهم ،وتكاتبوا وتواعدوا الخروج إلى النهروان ،وكانت له شوكة ومنعة ،وهم جنـــد فيهم شجاعة ،ويدفعهم حماس متأجج ورغبةفي الأخرة ويرون ماهم مزمعون عليه من الخروج والقتال من أفضل القربات.فلما انتهت الحكومة بين علي ومعاوية إلى ما لايرضي حث على الناس علـــى الجـــهاد

،ورغبتهم فيه واستنفرهم للخروج إلى أهل الشام ،فبينما هو كذلك إذبلغه أن الخوارج قــــد عـــاثوا في الأرض فسادا وسفكوا الدم المحرم ،وقطعوا السبل واستحلوا المحارم وأخافوا الناس .ومرهم عبدالله بـــــن خباب بن الأرت أمير من قبل علي على بعض المناطق فقالوا له حدثنا ما سمعت من أبيك ،فقال :"سمعـت أبي يقول سمعت رسول الله–صلى الله عليه وسلم –يقول :"ستكون فتنة القاعد فيها خير مـــن الماشـي ،والماشي خيرمن الساعي "ثم قدموه فذبحوه ،وبقروا امرأة معه عن حملها .

فلما بلغ صنيعهم أمير المؤمنين عليا أرسل إليهم يدعوهم أن يسلموا قتله خباب فقالوا "كلنا قتله" فعـــزم علي أن يبدأ بقتالهم قبل أهل الشام ووافقه جيشه على ذلك ،فقدأخرج مسلم في صحيحه (رقـــم 1066) عن سلمة بن كهيل :"حدثني زيد بن وهب أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه الذيـن ساروا إلى الخوارج ،فقال علي رضي الله عنه :"أيها الناس إني سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم – يقول :يخرج قوم من أمـــتي يقرأون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء ، ولاصلاتـــكم إلى صلاتهـم بشيء ،ولاصيامكم إلى صيامهم بشيء ،يقرأون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم ، لاتجاوز صـــلاتهم تراقيهم ،يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية لو يعلم الجيش الذين يصبونهم ما قضى لهم علـى لسان نبيهم –صلى الله عليه وسلم– لاتكلو عن العمل ،وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد ،وليـس لـه ذراع على رأس عضده مثل حلمة الثدي عليه شعرات بيض فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتـركون هؤلاء يخلفونكم في ذراريكم وأموالكم .والله إني لأرجـــو أن يكونوا هؤلاء القوم فإنهم قد سفكوا الـدم الحرام ،وأغاروا في سرح الناس فسيروا على رسم الله ".

قال سلمة بن كهيل :فنزلني زيد بن وهب منزلا منزلا حتى قال :مررنا على قنطره فلما ا لتقينا وعلـــى الخوارج يومئذ عبدالله بن وهب الراسبي فقال لهـــم" ألقوا الرماح وسلوا سيوفكم من جفـــونها ،فـــإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء "، فرجعوا ، فوحشوا برماحهم ، وسلوا السـيوف ، وشجرهم الناس برماحهم . قال :وقتل بعضهم على بعض ، وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجـــلان . فقال علي –رضي الله عنه–:"التمسوا فيهم المخدج "، فالتمسوا فلـــم يجدوه فقام علي –رضي الله عنه – بنفسه حتى أتى ناسا قتل بعضهم على بعض ، قال : أخروهم ، فوجدوه مما يلي الأرض، فكبر ،ثم قـال: "صــــــــدق الله وبلــــــــــــغ رســــــــــــوله ".

فقام إليه عبيدة السلماني فقال :" يا أمير المؤمنين الله الذي لا اله إلا هو سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ "فقال : إي والله الذي لا اله إلا هو "، حتى استحلفه ثلاثا وهو يحلـــف لــه . وهكذا تمت الوقعة وكفى الله برحمته الأمـــة شر هذه الفتنة العظيمة وكتـــب الله عز وجل الأجر لمــــن

قتل هؤلاء المارقين الذين أخبر النبي –صلى الله عليه وسلم –بصفاتهم من قبل .فمما جاء في وصفهم :

1–عن جابر قال:أتى رجل رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بالجعرانة منصرفه من حنين وفى ثوب بلال فضة ،ورسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقبض منها ،يعطى الناس ،فقال :يامحمد !اعدل ،قال :"ويلك !ومن يعدل إذا لم أعدل لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل" .فقال عمر بن الخطاب :دعني يارسول الله فأقتل هذا المنافق .فقال:"معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي .إن هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية"م/1063،خ/3138 مختصرا.

2–عن أبي سعيد الخدري قال :بينما نحن عند رسول الله–صلى الله عليه وسلم –وهو يقسم قسما أتاه ذو الخويصرة –وهو رجل من بنى تميم فقال :يارسول الله اعدل .قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم – :"ويلك !ومن يعدل إن لم أعدل؟قد خبت وخسرت إن لم أعدل".فقال عمر بن الخطاب :يا رسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–:"دعه ،فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم،يقرؤون القرآن لايجاوز تراقيهم ،يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ...آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة،أومثل البضعة تتدرور يخرجون على حين فرقة من الناس " ؛ قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه....م/1064،خ/3610،6163،6923

–وفى لفظ أخر :"يقتلون أهل الإسلام ،ويدعون أهل الأوثان ،يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ،لئن أدركتم لأقتلنهم قتل عاد "م/1064، خ/3344، 4667، 7432

–وفى حديث علي رضي الله عنه :"سيخرج في آخرالزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام ،يقولون من قول خير البرية ،يقرؤون القرآن لايجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة"م/1066،خ/3611،

–وفى حديث أبي ذر رضي الله عنه :"هم شر الخلق والخليقة "م/1067

–وفى حديث لأبي سعيد الخدري : "تكون في أمتي فرقتان ، فتخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاهم بالحق"م/1065

نشأة التسمية

فهؤلاء الذين خرجوا على أمير المؤمنين ،وفارقوا جماعة المسلمين وإمامهم وعقدوا لهم البيعة .وقد صاروا يسمون" الخوارج ".ويبدو أنها أخذت من تلك النصوص التي تصفهم بالخروج .

-مثل حديث أبي سعيد الخدري :أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكر قوما يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحالق .

-وفى حديث أبي ذر :يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية .

فوصفوا بالخروج على جماعة المسلمين وإمامهم ، ووصفوا بالخروج من الدين . ولذا صار يقال لهم الخوارج ثم صار هذا الاسم يطلق على كل من خرج عن طاعة الإمام ،وجماعة المسلمين وانحازوا فكلنوا جماعة متميزة .

فقد جاء في سنن ابن ماجة عن ابن عمر أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال "ينشأ نشء يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ،كلما خرج قرن قطع ".قال ابن عمر: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول :كلما خرج قرن قطع أكثر من عشرين مرة -حتى يخرج في عراضهم الرجال .

وأخرج أحمد في المسند نحوه عن شهر بن حوشب عن ابن عمر ومن وجه أخر عن شهر عن عبدالله بن عمرو بن العاص ضمن حديث وفيه :"كلما خرج منهم قرن قطع حتى يخرج الرجال في بقيتهم" والمقصود بيان أن هذه الجماعة التي خرجت على علي بن أبي طالب هم الذين تناولتهم النصوص النبوية الصريحة بذكر العلامة فيهم وهو المخدج وهؤلاء صاروا سلفا لمن بعدهم يشاركهم المتأخرون في صفاتهم وسماتهم العامة ،وإن كانوا قد أحدثوا أراء لمن يكن عند الخوارج الأولى لها ذكر .

ومن جانب أخر فإن ذا الخويصرة هو أول خارجي خرج في الإسلام وآفته أن رضي برأي نفسه واتهم النبي -صلى الله عليه وسلم- بالجور في القسمة وليس هناك خروج أعظم من هذا إلا أن خروجه لم يكن بسيف ورمح .

وعلى الرغم من هذه الهزيمة الساحقة للخوارج فإن شأفتهم لم تنقطع تماما فاتخذ الذين تخلفوا عن شهود هذه المعركة من ذكرى هذه المعركة حافزا لهم لبذل المهج والأرواح للأخذ بثأر إخوانهم الذين لم تأخذهم في الله لومة لائم كما يزعمون ،فصار ذكرى النهروان يؤجج في نفوسهم حماسا متدفقا فوق ما كانوا عليه من الحماس المتأجج لإنكار الأوضاع السيئة على حد فهمهم القاصر ولذلك فإنهم تتابعت ثوراتهم ضد الإمام علي في أماكن متفرقة وأحيانا متعاقبة كان النصر حليف الإمام علي رضي الله عنه، ومع ذلك لم تضع تلك الهزائم المتكررة نهاية للخوارج ، ولا لفكرة الخروج ،بل استمروا في لجاجهم

ومضوا في عمايتهم إلى أن ائتمروا على شر عظيـــم ،ومنكر فظيع ؛ فقد اجتمع عبد الرحمن بن عمـــرو المعروف بابن ملجم ،والحجاج بن عبدالله المعروف بالبرك ،وعمرو بن بكر التميمي ،فتذاكروا قتل علـــي رضى الله عنه لإخوانهم من أهل النهران فترحموا عليهم ،وقالوا ما نصنع بالبقاء بعدهم ؟كانوا لا يخـــافون في الله لومة لائم ،فلو شرينا أنفسنا فأتينا أئمة الضلال فقتلناهم فأرحنا منهم البلاد ، وأخذنا منهم ثـــأر إخواننا .فقال ابن ملجم :أما أنا فأكفيكم علي بن أبي طالب .وقال البرك: وأنا أكفيكم معاوية ،وقـــال عمرو بن بكر ،وأنا أكفيكم عمرو بن العاص .فتعاهدوا وتواثقوا أن لاينكص رجل منهم عن صاحبـــه حتى يقتله أو يموت دونه فأخذوا أسيافهم فسموها واتعدو السبع عشر من رمضان أن يبيت كل واحـــد منهم صاحبه في بلده الذي هو فيه .

فأما الشقي ابن ملجم فقد سار إلى الكوفة ،وهناك رأى شابة فائقة الجمال مشهورة به يقال لها قطـــام بنت الشجنة ،قد قتل أبوها وأخوها يوم النهران ،فخطبها لنفسه ، فاشترطت عليه ثلاثة آلاف درهـــم وعبدا وقينة ،وأن يقتل علي بن أبي طالب .فقال :هو لك ، والله ماجاء بي إلى هـــذه البلدة إلا قتـــله. فشجعته على ذلك وحرضته أشد التحريض فتمكن هذا الخبيث من علي رضي الله عنه فضربـــه بســـيفه على رأسه وهو خارج لصلاة الفجر ،فسال دمه على لحيته ،وقال ابن ملجم :لاحكم إلا لله ،ليس لـــك ياعلي ولا لأصحابك وجعل يتلو قوله تعالى:{ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضـلة الله والله رؤوف بالعباد} البقرة/207

ولقد اغتبط الخوارج بقتل علي وأثنوا على ابن ملجم الخبيث الشقي بهذا الفعل الشنيع فيقول أحدهم:

فلا مهر أغلى من علي وإن غلا ...ولافتك إلا دون فتك ابن ملجم

وقال شاعرهم وعابدهم ومفتيهم غمران بن حطان:

يا ضربة من تقي ماأراد بها ...إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره يوما فأحسبـــه ... أوفى الـــبرية عند الله ميزانا

سمات الخوارج

يبدو لنا جليا من خلال العرض السابق ،ومن خلال قراءة الأحاديث النبوية التي أشارت إلى خروج هذه الفرقة بعض السمات التي كانت علامة بارزة فيهم

١-أحداث الأسنان .وهذا يعنى قلة خبرتهم في الحياة .

٢-سفهاء الأحلام .فعقولهم قاصره وأفهامهم كليلة ،فأورث ذلك قصر النظر ،وقلة الصبر والعجلة في الأمور.

٣-قلة الفقه في الدين وضعف الحصيلة من العلم الشرعي.

٤-اجتهادهم في قراءة القرآن ،وفهمهم له بعقوله القاصرة دون الرجوع إلى الصحابة رضوان الله عليهم .

٥-جهلهم بالسنة المفسرة للقرآن المبينة لمعاينه.

٦-الاجتهاد في العبادة من صيام وصلاة وقراءة القرآن .ولكنها على غير فقه.

٧-الاجتهاد في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والغلو في ذلك حتى زين لهم الشيطان هذا السبيل فكان فيه هلكتهم .

٨-الإعجاب بما هم عليه من عبارة وعمل . وكان ذلك دافعا للصغير منهم أن يحذو حذو الكبير ،وللمتأخر أن ينهج نهج سلفه المتقدم .

٩-القوة والخشونة والجلادة والجفاء مع المخالفين ،وشدة البأس عند القتال .

١٠-كثرة التنازع والاختلاف فيما بينهم وإذا اختلفوا تقاتلوا وتفاصلوا وهذا يظهر واضحا في الخوارج الذين جاءوا بعد الطائفة الأولى المحكمة .

منهجهم في الاستدلال :

١-اعتمدوا على القرآن الكريم في استدلالهم ولكن بعقولهم القاصرة وأفهامهم الضعيفة مع جهلهم بالسنة مما جعلهم يخطئون في أحكامهم ، ولا يثقون بأحد من الصحابة والمخالفين لهم ، فسدوا على أنفسهم منافذ العلم ،وطرق الفقه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبينا سوء فهم الخوارج للقرآن وماقادهم إليه :"وكانت البدع الأولى مثل بدعة الخوارج إنما هي من سوء فهمهم للقرآن لم يقصدوا معارضته ،لكن فهموا منه ما لم يدل عليه فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب .إذ كان المؤمن هو البر التقى .قالوافمن لم يكن برا تقيا فهو كافر ،وهو مخلد في النار ....."مجموع الفتاوى ٣٠/١٣

٢-ولجهلهم بالسنة ومكانتها في التشريع لم يحتجوا بها إذا خالفت ظاهر القرآن عندهم .ولذا نجم منهم من لا يرجم الزاني ،ولا يرى للسرقة نصابا ،ومن يوجب على الحائض قضاء الصلاة مع الصوم .

٣- صرف نصوص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى منابذة الأئمة والخروج عليهم وقتال المخالفين

آراؤهم:

١-التكفير بالكبائر ،مستدلين بالآيات التي وردت في الكفار لجهلهم .

قال ابن عمر رضي الله عنه:"انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين" البخاري الفتح ١٢/ ٢٨٢

وقال ابن تيمية:"وهم أول من كفر أهل القبلة بالذنوب،بل بما يرونه هم من الذنوب"مجموع الفتاوى٧/ ٤٨١

ولذا كفروا عثمان وعليا والحكمين ومن رضي بالتحكيم.

وذلك لأنهم بزعمهم خالفوا القرآن ،وجاروا في حكمهم .ومن خالف حكم القرآن فقد كفر{ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون}المائدة/٤٤

وبعضهم يرى هذا الكفر كفر نعمة لا يخرج من الملة "أصحاب نجدة بن عامر"

2-استحلال دماء المسلمين واستباحة أموالهم بعد الحكم بتكفيرهم بسبب ذنوبهم أو ما ظنوه هم سيئة وإن كان ليس في حقيقة الأمر كذلك.

3-إيجاب الخروج على الإمام الجائر.

4-تجويز الإمامة في غير قريش.

5-اعتبار دار المخالفين لهم دار كفر وحرب ،والأباضية تخص ذلك بعسكرهم.

6-مرتكب الكبيرة كافر،وهو في الآخرة من المخلدين في النار إذا مات على ذلك وهذا قول جمهورهم خلافا للنجدات،"وهذه مسألة انفاذ الوعيد" التكفير بالمعاصي وتخليد أصحابها في النار

7- ينكرون الشفاعة لأصحاب الذنوب الذين استحقوا العقاب عليها. حديث جابر في صحيح مسلم

وبعد ظهور الفرق الكلامية :الجهمية والمعتزلة والقدرية ،تبنى بقية الخوارج الذين أدركوا هذه الفرق بعض آرائها.

يقول أبو الحسن الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين ص١٢٤:"فأما التوحيد فإن قول الخوارج فيه كقول المعتزلة"

والمرادبالتوحيد عندهم نفي صفات الله تعالى بدعوى تتريه الخالق عن مشابهة المخلوقين.

-وأما قولهم في القرآن،فقد ذكر الأشعري أنهم يقولون بخلق القرآن.انظر ص١٠٨،١٢٤.

-وذكر شارح الطحاوية أنهم ينكرون رؤية الله تبارك وتعالى.

أشهر فرق الخوارج

استمر الخوارج في غيهم وضلالهم وخروجهم على المسلمين في زمن معاوية رضي الله عنه إلا أن أمرهم كان ضعيفا ، ولما توفي معاوية واضطربت أحوال المسلمين ،ونشب التراع بين عبد الله بن الزبير ،ويزيد بن معاوية الذي بويع له بعد أبيه ،فأرسل جيشا لقتال ابن الزبير الذي اعتصم بمكة؛كان بعض الخوارج قد تجمعوا لنصرة ابن الزبيردفاعا عن حرم الله ،ويذكر أن نافع بن الأزرق ونجدة بن عامر الحنفي كانا من رؤوسهم ،لكن اتفاقهم لم يدم طويلا فقد فارقوا ابن الزبير بعد أن علموا بأنه ليس على رأيهم ويتولى عثمان ويثني عليه.

توجه نافع إلى البصرة فغلب عليها وتجمع عليه من كان على رأي الخوارج من عمان واليمامة وسائر المناطق وبايعوه وسموه أمير المؤمنين.

وأما نجدة بن عامر فقد توجه إلى اليمامة ،ثم سار من هناك بأتباعه إلى البصرة ليلحق بنافع بن الأزرق ،فاستقبله في الطريق بعض المفارقين لنافع لبدع أحدثها لم يرتضوها ، فرجع نجدة وبايعه أصحابه ومن خالف نافعافي آرائه.

وهذا أول انقسام بين الخوارج ،فصار يقال لأصحاب نافع الأزارقة ولأصحاب نجدة النجدات.
وتوالت بعد ذلك الانقسامات في صفوف الخوارج حتى صاروا فرقا كثيرة أشهرها:الأزارقة ،والنجدات ،والصفرية"أتباع زياد بن الأصفر"،والأباضية نسبة إلى أباض التميمي.

الأزارقة:

لقد كان للأزارقة شأن عظيم وخطر جسيم على المسلمين زمن ابن الزبير إلى زمن عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي ،فقد تغلبوا على الأهواز وفارس وكرمان ،وجرت هناك حروب شديدة بينهم وبين أمراء ابن الزبير على تلك المناطق ثم الأمراء من قبل عبد الملك بن مروان بعد مقتل ابن الزبير.

ولقد كان للحجاج بن يوسف الثقفي جهودا مشكورة في قتالهم ،وقد أسند أمر قتالهم وتتبعهم إلى القائد الفذ ،والفارس الشجاع المهلب بن أبي صفرة الذي كان قد تولى قتالهم في عهد ابن الزبير ،ولقد توالت الحروب بينهم بضع عشرة سنة حتى تمكن من كسر شوكتهم .

وقد اشتهر الأزارقة بالشجاعة المفرطة ، والصبر الطويل والجرأة على قتل النساء والأطفال مما أثار عب الناس ،وتقاعسهم عن قتالهم ولكن الله غالب على أمره.

آراء الأزارقة

الأزارقة كغيرهم من الخوارج يتولون الخوارج الأولين وهم المحكمة الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن لأبي طالب ،ويصوبون فعلهم ويمتدحون ابن ملجم و أصحابه ،ولكنهم أحدثوا أمورا لم يكن لها ذكر في زمن الخوارج الأولين فكانت هي سبب.

ومن هذه الآراء:

١-تكفير القعدة :وهم الموافقون لهم في الرأي ألا أنهم لم يهاجروا إليهم ،و لم يقاتلوا معهم لعجزهم، ويقال أنه احتج بقول الله تعالى {يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم }المائدة/٥٤

{إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله }النساء /٧٧

٢-تحريم التقية، ووجوب الجهر بالمعتقد والرأي.

وخالفه نجدة بن عامر وغيره، وكان مما احتجوا به على جواز التقية قول الله تعالى{إلا أن تتقوا منهم تقاة}آل عمران/٢٨

وقوله تعالى {وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه}غافر/٢٨

وقالوا القعود عن الهجرة والقتال جائز ، وان كان القتال أفضل واحتجوا بقوله تعالى {وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما}النساء /٩٥

٣-اعتبار دار المخالفين لهم دار كفر،ولا يحل أكل ذبائحهم ولا تناكحهم ولاتوارثهم.

٤-استباحة قتل أطفال المخالفين ونسائهم.

٥- إيجاب امتحان من قدم عسكرهم مهاجرا إذا ادعى أنه منهم ،ومن صور الامتحان أن يدفع إليه أسير من المخالفين فيؤمر بقتله،فإن قتله صدقوه وإلا قتلوه .

٦- إيجاب قضاء الصلاة على الحائض كما تقضي الصوم .

وقد اشتهر هذا الرأي عنهم حتى صار يقال لمن يرى هذا الرأي حروري ،فقد أخرج البخاري ومسلم واللفظ له عن معاذة أن امرأة سألت عائشة فقالت :"أتقضي إحدانا الصلاة أيام حيضها؟" فقالت عائشة "أحرورية أنت ؟قد كانت إحدانا تحيض على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-ثم لا تؤمر بقضاء"

٧-استحلوا خفر الأمانة التي أمر الله بايجاها،وقالوا المخالفون لنا قوم مشركون لا ينبغي أن تؤدى الأمانة إليهم .

٨-إنكار حد الرجم على من زنى بعد إحصان والاقتصار على الجلد .

٩- لا يقيمون حد القذف على من قذف المحصن من الرجال ،لأن الوارد في القرآن إقامة الحد على من قذف المحصنات من النساء .

١٠-أوجبوا قطع يد السارق في القليل والكثير ، و لم يعتبروا له نصابا، كما أوجبوا قطع اليد من الكتف .

وهؤلاء أتوا من جهلهم بالسنة ومكانتها في التشريع فلم يروا أنها تخصص القرآن ،أو تقيد عمومه أو تأتي بأحكام فوق ما في القرآن .

وهذا كما قلنا سابقا لأنهم قد كفروا الصحابة علي ومعاوية ومن رضي بالتحكيم من الصحابة وغيرهم ،فلم يكن معهم أحد من الصحابة ولا من العلماء الفقهاء ،فاستبدوا بآرائهم و لم يثقوا بغيرهم و لم يقبلوا السنن التي يروونها ،والتي فيها بيان تلك الأحكام التي خالفوها .

الموقف الشرعي من الخوارج .

- هم الخوارج أهل بدعة وضلال فهم وبدعتهم أول البدع ظهوراً ، وهم قوم سوء وإن اجتهدوا في العبادة ، يجب قتالهم ، لدفع شرهم عن المسلمين

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " فإنهم لم يكن أحد شراً على المسلمين منهم لا اليهود ولا النصارى ، فإنهم كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم ، مستحلين لدماء المسلمين وأموالهم وقتل أولادهم ، مكفرين لهم ، وكانوا متدينين بذلك لعظم جهلهم وبدعتهم المضلة

- ومع جهلهم وعظم بدعتهم ، وخطورتهم على المسلمين وشدة أذيتهم فإن الصحابة والتابعين لهم بإحسان لم يكفروهم - على القول الصحيح والذي تدل عليه

ويدل على ذلك سيرتهم معهم ، فقد كان الصحابة يصلون خلفهم وكانوا يحدثونهم ويفتونهم ويخاطبونهم كما يخاطب المسلم المسلم وكان نجدة الحروري يسأل ابن عباس وكذا نافع بن الأزرق وكان يجيبهما . انظر منهاج السنة (٥/٢٤٧) ٢٤٨

فلم يكفر

- لا ينبغي للمسلم أن يغتر بعبادة أحد ولا زهده ومظاهر الصلاح عليه حتى يعلم موافقته للسلف وسلامة منهجه من مخالفتهم ومنهجهم " قال الآجري " فلا ينبغي لمن رأى اجتهاد خارجي قد خرج على إمام - عدلاً كان الإمام أو جائراً - فخرج وجمع جماعة وسل سيفه واستحل قتال المسلمين فلا ينبغي أن يغتر بقراءته للقرآن ولا بطول قيامه في الصلاة ولا بدوام صيامه ولا بحسن ألفاظه في العلم إذا كان مذهبه مذهب الخوارج

الشيعة

الشيـــعة

١- الشيعة في اللغة

قال أبو منصور الأزهري :"والشيعة أنصار الرجل وأتباعه ،وكل قوم اجتمعوا على أمـــر فـــهم شيعة" تهذيب اللغة ٦١/٣

فقوله تعالى {فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه }القصص/١٥ أي :من جماعته وأهله في النســب إلى بني إسرائيل.

والشيعة هم الفرقة والجماعة ،والطائفة .

قال تعالى {ثم لنترعن من كل شيعة أيهم أشد على الرحمن عتيا}مريم/٦٩

{إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا..}الأنعام/١٥٩

وهذه الكلمة تطلق على الواحد والاثنين والمذكر والمؤنث،فكل من عاون إنسانا وتحزب له فهو له شـيعة ومن وافق غيره في رأيه وتابعه عليه فهو شيعة له.

فالشيعة والتشيع والمشايعة تتضمن معنى المتابعة والمناصرة والموافقة والاجتماع على أمر والموالاة عليه .

٢- الشيعة في الاصطلاح

مصطلح "الشيعة" مر بمراحل مختلفة ،وفي كل مرحلة كان له مدلول خاص .

أ-تطلق الشيعة في صدر الإسلام في عرف السلف على من يفضل عليا على عثمان .

وهم وإن سموا شيعة ،وإن كانوا مخطئين بقولهم فإنهم لا يضللون بذلك ،قال شيخ الإسلام ابن تيمية:"وإن كانت هذه المسألة -مسألة عثمان وعلي- ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهـــل السنة.."مجموع الفتاوى١٥٣/٣

وقد كان الشيعة في ذلك الزمن يفضلون أبا بكر ثم عمر ،ولا يقدمون عليا عليهما . وهذا هـــو قـــول السلف قاطبة حتى من كان يفضل عليا على عثمان .

عن جرير ،سألت يحيى بن سعيد القطان فقلت :"أرأيت من أدركت من الأئمة ما كان قولهم في أبي بكر وعمر وعلي ؟"فقال :"سبحان الله ما رأيت أحدا يشك في تفضيل أبي بكر وعمر على علي ،إنما كـــان الإختلاف في علي وعثمان"

وقد تواتر عن علي التصريح بفضل الشيخين .

قال الإمام ابن قدامة :قال أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال :روى تسعون نفسا أو نحوهم ،عشرة من أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–وثمانون من التابعين أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال وهو على المنبر:"خير الناس بعد رسول الله– صلى الله عليه وسلم– أبو بكر وعمر"
منهاج القاصدين في الخلفاء الراشدين ،وانظر :منهاج السنة لابن تيمية ١/٧ ، ٤ ١٣٧

وقد صرح جماعة من كان يقال لهم شيعة بتفضيل أبي بكر وعمر على علي رضي الله عنهم أجمعين ،وقد كانوا يترضون عن عثمان ويعرفون فضله ؛منهم شريك بن عبد الله النخعي ،وحفص بن غياث ،وعبد الرزاق الصنعاني .

قال ليث بن أبي سليم :"أدركت الشيعة الأولى وما يفضلون على أبي بكر وعمر أحدا ".

ب– ثم تطور التشيع عند طائفة منهم فصاروا يفضلون عليا على أبي بكر وعمر وسائر أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم–ويقال لهؤلاء الشيعة المفضلة .

وهم في عرف السلف "الرافضة"

وصار هذا القول هو المشهور وهو الذي يجمع فرق الشيعة بعد انقسامها وتفرقها .

وينطبق على هؤلاء تعريف أبو الحسن الأشعري حيث قال "إنما قيل لهم الشيعة لأنهم شايعوا عليا رضوام الله عليه ويقدمونه على سائر أصحاب النبي –صلى الله عليه وسلم–"

ونحوه قال ابن حزم:" ومن وافق الشيعة في أن عليا رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله –صلى الله عليه وسلم–وأحقهم بالإمامة ووله من بعده فهو شيعي وإن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فبه المسلمون . فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيا " الفصل في الملل والنحل٢/١٠٧

وخلاصة الأمر أن اسم الشيعة صار علما على الطائفة التي تزعم أن عليا أفضل الصحابة ،وترى أحقيته بالإمامة ،ويختلفون في أمور كثيرة وراء ذلك من أهمها ما يتعلق بالإمامة .

جـ–اختلف الشيعة بعد ذلك وغلا بعضهم فأنكروا إمامة الشيخين وعثمان وتبرؤوا منهم ،وكفروهم وضللوهم هم وجمهور الصحابة الذين بايعوهم ،وقالوا بأن خلافة علي رضي الله عنه ثبتت بالوصية والنص من النبي –صلى الله عليه وسلم – وهذه الطائفة يسميها أهل السنة الرافضة ،وأحيانا الشيعة وهم يسمون أنفسهم الشيعة والإمامية.

وأما من اقتصر على مجرد التفضيل مع الاعتراف بخلافة الخلفاء الثلاثة ،فصاريقال لهم الزيدية نسبة إلى زيد بن علي بن الحسين بن أبي طالب ،والجارودية منهم يوافقون الرافضة .

وزيد بن علي هو أول من أطلق على تلك الطائفة اسم الرفض،لأنهم رفضوه وتركوه في ساحة القتال.
وسنقصر دراستنا على الرافضة بعد أن نبين نشأة التشيع ،ونقف على المراحل التي مر بها .

نشأة التشيع

إن التشيع قد مر بأطوار متعاقبة في كل مرحلة يزداد أهله غلوا وبعدا عن الدين بما يفترون من العقائد الباطلة ،والأقوال الزائفة والتي تصير عندهم من أصول ملتهم ،وأسس نحلتهم يفارقون بها الكتاب والسنة وجماعة المسلمين .

آراء الشيعة في نشر مذهبهم :

ليس في أهل الأهواء قوم أكذب من الرافضة ولا أحمق منهم ولذلك راجت عليهم تلك الترهات.

ومن أول ما يطلع عليه الباحث من جرأتهم في الكذب وذهابهم فيه إلى حد الغاية هو آراؤهم في نشأة مذهبهم.

1-فتارة يقولون إن التشيع قديم كان قبل النبي -صلى الله عليه وسلم -وما من نبي إلا عرض عليه الإيمان بولاية علي رضي الله عنه .

فأخرج صاحب الكافي عن أبي الحسن قال:"ولاية علي مكتوبة في جميع صحف الأنبياء ،ولن يبعث الله رسولا إلا بنبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- ووصية علي عليه السلام"أصول الكافي 504/1

وينسب إلى أبي جعفر في قول الله عز وجل {ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فلم نجد له عزما}طه/115 قال:"عهدنا إليه في محمد والأئمة من بعده ،فترك و لم يكن له عزم ،وإنما سمي أولو العزم أولي العزم لأنه عهد إليهم في محمد والأوصياء من بعده والمهدي وسيرته ،وأجمع عزمهم على أن ذلك كذلك ،والإقرار به"485/1

ولقد حشدوا روايات كثيرة عن أئمتهم وفي كتبهم بهذا المعنى ،ولعل معرفة هذا القول تكفي في بيان فساده ،ففساده من الأمور المعلومة لكل ذي عقل رشيد وفهم سديد ،يقرأكتاب الله فسيرى دعوة الرسل جميعا إلى التوحيد من نوح عليه السلام إلى محمد-صلى الله عليه وسلم- و لم يأتي في شيء منها هذه الولاية المزعومة.

وإذا كانت ولاية علي والأئمة من بعده مكتوبة في جميع صحف الأنبياء ،فلم لم تعرف في الإسلام إلا بعد وفاة علي بزمن؟،و لم يرد لها ذكر في كتب بني إسرائيل ؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :"وهذه كتب الأنبياء التي أخرج الناس ما فيها من ذكر النبي -صلى الله عليه وسلم- ليش في شيء منها ذكر علي...وهؤلاء الذين أسلموا من أهل الكتاب لم يذكر أحد منهم

أنه ذكر علي عندهم ،فكيف يجوز أن يقال إن كلا من الأنبياء بعثوا بالإقرار بولاية علي و لم يذكـــروا ذلك لأممهم ،ولا نقله أحد منهم "منهاج السنة 46/4

2-بينما يزعم بعضهم أن النبي –صلى الله عليه وسلم– هو الذي وضع بذرة التشيع ،وأن الشيعة ظهرت في عصره ،وقد كان بعض الصحابة يتشيعون إلى علي ويوالونه في زمنه –صلى الله عليه و سلم .

يقول سعد بن عبد الله القمي ت (301هـ):"فأول الفرق الشيعة ،وهي فرقة علي بـــن أبي طـــالب المسمون شيعة علي في زمان النبي –صلى الله عليه وسلم – وبعده ،معروفون بانقطاعهم إليـــه والقـــول بإمامته منهم :المقداد بن الأسود الكندي وسلمان الفارسي ،وأبو ذر بن جنادة الغفاري ،وعمار بـــن ياسرالمذحجي ...وهم أول من سموا باسم التشيع من هذه الأمة .

ويقول محمد بن حسين آل كاشف الغطاء (ت 1373هـ):"إن أول من وضع بذرة التشيع في حقـــل الإسلام هو نفسه صاحب الشريعة ؛يعني أن بذرة التشيع وضعـــت مـــع بـــذرة الإســـلام جنبـــا إلى جنب،وسواء بسواء و لم يزل غارسها يتعاهدها بالسقي والري حتى نمت وازدهرت في حياته ثم أثمـــرت بعد وفاته"

وهذا محض افتراء يكذبه القرآن والسنة والحقائق التاريخية الثابتة ،فقد تقدمت النصوص الكثيرة مـــن الكتاب والسنة تدعوا المؤمنين ليكونوا جماعة واحدة ،ويحذرهم من الفرقة والاختلاف .

وقد كان واقعهم استجابة حقيقية ،وتطبيقا عمليا للقرآن فكانوا أمة واحدة،وجماعة واحدة لا فرقـــة بينهم ولا اختلاف في شيء من أمور الدين فلم يكن في زمن النبي –صلى الله عليه وسلم– من يقال لهم سنة ولا من يقال لهم شيعة .

ولو كانت هذه التسمية معروفة آنذاك لنقل إلينا خبرها كما جاء في القرآن ذكر المهاجرين والأنصـــار ،والكفار والمنافقين ،والمشركين ،والأعراب ،وغير ذلك من الألقاب وكيف لا ينقل هذا الإسم يعـــني الشيعة،والتشيع بهذه المترلة العالية والمكانة الشريفة التي يزعمها الرافضة؟!

والحقائق التاريخية بعد النبي –صلى الله عليه وسلم– تكشف زيف هذا القول وتبين باطله إذ لم يكـــن في زمن أبي بكر وعمر وعثمان ذكر للشيعة ،ولا وجود في زمنهم للتشيع وهذه حقيقة يذعن لها بعـــض أئمة الرافضة بل يقر بها ويصرح .

فهذا مجتهدهم في زمنه محمد حسين آل كاشف الغطاء يقول :

"...و لم يكن للشيعة والتشيع يومئذ (في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما)مجـــال للظـــهور ،لأن الإسلام كان يجري على مناهجه القويمة ."أصل الشيعة ص48 نقلا عن أصول مذهـــب الشـــيعة الإمامبـــة الإثـــنى عشـــرية/د.نـــاصر القفاري66/1

ويقول محمد حسين العاملي :"إن لفظ الشيعة قد أهمل بعد أن تمت الخلافة لأبي بكر ،وصار المسلمون فرقة واحدة إلى أواخر أيام الخليفة الثالث"

فهذا اعتراف من عالمين من علماء الشيعة بأنه لم يكن في عهد الخلفاء الثلاثة شيعة و لم يكن ثمة تشيع.
والأول اعترف أن الإسلام كان يجري على مناهجه القويمة ،وفي هذا إقرار بصحة ما كان عليه أبو بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة ،وأنهم كانوا على الإسلام القويم .
والثاني أقر بأنهم جماعة وفرقة واحدة ليس بينهم نزاع ولا اختلاف ،وهذان الاعترافان يعـــودان علـــى ملتهم بالإبطال .

ولا ريب أن هذا الزعم الباطل ودعوى أن النبي –صلى الله عليه وسلم– هو الذي بذر التشيع فيه قحة وسوء أدب مع ما فيه من الافتراء .

يقول موسى جار الله متعجبا من قولهم :"أي حبة بذر النبي–صلى الله عليه وسلم – حـــتى أنبتـــت سنابل اللعن والتكفير للصحابة وخيار الأمة ،وسنابل الاعتقاد بأن القرآن محـــرف بـــأيدي منـــافقي الصحابة،وأن وفاق الأمة ضلال ،وأن الرشاد في خلافها ،حتى توارت العقيدة الحقة في لـــــج مـــن ضلال الشيعة جم "الوشيعة في نقد عقائد الشيعة

ولعلك إذا أعدت النظر في كلام محمد بن الحسين آل كاشف الغطاء لوجدت في كلامـــه اعترافـــا صريحا في أن التشيع قسيم للإسلام ليس منه .

هذه أهم آراء الشيعة في نشأة التشيع ومبتدأ ظهوره ،وهي محاولات لتأصيل هذا المذهـــب البـــاطل وإضافة الشرعية لهذه النحلة الفاسدة وقد خرجت تلك المحاولات إلى حد ادعاء أن لها أصلا في الكتـــب السابقة وميدان الكذب واسع لا نهاية له ،وضعف العقل والبصيرة عند هؤلاء القوم لا يقل مجاله عـــن ميدان الكذب .

المراحل التي مرّ بها التشيع

قد علمنا من قبل أن بعض أرباب الملل الباطلة ،والممالك التي أدال المسلمين دولهم ،وأنهى سلطاتهم كانوا قد دخلوا في الإسلام ليكيدوا له ولأهله بعد أن أعيتهم الحيلة في صده ومنع انتشاره .ولقد حاولوا جاهدين التظاهر في هذا الدين واقتناص الفرص والمناسبات لتحريف الإسلام ،وإدخال الشبه على أهله في أصوله ومبادئه وإثارة الفتن والنزاع بين أهله تحت شعار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ذلك الشعار المزيف الذي التفوا حوله حتى وصل بهم الأمر إلى قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ومن حينئذ بدأت الفرقة ونشأ النزاع بين أمة الإسلام .

وقد ذكرنا من قبل أن عبد الله بن سبأ اليهودي كان من أوائل الذين سعوا بمكر ودهاء في إذكاء هذه الفتنة وإشعال نارها وهو في الوقت نفسه أول من وضع بذور التشيع الأولى .

1- فعبد الله بن سبأ يهودي من أهل اليمن ، أمه سوداء ،أسلم زمان عثمان ،ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام ،فأخرجوه حتى أتى مصر ... فقال لهم فيما يقول :"لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ،ويكذب بأن محمدا يرجع ،وقد قال الله عز وجل {إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد } القصص/85 ،فمحمد أق بالرجوع من عيسى " فقبل ذلك منه ووضع لهم الرجعة،فتكلموا فيها ثم قال بعد ذلك" إنه كان ألف نبي ،ولكل نبي وصي ،وكان علي وصي محمد" ثم قال "محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء" ...ثم أظهر التكلم في الخلفاء والصحابة ،والطعن في عثمان ... انظر تاريخ الطبري 647/2 وحصل ما سبق ذكره .

ولقد استمر هذا الخبيث ينشر أفكاره ليهدم الإسلام ويقوض أركانه من داخله وقد انخدع بهذه الآراء والمغالطات بعض العامة من ذوي الحماس غير المحروس بالعلم .

وتعترف مصادر الشيعة الرافضة بدور ابن سبأ الفعال في تأجيج الفتنة والطعن في أبي بكر وعمر وعثمان.

يقول سعد بن عبد الله القمي بعد أن ذكر عبد الله بن سبأ :"وكان أول من أظهر الطعن في على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة ،وتبرأمنهم وادعى أن عليا أمره بذلك "

وذكر أن عليا رضي الله عنه أراد قتله ثم نفاه إلى المدائن .

وقال أيضا:"وحكى جماعة من أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا ،وكان يقول على يهوديته في يوشع بن نون وصي موسى فقال في إسلامه بعد وفاة الرسول في علي بمثل

ذلك،وهو أول من شهد بالقول بفرض إمامة علي بن أبي طالب ،وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه وكفرهم "المقالات والفرق للقمي ص19-21

ونحو ذلك ذكر الحسن بن موسى النوبختي .

وهذان من علماء الشيعة في القرن الثالث الهجري وبداية الرابع ،وبذلك يظهر لنا أن أسس الرفض كان قد وضعها هذا اليهودي الخبيث :

- القول بأن إمامة علي ثابتة بالوصية من النبي –صلى الله عليه وسلم.
- الطعن في الخلفاء الثلاثة وسائر الصحابة غير نفر يسير .
- القول بالرجعة.

لقد كانت هذه الآراء الشاذة تنتشر بخفاء بين الهمج والرعاع فتجد آذانا صاغية وقلوبا غير واعية تتقبلها وتكتمها في غالب أحيانها .

ولقد أظهر بعض هذه الشرذمة غلوا زائدا في علي بن أبي طالب فلما بلغه ذلك أنكره أشد ما يكون الإنكار ،وقد قيل إنهم طائفة ادعوا فيه الإلهية .

وقد جاء في صحيح البخاري عن عكرمة أن عليا رضي الله عنه حرق قوما فبلغ ذلك ابن عباس فقال :لو كنت أنا لم أحرقهم ،لأن النبي –صلى الله عليه وسلم–قال:" لا تعذبوا بعذاب الله " ولقتلتهم كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم "من بدل دينه فاقتلوه " خ/3017

وقد قيل أن هؤلاء الذين أحرقهم هم أولئك الطائفة .

وقيل إنهم من الزنادقة ،كانوا يعبدون الأصنام في السر .

وقد أنكر علي رضي الله عنه ما كان يبلغه من تفضيله على أبي بكر وعمر كما ذكرنا من قبل ،وكان ذلك من دسائس الشرذمة المندسة في صفوف المسلمين لتمزقهم إربا وتذيق بعضهم بأس بعض .

هذه بذرة التشيع الأولى غرسها اليهود وأبناء المجوس وراجت عند الغوغاء والرعاع ،ومع ذلك فقد كانت هذه الطائفة ذليلة حقيرة وعامة جيش علي وشيعته (بالمعنى اللغوي) بريئون من هذه الأفكار بل لا يعرفونها .

ولقد عاقب علي بن أبي طالب من أظهر باطله منهم ،وتذكر المصادر السنية والشيعية أنه نفى عبد الله بن سبأ إلى المدائن .

ولقد أسفرت الأحداث التي وقعت بين المسلمين في خلافة عثمان إلى مقتل علي رضي الله عنه عن انقسام في علي ثلاثة فرق:

فرقة أفرطت في حبه وتعظيمه وغلوا فيه غلوا زائدا حتى فضلوه على الشيخين رضي الله عنهما وبعضهم تمادى به الجهل إلى أبعد من ذلك وهؤلاء زنادقة وهم السبئية.

وأخرى على النقيض من أولئك أبغضوه وكفروه أو لعنوه .

والثالثة أهل السنة أهل العدل والإنصاف أنزلوه مترلته اللائقة به فأحبوه ووالوه الولاء المشروع وجانبوا الغلو فيه والجفاء عنه .

ثم لا زال نشاط تلك الفرقة الشاذة السبئية ينمو بالخفاء ،يتسترون بحب آل البيت لاصطياد المزيد من الأتباع ويسمموا أفكارهم بالتدريج ويملؤوا قلوبهم غلا وحقدا على أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- لا سيما أفضلهم أبو بكر الصديق، و عمر وعثمان وطلحة والزبير ،وعائشة وحفصة .

2-قتل علي بن أبي طالب على يد المجرم الأثيم عبد الرحمن بن ملجم ،وتمت البيعة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بعد أن تنازل الحسن بن علي وأصلح الله بتنازله بين الطائفتين ،وجمع الله شمل المسلمين وسمي هذا العام عام الجماعة ،وصدق في الحسن ما كان أخبر به جده صلى الله عليه وسلم حين قال :"إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين" أخرجه البخاري في صحيحه/7109

ولقد استبشر المسلمون بهذا الصلح ،وحصل به من الألفة والاجتماع ما سر المسلمين في كل مكان فتوحدت كلمتهم وبدؤوا يستأنفون الجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام بعد أن انشغلوا عنه بما جرى بينهم من الحروب الطاحنة. ولكن هذا الأمر أزعج أولئك النفر ،وبعض الجهلة حتى هموا بالحسن واستقبله بعضهم بألفاظ نابية فقال أحدهم :السلام عليك يا مذل المؤمنين ،فقال : لا تقل هذا يا عامر ، لست بمذل للمؤمنين ،ولكني كرهت أن أقاتلهم على الملك".

يقول ابن كثير في تأريخه (19/8):" وجعل كلما مر بحي من شيعتهم يبكتونه على ما صنع من نزوله عن الأمر لمعاوية ،وهو ذلك البار الراشد الممدوح وليس يجد في صدره حرجا ولا تلوما ولا ندما بل هو راض مستبشر به..." لقد حقن الحسن دماء المسلمين ،وترك الدنيا الفانية ،وآثر السلامة ورغب في الآخرة الباقية .

2-استقام الأمر لمعاوية واجتمعت كلمة المسلمين وصاروا يدا على من عاداهم طيلة خلافته ،ولما مات سنة (60هـ) وتولى الخلافة بعده ابنه يزيد لم يبايع الحسين ،وترك المدينة وسار إلى مكة ،ولما استقر بمكة كثر ورود الكتب من العراق يدعونه إليهم ،وجعلوا يستمثونه ويستقدمونه ليبايعوه ،فبعث إليهم ابن عمه مسلم بن عقيل بن علي بن أبي

طالب ليكشف له حقيقة الأمر فلما تسامع أهل الكوفة بقدومه جاءوا إليه فبايعوه على إمرة الحسين وتكاثروا جدا حتى بلغوا فيما قيل ثمانية عشر ألفا .

وتجهز الحسين إلى الكوفة ،ولكن أهل الكوفة الذين بايعوا مسلما تخلوا عنه وتركوه وحيدا حتى ظفر به عبيد الله بن زياد فقتله ،وكان قد قال قبل أن يقتل :اللهم احكم بيننا وبين قوم غرونا وخذلونا ،وكان قد أوصى أن يرسل إلى إلى الحسين من يخبره بالأمر ويقول له :ارجع بأهلك ولا يغرنك أهل الكوفة .

ولقد نصح الحسين جماعة من الصحابة بعدم الخروج ولكنه أبى ،وتوجه إلى الكوفة وما كان يدري بالذي حصل لمسلم حتى أتاه الخبر في الطريق ،فساءه ذلك وأكمل المسير فتلقته جنود عبيد الله بن زياد عند كربلاء وعليهم عمربن سعد فقال له الحسين :يا عمر اختر مني إحدى ثلاث خصال ،إما أن تتركني أرجع كما جئت ،فإن أبيت هذه فسيرني إلى يزيد فأضع يدي في يده فيحكم في ما رأى ،فإن أبيت فسيرني إلى الترك فأقاتلهم حتى أموت ، فلم يجب إلى شيء من ذلك ،وقتل هو وجماعة من أهل بيته في معركة غير متكافئة وقتل معه من أهل بيته ثلاثة وعشرون رجلا .

وكان مقتل الحسين يوم عاشوراء من المحرم سنة إحدى وستين للهجرة ،وقد اتخذ الشيعة هذا اليوم مأتما منذ ذلك الزمان إلى هذا الوقت يبكون ويتوجعون وهم الذين غدروا به وأسلموه إلى أعدائه وخذلوه .

4- أ) ندم طائفة من الشيعة ندما شديدا على ما حصل للحسين بسبب خذلانهم له وبدؤوا يعدون العدة لأخذ الثأر له ولأهل بيته ،وتجمعوا تحت رعاية سليمان بن صلد وهو صحابي فاضل،وكاتبوا من على رأيهم ممن لا يرضى بخلافة يزيد ،ويرغب في الأخذ بثأر الحسين وأهل بيته فتجمع له خلق كثير .

وفي الوقت نفسه كان المختار بن أبي عبيد يدعو إلى إمامة محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب ويلقبه المهدي ويظهر الانتصار لأهل البيت وزعم أنه مبعوث من فبل ولي الأمر _وهذا كذب وزور   جماعة ممن كانوا مع سليمان بن صرد ،وكان يسجع لهو كسجع الكهان .

وخرج سليمان بأصحابه وكانوا قريبا من عشرين ألف أو يزيدون ،إلى موضع يقال له النخيلة ،فلما عزم على المسير بهم إلى عبيد الله بن زياد نكصوا على أعقابهم كعادتهم فلم يبق معه إلا أربعة آلاف ،فاقتتلوا اقتتالا شديدا كانت الدائرة فيه على سليمان وجنوده،فقتل رحمه الله ورضي عنه ،وقتل معه خلق كثير ،وكان المختار بن أبي عبيد قد أخبر الناس بهلاكهم عن شيطانه الذي كان يأتيه .

كان ذلك الجيش الذي مع سليمان يسمون أنفسهم جيش التوابين ،وانتهى أمر هذا الجيش في هذه الوقعة التي تسمى وقعة عين ورده وذلك في سنة خمس وستين على الصحيح.

ب) نشط المختار في دعوته ،واجتمعت الشيعة عليه ،واستفحل أمره واشتد ،وقد تتبع قتلة الحسين رضي الله عنه بالقتل والتنكيل ،وكان في كل ذلك يدعي أنه يفعل مل يفعل بأمر محمد بن الحنفية ،وقد جرت أمور يطول ذكرها قتل فيها عبيد الله بن زياد ،وعمر بن سعد ،وشمر بن ذي الجوشن .

يقول الحافظ ابن كثير في تأريخه (274/8) :" ...ولاشك أن قتل قتلته -يعني الحسين- كان متحتما ،والمبادرة إليه كانت مغنما ،ولكن إنما قدره الله على يد المختار الكذاب الذي صار بدعواه إتيان الوحي إليه كافرا ،وقد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم:"إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر"وقال تعالى في كتابه الذي هو أفضل ما يكتبه الكاتبون {وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون}

وقال بعض الشعراء :

وما من يد إلا يد الله فوقها ... ولا ظالم إلا سيبلى بظالم

لقد كان المختار كذابا مفتريا في دعواه نصرة أهل البيت ،وهو في نفس الأمر متستر بذلك ليجمع عليه رعاعا من الشيعة الذين بالكوفة ليقيم لهم دولة ويصول بهم ويجول بهم على مخالفيه جولة كما يقول ابن كثير وقد أراح الله الإسلام والمسلمين منه على يد مصعب بن الزبير رحمه الله .

وبعد هذا العرض لا تجد أي شيء عند هؤلاء الذين يتشيعون لأهل البيت وخاصة بعد قتل الحسين سوى العزم على الأخذ بثأرهم ،لكن المختار بن أبي عبيد رفع شعارا جديدا وهو الدعوة لمحمد بن الحنفية ولقبه المهدي،وكان يظهر التشيع ويبطن الكهانة ،وادعى أن الوحي يأتيه وقد كان بعض الرعاع الشيعة يصدقونه على ذلك .

والحاصل أنه إلى هذا الوقت لم تظهر عقائد الشيعة الفاسدة مثل البراءة من الشيخين ،ودعوى أن عليا أحق بالإمامة منهما ،وأنه الوصي ،وكان دعاقما يسرون بها وغالب هؤلاء الذين يتحمسون لأهل البيت إنما كان محبة لهم ،وكرها لولاة بني أمية .

5- وبقتل المختار بن أبي عبيد الكذاب سنة 67 هـ انقض تجمع الشيعة العلني و لم يذكر لهم شأن في وقائع التأريخ، ولكن بالتأكيد كانوا ينشرون معتقداتهم الفاسدة وأراءهم الباطلة سرا بين الغوغاء والأعاجم حتى سنة 121هـ ، ففيها تجمع نحو أربعين ألفا من الشيعة على زيد بن علي بن الحسين وبايعوه على كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- واشتد أمره وبلغ خبره يوسف بن عمر نائب العراق لأمير المؤمنين هشام بن عبد الملك فبعث يتطلبه ،فلما علمت الشيعة اجتمعوا عند زيد وسألوه عن أبي بكر وعمر ،فقال :غفر الله لعما ما سمعت أحدا من أهل بيتي تبرأ منهما وأنا لا أقول فيهما إلا خيرا" فرفضوه ونقضوا بيعته وتركوه فلهذا سموا الرافضة من يومئذ .

ومن بقي معه قيل لهم الزيدية ؛ثم قتل رحمه الله سنة 122هـ ومن يومئذ حصل الانقسام فيمن كان يقال لهم الشيعة فصاروا زيدية ورافضة .

وبهذا الانقسام بدأ الانحراف الحقيقي لهذه الطائفة بعد أن كان مخفيا وصار لحم غلو زائد في أهل البيت ،وتستروا بحبهم ولفقوا الأقاويل المكذوبة ،والآراء المخترعة ونسبوها إلى أئمتهم من أهل البيت وطعنوا في الصحابة ،وردوا أحاديثهم بل أعرضوا عنها لكي لا ينكشف باطلهم ويظهر كذبهم بالأحاديث التي يروونها ،وتمكنوا من نشر الزندقة والكفر تحت ستار محبة أهل البيت وبدؤوا يضعون القواعد والأسس التي تضمن لهم الاستمرار في مفارقة أهل السنة وعدم الالتقاء معهم في ذلك بحيث قالوا لو كان في المسألة قولان فالحق خلاف ما عليه أهل السنة .

ولمل كانت أقوالهم الزائفة تخالف المعلوم بالضرورة من أخبار أهل البيت ،علي رضي الله عنه وبيته وأحفاده ادعوا القول بالتقية وقالوا إن تلك الأقوال التي تذكر عن أهل البيت إنما قالوها تقية أمام الظالمين ،وفي السر والخفاء كانوا يقولون ما يذكرون من الأقوال الباطلة .

وقد راجت هذه البدعة النكراء ووجدوا فيها بغيتهم كلما أعيتهم الحيلة ؛فجعلوها من أسس دينهم وقواعده كما يقولون من لا تقية له لا دين له .

ولقد استطاعوا أن يلفقوا الروايات المتضمنة لعقائدهم الباطلة وينسبونها لأئمتهم وخاصة أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق حتى أسسوا لهم دينا آخر غير الإسلام الذي جاء به محمد –صلى الله عليه وسلم– وكان عليه علي وأبناؤه وأحفاده في عقائده وعباداته،قال شيخ الإسلام ابن تيمية :"...فإنه ما كذب على أحد ما كذب عليه – يعني جعفر بن محمد الصادق–"منهاج السنة 464/2

ويقول أحد الرافضة وهو محمد جواد مغنية "فالفضل في استقلال المذهب وتركيزه كما هو الآن يعود للإمام الصادق بعد أن أسعفته الظروف ومهدت له السبل ،ومن هنا أطلق على الشيعة لفظ الجعفريين ،وعلى فقههم الفقه الجعفري " الشيعة في الميزان ص109

والحق أن جعفر الصادق بريء من كل ما ينسبونه إليه ،وكذا أهل بيته بريئون من كل الأخبار المنسوبة إليهم والتي تخالف الكتاب والسنة ،ولقد أحكم طائفة من الزائفين هذه الحيلة وادعوا أنهم كانوا يأخذونها سرا عن جعفر الصادق أو عن غيره .

ومن هؤلاء الرافضة هشام بن الحكم الذي فتق الكلام في الإمامة و هذب المذهب والنظر وكان حاذقا بصناعة الكلام كما يقول ابن نديم في الفهرست ص249

ومنهم محمد بن النعمان الأحول الملقب بشيطان الطاق ،وتلقبه الشيعة بمؤمن الطاق والذي يصفه ابن نديم ص50 بأنه "من أصحاب أبي عبد الله جعفر ،وكان متكلما حاذقا "

وهكذا انتشر هذا المذهب الفاسد وهذه العقائد الباطلة المتعاطفين لأهل البيت لجهلهم وغباوتهم فصدقوهم فيما ينسبونه إلى الأئمة الذين ادعوا لهم العصمة ،وحق التشريع ،وفصلوا أتباعهم عن أهل السنة فلا يقبلوا منهم حديثا ولا تفسيرا ولا فقها . وبذا تمكنوا من حماية مذهبهم وضمنوا له الاستقرار في أوساط أشباه الأنعام بل هم أضل .

وهكذا عرفنا أن التشيع مر بمراحل متدرجة كانت بدايته على أيدي بعض الزنادقة والمنافقين أمثال عبد الله بن سبأ ونما في الخفاء وتستر برداء محبة أهل البيت وأشعلت الحروب تحت هذا الشعار إلى أن استقر المذهب وظهرت معالمه وأصوله وقواعده وعقائده فإذا هو دين آخر ينسب إلى جعفر الصادق معظمه وهومنه بريء .

وقد ثبتت عن جعفر الصادق وغيره من الأئمة التي تزعم الرافضة إمامته وتتولاهم خلاف ما يدعون ،وصرحوا بتضليل الروافض الذين يفضلون عليا على أبي بكر وعمر ،فكيف بغير ذلك من العقائد الكفرية الباطلة وضللوهم وأبغضوهم وأخبروا أنهم لا صلة لهم بهم .

ومع ذلك استمر المذهب ،وبقي عليه أهله في غيهم وضلالهم يعمهون .

فرق الشيعة :

يعترف الشيعة أنفسهم "أن عوامل عدة أسهمت في تكون الشيعة ويذكرون منم أهمها استشهاد الحسين الذي أدى إلى تفرق الشيعة إلى فرق وأحزاب لاختلاف فيمن هو أحق بالإمامة ومن هو المنصوص عليه بزعمهم" انظر :تأريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة ص52-54

وهذا اعتراف من الشيعة بأن تعيين الإمام إنما يرجع لأهوائهم وآرائهم ولذلك وقع بينهم الاختلاف والافتراق ،والواقع يشهد بذلك وهذا ينقض دعواهم بأن الإمامة نص إلهي بدأت بعلي .

وقد علمت من قبل أن دعوى الوصاية وأحقية علي بالولاية إنما تلقفوها من اليهودي الحاقد عبد الله بن سبأ ،وقد فصل الحسن بن موسى النوبختي ،وهو من علماء القرن الثالث الهجري اختلافات الشيعة والفرق التي نشأت عن ذلك إذا وقف عليه العاقل عرف إلى أي مدى كان تلاعب الشيطان بالرافضة فإنه ليس في فرق الأمة من الاختلاف فيما هو أصل عندهم ما عند الشيعة في الإمامة .

فمثلا الذين قالوا بإمامة أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق افترقوا بعد وفاته ست فرق

- فمنهم من أنكر وفاته وزعم أنه حي لم يمت ولا يموت حتى يظهر ويلي أمر الناس وهو المهدي .
- ومنهم من قال الإمام بعده ابنه إسماعيل ،وأنكروا موت إسماعيل في حياة أبيه .
- ومنهم من قال الإمام بعده محمد بن إسماعيل بن جعفر .
- وفرقة قالت الإمام بعد أبي عبد الله ابنه محمد بن جعفر .
- وطائفة قالت الإمام بعد جعفر ابنه عبد الله .
- والفرقة السادسة قالوا بإمامة موسى بن جعفر بعد أبيه.

ويذكر النوبختي أن هذا عليه أئمة متكلميهم .

وهؤلاء اختلفوا بعد وفاة موسى بن جعفر إلى خمس فرق ،وهكذا أمرهم بعد وفاة كل من يدعون أنه إمام يختلفون فرقا ،وبعض تلك الفرق تختلف إلى فرق أخرى .

وسنشير فيما يأتي إلى فرق الزيدية والرافضة ،مع أن هناك فرق أخرى تركنا الحديث عنها .

أ ـ الزيديـة :

وهذه ثلاث فرق يجمعها القول بإمامة زيد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب. (١)

وكان زيد هذا قد خرج على هشام بن عبدالملك بن مروان الخليفة الأموى ، وبايعه طائفة من شيعة أهل الكوفة فقاتله والي العراق من قبل هشام . وقبل أن ينشب القتال بلغ طائفة من شيعته أنه يتولى أبابكر وعمر فسألوه عن ذلك ، وطلبوا منه أن يتبرأ منهما فقال : " إني لا أقول فيهما إلا خيرا ، ماسمعت أبي يقول فيهما إلا خيرا ففارقوه عند ذلك ، فقال لهم : " رفضتموني " (٢)

فقيل لهم " الرافضة " ، لذلك .

ومن حينئذ انقسمت الشيعة إلى زيدية ورافضة إمامية . (٣) .

ثم إن زيدا قاتل بمن بقي معه إلى أن قتل،وكان ذلك سنة مائة واثنتين وعشرين . (٤)

وقد ذكر أبوالحسن الأشعري أن زيدا كان يفضل عليا على سائر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، ويتولى أبابكر وعمر . (٥) وتبعه على هذا الشهرستاني . (٦) .

والرجل من أهل العلم ورواة الحديث ، قد خرج له أبوداود والترمذي وابن ماجة في سننهم ، والنسائي في مسند " علي " ولم يذكر الحافظ الذهبي ولا الحافظ ابن حجر مايدل على تشيعه . (٧)

ولو كان معروفا بهذا القول مشهورا به لما خفي على أهل العلم بالحديث والرجال لاسيما وأنه صارت طائفة تنتسب إليه وقد ثبت عنه أنه قال : " أبوبكر الصديق رضى الله عنه إمام الشاكرين" ثم قرأ ﴿ وسيجزى الله الشاكرين ﴾ (٨) (٩) .

---

(١) انظر مقالات الاسلاميين (١٣٦/١) ، الفرق بين الفرق (ص /١٦، ٢٥) . والمنية والامل في شرح الملل والنحل (ص/٨٩) .

(٢) الفرق بين الفرق (ص/٢٥) .

(٣) مجموعة الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية (٣٦/١٣) .

(٤) سير اعلام النبلاء (٣٩/٥) .

(٥) مقالات الاسلاميين (١٣٧/١) .

(٦) الملل والنحل (١٥٥/١) .

(٧) انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (٣٨٩/٥) ، وتهذيب التهذيب (٤١٩/٣ـ ٤٢٠) .

(٨) آل عمران /١٤٤ .

(٩) أخرجه الدارقطني في فضائل الصحابة(١/٢١/١١) والسياق له ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٣٠٢/٧) .

نعم الزيدية المنتسبون إليه يفضلون عليا على أبى بكر وعمر رضى الله عنهم جميعا .

فرق الزيديـــــة :

يشمل اسم الزيدية ثلاث فرق وهى :ـ

١ ـ السليمانية :

وهم أصحاب سليمان بن جرير .

ومن مذهبه أن الإمامة تنعقد بالشورى ، وتصح بعقد رجلين من خيار المسلمين ، وأنـــــه تجوز خلافة المفضول مع وجود الفاضل ولذا فإنه يصحح خلافة أبي بكر وعمر ويتولاهمـــــا مع أنه يفضل عليا عليهما . وقد ذكر أنه يكفر عثمان ، وكذا عائشة والزبير وطلحة . (١)

٢ ـ الصالحية أو البترية :

وهم أتباع الحسن بن صالح بن حي (٢) ، وكثير النواء الملقب بالأبتر . (٣) وقولهم فى الإمامة مثل قول السليمانية . ويرون تفضيل على علي سائر الصحابة ، مع توليهـــــم لأبى بكر وعمر ولكنهم يقفون فى أمر عثمان وقاتليه . (٤)

ج ـ الجارودية : أصحاب أبى الجارود : (٥)

وهذه الفرقة أكثر الفرق المنتسبة لزيد بن على غلوا ، وأشدها تطرفا ومن مذهبهم .

١ ـ أن النبى صلى الله عليه وسلم قد عين عليا رضى الله عنه للإمامة من بعده بالوصــــف لا بالتسمية،أي بالنص الخفى . (٦)

٢ ـ يرون أن الصحابة قد ضلوا وكفروا بتركهم الاقتداء بعلي رضى الله عنه .

٣ ـ ساقوا الإمامة بعد على فى الحسن ثم الحسين ثم قصروها على ذريتهما واستحقاقها عندهـــم إنما يثبت بالفضل والطلب ، فمن خرج يدعو إلى سبيل ربه وكان عالما فاضلا فهو الإمام. (٧)

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين (١٤٢/١) ، فرق الشيعة للنوبختى(ص/٩) الفرق بين الفــرق (ص ٢٣ـ٢٤) الملل والنحل (١٥٩/١ ـ ١٦٠) .

(٢) روى له مسلم وأصحاب السنن ، ثقة فى الحديث رأسا فى العبادة والورع لكن كان يجـــوز الخروج على أمراء الجور ، ولا يرى صلاة الجمعة خلفهم، وكان يتشيع ، ولذا تكلم فيـــه سفيان الثورى وابن المبارك وغيرهما .. مات سنة ١٦٩هـ .
انظر سير أعلام النبلاء(٣٦١/٧ ـ ٣٧١) ، وتهذيب التهذيب (٢٨٥/٢ـ٢٨٩) .

(٣) كثير بن إسماعيل ، ويقال بابن نافع النواء ،ضعيف فى الحديث ، وقال ابن عدي : "إنــه كان غاليا فى التشيع وقيل إنه لم يمت حتى رجع عن التشيع . من الطبقة السادسة. انظر تهذيب التهذيب ٤١١/٨ والتقريب ص/٢٨٤ .

(٤) انظر مقالات الإسلاميين (١٤٤/١ ـ ١٤٥)،الفرق بين الفرق(ص/٢٤) ، الملل والنحـــل (١٦١/١).

(٥) هو زياد بن المنذر ، الأعمى الكوفى ، كذبه يحى بن معين وأبو داو د وقال أحمـــــد والنسائى:متروك ، ونعته ابن حبان بوضع الحديث فى مثالب أصحاب رسول الله صلـــى الله عليه وسلم.مات مابين ١٥٠ـ١٦٠ تهذيب التهذيب(٣٨٧/٣).

(٦) انظر مقالات الإسلاميين (١٤١/١) الفرق بين الفرق ص/٢٢ وفرق الشيعة للنوبختـــى ص/٥٤ ـ ٥٥ .

(٧) مقالات الاسلاميين (١٤١/١).

ب ــ الرافضـــــة :

وهذه فرق كثيرة يجمعها القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى إلى على بالإمامـــــة من بعده ، بنص جلى ، وأظهره وأعلنه بين الناس، وأن الصحابة ارتدوا ــ إلا نفرا يسيـــــرا ــ بمبايعتهم لأبي بكر رضي الله عنه وتركهم الاقتداء بعلي رضي الله عنه ·

وملخص قولهم فى الإمامة يظهر فى الأمور التالية :ــ

١ ــ الإمامة أهم أركان الدين ·

٢ ــ لا تكون الإمامة إلا بالنص والتوفيف ·

٣ ــ يشترط فى الإمام أن يكون افضل الناس ، وأن يكون معصوما من الخطأ والعمد ·

٤ ــ الإمامة بعد النبى صلى الله عليه وسلم لعلي ثم لبنيه من بعده ·

٥ ــ كل إمام ينص على الإمام الذى من بعده ويدل عليه · (١)

وللإمام علامات معينة ــ بزعمهم ــ يعرفه بها شيعته ·(٢)

ولما كان هذا المذهب يقوم على الكذب والافتراء والدعاوي الباطلة فإنه كثر بينهم الاختـــلاف وانقسموا إلى فرق كثيرة بحسب اختلافهم فى تعيين الأوصياء ·

وسنذكر ــ بشكل موجز دون تفصيل أشهر اختلافاتهم فى هذا الجانب بحسب ماهو مذكـــور عندهم فى أحد كتبهم المعتمدة ، ليطلع المسلم على كذبهم فى دعوى الوصية والعصمة ، وليكـــون ذلك دليلا على بطلان مذهبهم ·

الاختلاف الأول : بعد استشهاد على رضى الله عنه :

١ ــ من الشيعة من قال الوصي ابنه محمد بن الحنفية ·

وهذه الفرقة انقسمت بعد موت ابن الحنفية إلى عدة فرق ·

٢ ــ وفرقة قالت الإمام بعد على هو الحسن ثم الحسين ·

الاختلاف الثانى : الذين ساقوا الإمامة إلى الحسين ، اختلفوا بعد وفاته :

١ ــ منهم من قال انقطعت الإمامه بعده·

٢ ــ ومنهم من قال الإمام بعد الحسين ابنه على ·

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين (١/٨٨ ــ ٨٩) فرق الشيعة للنوبختي ص ١٨ـ١٩·

(٢) انظر كتاب الشيعة والتشيع لاحسان إلهى ظهير ص/٢٨٣ ــ ٢٨٧·

الاختلاف الثالث : بعد الإمام الخامس ·

الذين قالوا بإمامة على بن الحسين قالوا الإمام بعده أبوجعفر الباقر محمد بن على بن الحسين وهو الإمام الخامس عندهم ثم إنهم بعد وفاته اختلفوا ·

— منهم من قال الإمام بعده محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب الملقب بالنفس الزكية ، وزعموا أنه المهدى ·

— ومنهم من ساق الإمامة إلى أبي عبدالله جعفر بن محمد بن على الملقب بجعفر الصادق ·

الاختلاف الرابع : وقع فى زمن الإمام السادس عندهم وهو جعفر الصادق ·

١ — فبعض أتباع جعفر الصادق رجع عن القول بإمامته وطعن فيه ورماه بالكذب فى دعوى الإمامة ، لأنه — كما يزعمون — أشار إلى أن الإمامة بعده لابنه إسماعيل وإسماعيل هذا مات فى حياة أبيه جعفر ، وحكوا عن جعفر أنه قال : إن الله عز وجل بدا له فى إمامة إسماعيل ·

٢ — وهناك فرقة بقيت على القول بإمامة جعفر ·

الاختلاف الخامس : بعد إمامهم السادس جعفر الصادق ·

بعد وفاة جعفر اختلفوا ، وانقسموا الى ست فرق ·

١ — بينها فرقة ادعت أن إسماعيل بن جعفر لم يمت،وهو الإمام وتسمى هذه الفرقة الإسماعيلية ، ثم صار لها غلو زائد خرجت به من الإسلام ، ولا تزال هذه الفرقة معروفة بهذا الاسم إلى اليوم ، وهى إحدى الفرق الباطنية التى تزعم أن لكل ظاهر النصوص باطنا ولكل تنزيل تأويلا ، وغرضهم بهذا هدم الدين وابطال شرائعه ·

٢ — ومن بينها فرقة قالت الإمام بعد الصادق ابنه موسى بن جعفر ·

الاختلاف السادس : بعد الإمام السابع موسى بن جعفر الذين قالوا بامامة بن جعفر اختلفوا فى وفاته بعد فى المرة الثانية ·

١ — فمنهم من وقف فى الإمامة عليه ولم يسقها فى غيره ، وادعى أنه المهدى وهؤلاء فرق اختلفت مقالاتهم تبعا لاختلافهم فى موته وحياته ، ورجعته وغير ذلك ·

٢ — ومنهم من قطع بموته ، وساق الإمامة بعده إلى على بن موسى الرضا وتسمى هذه الفرقة القطعية ·

الاختلاف السابـــع : بعد الإمام الثامن على بن موسى ٠

بعد وفاة الرضا تشعبوا إلى فرق :

١ ــ منهم من قال الإمام بعده ابنه أبوجعفر محمد بن على بن موسى ٠

٢ ــ ومنهم من قال الإمام أخوه أحمد بن موسى بن جعفر ٠

٣ ــ ومنهم من رجع إلى الوقف بعد موسى بن جعفر، بمعنى أنهم رجعوا عن القـــول بإمامة على بن موسى ٠

والسبب فى رجوع هذه الفرقة ، وقول التى قبلها بإمامة أحمد بن موسى هو أن محمد بن على الرضا ، كان صغيرا حين مات أبوه ، ومن قولهم أن الإمام لا يكون إلا بالغا ٠

الاختلاف الثامن : بعد الإمام التاسع محمد بن على بن موسى :

الذين قالوا بامامة محمد بن على بن موسى اختلفوا بعد وفاته فيمن يكون الوصى ٠

١ ــ فمنهم من قال الإمام بعده ابنه ووصيه على بن محمد بن على ٠

٢ ــ ومنهم من قال بل أخوه موسى بن محمد بن على ٠

وهوءلاء رجعوا إلى القول بإمامة على بن محمد بن على ٠

٣ ــ فرقة من الذين قالوا بإمامة على بن محمد ادعت النبوة فى محمد بن نصير النميرى وكان يقول إنه نبى بعثه أبوالحسن العسكرى ــ يعنى على بن محمد ــ فادعـــى فى على بن محمد الربوبية ، وكان يقول بالتناسخ وإباحة المحارم وغير ذلك مـــن الاعتقادات الفاسدة ٠

وتسمى هذه الفرقة النميرية ، والنصيرية وهذه لازالت منها بقية فى سوريـــــا وهم الذين يسمون الآن العلويين ٠

الاختلاف السابع : بعد الإمام العاشر على بن محمد بن على

الذين قالوا بإمامة على بن محمد بن على بن موسى اختلفوا بعد وفاته فصـــاروا فرقا ٠

ــ منهم من قال الإمام بعده ابنه محمد ٠

وكان قد توفى فى حياة أبيه ــ وهوءلاء زعموا أنه لم يمت لكن أباه أخفاه خشيـــة عليه ، وزعموا أنه القائم والمهدى ٠

ــ ومنهم من قال الإمام هو الحسن بن على بوصية أبيه له ٠

ــ ومنهم من قال الإمام هو جعفر بن على ٠

الاختلاف العاشر : بعد الإمام الحادى عشر الحسن بن على العسكري.وقع بين الذين قالوا بإمامة الحسن بن على العسكرى وذلك أنه توفى ولم يعرف له ولد ظاهر، فاختلفوا

هل كان له ولد ؟ أم لا ؟ وهل ولد فى حياته ؟ أم بعد وفاته؟

وهل إذا كان له ولد مات ؟ أم لم يزل حيا ؟

فتعددت أقوالهم فى الإمامة إلى أربع عشرة فرقة (١)

وتنص بعض كتب الشيعة المو ثقة عندهم على أن الحسن مات ولم يعقب،ولم يعرف له ولد وادعى أن إحدى جواريه كانت حاملا فوكل بها من يحفظها فتبين لهم بطلان الحمل ، فلما ثبت أنه لا عقب له قسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر بن على ، وثبت ذلك بحضور القاضى وجماعة من الشهود (٢) ومع هذا ففرقة من الشيعة قطعت بأن للحسن ولدا اسمه محمد وهو الإمام الثانى عشر ، وادعوا أنه مستور غائب وهذه إحدى غيباته ، وتسمى هذه الفرقة " الشيعة الإثنى عشرية (٣) . لإيمانها باثنى عشر إماما .

وبعد أن يعرف العاقل اختلاف الشيعة المتكرر فى الوصي يدرك تماما أن القول بالوصية ماهو إلا افتراء ودعوى ليصطاد بها السذج وضعاف العقول ، وليستمر من خلالها تشويه الإسلام وتمزيق شمل المسلمين .

---

(١) انظر فرق الشيعة للنوبختى ص (٢٣ ـ ٩٦) .. وذكرت هنا أهم الفرق والاختلافات التى ذكرها باختصار .

(٢) انظر كتاب الشيعة والتشيع لإحسان إلهى ظهير (ص ٢٨٠ ـ ٢٨١) .

(٣) فرق الشيعة للنوبختى (ص ١٠٢ ـ ١٠٣) .

وهكذا نرى أن الرافضة قد اختلفوا فرقا كثيرة يضلل بعضها بعضا ويكفر بعضها بعضا ،وهذه الفرق التي أشرنا إليها إنما على سبيل المثال ،وإلا ففرقهم كثيرة واختلافاتهم عديدة وهذا شأن أهل الأهواء والبدع والضلالات .

ويستبين العاقل إذا ما عرف ذلك عنهم أن دعوى أن الإمامة لا تثبت إلا بالوصية من السابق للاحق دعوى باطلة وكذب محض وليس أدل على ذلك من اختلافاتهم المتكررة والتي منشأها اختلافهم فيمن يكون الوصي بعد الإمام الذي هلك .

ولكن يهمنا هنا أن نشير إلى ثلاثة فرق من بين هذه الفرق الكثيرة

أولها :الإسماعيلية

نسبة إلى إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ،وقد تقدم أنه قد اختلف في وفاته في حياة أبيه والحق أنه مات قبل أبيه.لكن بعض الشيعة أنكر موته ،وقالوا أن ذلك كان على جهة التلبيس من أبيه على الناس لأنه خاف فغيبه عنهم ،وزعموا أنه لا يموت حتى يملك الأرض ،بينما زعمت طائفة أخرى الإمامة لمحمد بن إسماعيل بن جعفر وهو الإمام السابع التام الذي تم به دور السبعة ثم ابتديء منه بالأئمة المستورين الذين يسيرون في البلاد سرا،ويظهرون الدعاة جهرا .

وقالوا لا تخلو الأرض من إمام حي قائم إما ظاهر متشوف وإما باطن مستور ،وهؤلاء هم الباطنية الذين يقول لكل ظاهر باطن ،ولكل تتريل تأويل ،وهم الغلاة وصنوفهم كثيرة وهم في الحقيقة زنادقة ملحدون ،ويقال لهم القرامطة والمزدكية .

وصارت لهم مقالات فلسفية ووضعوا مؤلفاتهم على هذا المنهاج .

ومن عقائدهم الكفرية :

1–نفي الصفات حقيقة عن الله تعالى ،بل نفي النقيضين فقالوا : الباري تعالى لا نقول موجود ولا لا موجود ،ولا عالم ولا جاهل ،ولا قادر ولا عاجز .

وحقيقة قولهم هذا نفي وجود الرب ولكن يموهون على العوام بمثل هذه الأساليب التي يكون ظاهرها التتريه بزعمهم ولذا فإن بعضهم يزعم أن عليا هو الذي خلق السموات والأرض .

2–يجحدون النبوات وينكرون المعجزات ،ويفسرون النبوة تفسيرا باطنيا خبيثا .

3–يعتبرون القرآن كلام النبي –صلى الله عليه وسلم–وهو تعبير عن المعارف التي فاضت عن العقل الذي هو جبريل .

4–ومن عقائدهم الزائفة بل الكفرية زعمهم أن كل نبي لشريعته مدة فإذا انصرمت نبوته بعث الله نبيا آخر ينسخ شريعته ،ولذا فهم يرون محمد بن إسماعيل أول الأئمة المستورين وأن إمامته كانت بداية دور جديد في تأريخ الدعوة الإسماعيلية قام بنسخ الشريعة التي سبقته يعني شريعة الإسلام الذي جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم–ورفع التكاليف الظاهرة للشريعة ،وبذلك عطلت بقيامه ظاهر شريعة محمد–صلى الله عليه وسلم .

5–ينكرون القيامة ويفسرون النصوص القرآنية المبينة لها بأنها رموز وإشارات إلى خروج الإمام وقائم الزمان وغير ذلك من الهذيان المراد به تحريف الإسلام وتغيير شريعته .

ولذا فهم ينكرون الجنة والنار ويفسرون المعاد الآخروي تفسيرا موافقا لآراء الهندوس والبوذيين .

6–الباطنية تستحل المحرمات ،وتترك التكاليف الشرعية سرا ،ويتظاهرون بها أمام العامة ،ويرون أن التابع يرتقي في الكمال في العلم حتى إذا حصل له الكمال سقطت عنه التكاليف الشرعية وعرف أنها رموز عندهم .

ونشير إلى أن القرامطة نسبة إلى حمدان المعروف بقرمط –من أجل قصر قامته وقصر رجليه وتقارب خطوته– كان قد قوي أمرهم ،واشتد الخطر بهم لا سيما بعد أن أقاموا دولتهم في البحرين بزعامة أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي الذي استولى على هجر والقطيف وما حولها ،وبدأت جيوشه تهدد البصرة والكوفة بل وعاصمة الخلافة بغداد ،ومناطق الشام .وقد عاثوا فسادا في هذه المناطق وقتلوا خلقا كثيرا وأخذوا أموالا طائلة وخافهم الناس خيفة شديدة ووصلوا في حروبهم إلى دمشق ،وقتلوا من أهلها خلقا كثيرا ونهبوا أموالها وهكذا كان يفعل هؤلاء الزنادقة يقتلون أهل الإسلام ويدمرون ديار المسلمين ،وقد تمكن أبو طاهر الجنابي أحد زعمائهم من الوصول إلى مكة يوم التروية سنة317هـ فقتل الحجيج في رحاب مكة وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة خلقا كثيرا .

وطغى وتكبر فجلس على كرسي ،وكان يقول فيما يذكر عنه "أنا الله وبالله أنا أين الطير الأبابيل ؟ وأين الحجارة من سجيل ؟ قبحه الله ولعنه .

واقتلعوا الحجر الأسود ،ونقلوه إلى بلادهم ومكث عندهم اثنين وعشرين سنة ثم أعيد إلى مكة .

وفي هذه الأثناء كان أمر الشيعة يفشو ،وعددهم يزداد ونشاطهم يقوى مستغلين ضعف الخلافة العباسية حتى أسسوا الدولة البويهية التي كان يتزعمها أبناء بويه (علي وحسن وأحمد) في مناطق واسعة من الري وهمذان وكرمان والأهواز وما جاورها .

ولما ضعفت الخلافة العباسية استقدموا أحمد بن بويه إلى بغداد(344هـ) فأصبح أمر الخلافة بيده و لم يبق للخليفة إلا الإسم .

واستمرت دولتهم الرافضية تحكم المسلمين وتنشر المذهب الرافضي على مذهب الإمامية الإثنى عشرية إلى أن خلص الله المسلمين من شرهم سنة 437هـ.

وقد قويت الشيعة في عهدهم فأظهروا المآتم في مناسباتهم المبتدعة خاصة يوم عاشوراء ،وأعلنوا سب الصحابة وكتبوا على أبواب المساجد لعن الله من غصب فاطمة حقها ،ولعن الله من أخرج العباس من الشورى ،ومن نفى أباذر ،هذا مع لعن معاوية رضي الله عنه .عليهم من الله ما يستحقون .

وجهر الشيعة في الآذان بـ (حي على خيرالعمل)

-الدولة العبيدية الرافضية الملحدة (297–567هـ)

وقد نشط دعاة الإسماعيلية في المغرب وأقاموا لهم دولة هناك سنة 297 في تونس ،وقوي أمرهم ونشروا مذهبهم في مناطق واسعة واستطاعوا أن يغزو مصر ويستولوا عليها سنة358 في شعبان ،وفي هذه السنة شرع جوهر الصقلي قائد الجيش الذي فتح ديار مصر ببناء القاهرة ،وانتقل إليها إمامهم من المغرب .

وادعى أئمة هذه الدولة أنهم من نسل فاطمة رضي الله عنها فصار يقال لهم الفاطميين ،وهم كذبة لا صلة لهم بعلي وفاطمة رضي الله عنها ،بل هم قوم يتلبسون بالرفض وباطنهم الكفر المحض قبحهم الله .

وقد استطاعوا أن يمدوا نفوذهم ليشمل الشام والحجاز وغير ذلك بالإضافة إلى المغرب .

وكان أول من ملك منهم يهوديا ،كان أبوه يهوديا صباغا بسلمية ،دخل المغرب وتسمى بعبيد الله المهدي وادعى أنه شريف علوي فاطمي ،وقد راج له ما افتراه في تلك البلاد وآزره جماعة من الجهلة ولذا فينبغي أن يقال لدولتهم الدولة العبيدية .

يقول ابن كثير عن ملوك الفاطميين :"وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء وأكثرهم مالا وكانوا من أغنى الخلفاء وأجبرهم وأظلمهم ،وأنجس الملوك سيرة ،وأخبثهم سريرة ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات وكثر أهل الفساد ،وقل عندهم الصالحون من العلماء والعباد ،وكثر بأرض الشام النصرانية والدرزية والحبشية .

وقد أزال الله دولتهم على يد صلاح الدين الأيوبي سنة567هـ،والخلفاء العبيديون هم أول من احتفل برأس السنة ويوم عاشوراء ومولد النبي -صلى الله عليه وسلم- ومولد علي والحسن والحسين ،وفاطمة بالإضافة إلى مولد الخليفة الحاضر ،ولهم أعياد أخرى استحدثوها .

النصيرية

وهذه فرقة تنتسب إلى رئيسها محمد بن نصير النميري وكان هذا من الشيعة الذين ساقوا الإمامة إلى علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر .

فادعى هذا النميري النبوة وتابعته طائفة من الشيعة ،وكان يقول بالتناسخ ،والغلو في الإمام أبي الحسن علي بن محمد ،ويبيح المحارم وفعل قوم لوط وغير ذلك من منكرات الأقوال والآراء والمعتقدات والأعمال التي يريدون بها هدم الإسلام وتغيير عقيدته وشريعته وإدخال الناس في دين آخر غير الإسلام الذي نزل به جبريل على محمد -صلى الله عليه وسلم-وبلغه محمد صلى الله عليه وسلم أمته فما من موقف يتمكنون فيه من إلحاق الضرر بأهل السنة إلا استغلوه فهم دائما يكونون عونا لكل غاز لديار المسلمين .

وتذكر الشيعة الإثنا عشرية أن إمامهم الحادي عشر الحسن العسكري كان شديد التحذير منه شديد السخط عليه ،وقد كان يدعي أنه الباب إلى الإمام الثاني عشر المزعوم المسمى كذبا محمدا ،وهو الذي لم يخلقه الله ،وإنما افتراه الرافضة ليستمر مذهبهم الباطل المخالف للإسلام .

وقد مات هذا المبتدع الكافر الملحد محمد بن نصير سنة 260هـ أو270هـ ولكن أتباعه لا زالوا إلى هذا الزمن ،ويتركز تواجدهم في سوريا وخاصة اللاذقية ،ولما دخل الإستعمار الفرنسي بلاد الشام اكتسبوا شيئا من القوة ،وصار يقال لهم العلويون ،وتمكنوا أخيرا من رئاسة الدولة وأحكموا السيطرة عليها فزاد نفوذهم وعظم البلاء بهم .

الشيعة الإمامية

وهؤلاء هم أشهر فرق الروافض ،وهم الذين يعنون في الغالب عند إطلاق إسم الشيعة ،وهم أكثر فرق الشيعة وأكثرهم انتشارا ،وهم القائمون على نشر مذهب الرفض والمعول له بشتى الطرق ،وإليها ينتمي أكثر الشيعة في العراق وباكستان والإحساء والبحرين والكويت .

ومن أسمائهم :

1-الإمامية : إما لأنهم يرون الإمامة أهم مطالب الدين وأشرف مسائل المسلمين .

وإما لأنهم يجعلون الإمامة لعلي رضي الله عنه نصا من النبي-صلى الله عليه وسلم-ثم لبنيه من بعده بزعمهم .

وإما لإيمانهم بالإمام المنتظر الموهوم .

2-الإثنا عشرية :وذلك لأنهم يؤمنون بإمامة اثنا عشر رجلا من آل البيت الأول علي رضي الله عنه ثبتت إمامته بنص من النبي-صلى الله عليه وسلم - ثم نص هو على الحسن ،والحسن نص على إمامة الحسين وهكذا كل إمام ينص على الإمام الذي من بعده هكذا زعموا .

وقد جعلوا الإمامة في ذرية الحسين رضي الله عنه وأئمتهم بعدهم هم :

علي بن الحسين ت(94هـ وأمه جهانشاه بنت يزدجر آخر ملوك فارس)

محمد بن علي (الباقر) ت(114هـ) وقيل(119هـ)

جعفر بن محمد (الصادق) ت(148هـ)

موسى بن جعفر (الكاظم) ت(183هـ)

علي بن موسى (الرضي) ت(203هـ)

محمد بن علي (الجواد) ت(220هـ)

علي بن محمد (الهادي) ت(254هـ)

الحسن بن علي العسكري ت(260هـ)

القائم أو الحجة وهو الإمام الموهوم المختلق ،ويزعمون أنه ولد للحسن العسكري وقد عرفنا أنه مات عن غير عقب .

3-الجعفرية :نسبة إلى جعفر بن محمد أبو عبد الله الصادق الذي ينسبون إليه معظم أصول مذهبهم وفروعه ،وهو بريء من أكاذيبهم وقد تبرأ منهم ومن اعتقاداتهم الباطلة .

4-الرافضة : وقد تقدم ذكر ذلك .

5-الخاصة :

وهذا الوصف أطلقوه على أنفسهم وأهل مذهبهم تمييزا لهم عن العامة يعني أهل السنة .

ذكر بعض آرائهم الضالة واعتقاداتهم الزائفة

- قولهم في الإمامة

هذه هي القضية الأولى عندهم والحديث عنها وبيان أحكامها أهم مطالب الدين ، وقد افترضوا كذبا وزورا أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قد نص على إمامة علي رضي الله عنه ،ولكن القوم يعني الصحابة رضوان الله عليهم جحدوا ذلك وتمالؤوا عليه ومنعوه منها وبايعوا أبا بكر ظلما وجورا فكفروهم بذلك .

لقد افترى هؤلاء هذه الفرية العظيمة وبنوا عليها أساس نحلتهم وتخيلوا عداوة وهمية بين أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم-وآل بيته وخاصة علي وذريته وأمعنوا في ذلك وجعلوا بغض الصحابة وكراهيتهم لا سيما الخلفاء الثلاثة دينا يعلمونه أبناءهم منذ طفولتهم الأولى وتنبت لحومهم وأجسادهم على ذلك .

ومما يبين بطلان هذه الفرية :

1-أي حاجة للمهاجرين والأنصار وهم الذين آمنوا بهذا الرسول -صلى الله عليه وسلم -واتبعوه وفدوه بأنفسهم وأموالهم وأولادهم أي حاجة ومصلحة لهم في تولية أبي بكر ،وترك علي رضي الله عنه لو كان النبي -صلى الله عليه وسلم- أوصى له ؟ وكيف يرضى بذلك بنو هاشم وبنو أمية وعم أقرب الناس بالنبي-صلى الله عليه وسلم-وأعز عشيرة في قريش والحق أن بيعة أبي بكر رضي الله عنه كانت بإجماع الصحابة لم يتخلف أحد عن مبايعته لما علموا من فضله وسابقته إلى الإسلام.

وقد بايعته بنو هاشم ومنهم علي بن أبي طالب إما في اليوم الأول أو الثاني وهذا هو المتعين من هؤلاء الصفوة الذين اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فهم الذين نصروا الدين ،وجاهدوا في سبيل الله مع رسول الله حق الجهاد يبتغون رضوان الله ،وهم الذين قاموا بالإسلام من بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم - وجاهدوا في نشره و تبليغه وتعليمه للناس .

فمن الممتنع عقلا أن يتمالأ الصحابة على خلاف ما ثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وهم خير الناس وصفوة الخليقة وقد أخبر الله أنه رضي عنهم ورضوا عنه وإن من ظن بهم ذلك فهو الجاهل البليد أو الكذاب الأثيم ،مع أن تلك الدعوى ترجع بالنقص على النبي-صلى الله عليه وسلم- وهو بريء من ذلك .إذ كيف يكون أصحابه تنطوي أخلاقهم على مثل تلك الأخلاق ؟ فأين تربيته ؟ وأين توجيهه ؟ معاذ الله كبرت كلمة تخرج من أفواههم .

2-إن بيعة أبي بكر تمت بإجماع من الصحابة وفيهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ،وبموافقة من بني هاشم جميعا بما فيهم علي رضي الله عنه .

فقد ذكر الحافظ أبو بكر البيهقي بإسناده إلى أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال :قبض رسول الله- صلى الله عليه وسلم واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة وفيهم أبو بكر وعمر ،قال :فقام خطيب الأنصار فقال :أتعلمون أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين ،ونحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره ،قال :فقام عمر بن الخطاب ،فقال : صدق قائلكم أما لو قلتم غير هذا لم نبايعكم وأخذ بيد أبي بكر ،وقال :هذا صاحبكم فبايعوه ،فبايعه عمر ،وبايعه المهاجرون والأنصار ،قال:فصعد أبو بكر المنبر فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير ،قال:فدعا الزبير فجاء فقال : قلت ابن عمة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين ،فقال لا تثريب يا خليفة رسول الله فقام فبايعه ،ثم نظر في وجوه القوم فلم ير عليا فدعا بعلي بن أبي طالب فجاء فقال:قلت ابن عم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وختنه على ابنته أردت أن تشق عصا المسلمين ،قال :لا تثريب يا خليفة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فبايعه "

قال الحافظ ابن كثير بعد أن ساق الرواية السابقة في البداية والنهاية (249/5)

" فيه فائدة جليلة ،وهي مبايعة علي بن أبي طالب إما في أول يوم أو في اليوم الثاني من الوفاة ،وهذا حق فإن علي بن أبي طالب لم يفارق الصديق في وقت من الأوقات ،ولم ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه ... وخرج معه إلى ذي القصة لما خرج الصديق شاهرا سيفه يريد قتال أهل الردة.

ويؤيد صحة مبايعة علي رضي الله عنه لأبي بكر ما ذكر موسى بن عقبة في مغازيه عن سعد بن إبراهيم قال حدثني أبي أن أباه عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر وأن محمد بن مسلمة كسر سيف الزبير ،ثم خطب أبو بكر واعتذر إلى الناس ،وقال :ما كنت حريصا على الإمارة يوما ولا ليلة ،ولا سألتها في سر ولا علانية ،فقبل المهاجرون مقالته ،وقال علي والزبير :ما غضبنا إلا لأنا أخبرنا بالمشورة وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها ،إنه لصاحب الغار وإنا لنعرف شرفه وخيره ،ولقد أمره رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يصلي بالناس وهو حي " البداية والنهاية 250/5

فمبايعة علي رضي الله عنه وبقاؤه مع أبي بكر يصلي خلفه ،ويعينه برأيه ،ويطيع أمره لدليل صريح على كذب دعوى الوصية ،ولم يدع علي رضي الله عنه أن النبي -صلى الله عليه وسلم-قد عهد إليه بالخلافة .

3-قد علمنا أن الزعم بأن النبي-صلى الله عليه وسلم-كان قد أوصى بالخلافة إلى علي إنما هو بذرة اليهودي الحاقد عبد الله بن سبأ وبدأت المقالة تنتشر في زمن خلافة علي.

ومما يدل على كذب هذه الدعوى ما أخرجه البيهقي بإسناده إلى شقيق بن سلمة قيل لعلي بن أبي طالب:"ألا تستخلف علينا؟ فقال:ما استخلف رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فأستخلف ولكن إن يرد الله بالناس خيرا فسيجمعهم بعدي على خيرهم كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم"

أخرجه البيهقي في الاعتقاد ص 184 ،وذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية 251/5،وقال: إسناده جيد.

فهذا تصريح من علي-رضي الله عنه-بأن النبي-صلى الله عليه وسلم- لم يستخلف،وتصريح بصحة خلافة أبي بكر وفضله.

4-ومما يدل على زيف هذه الدعوى أن العباس-رضي الله عنه-طلب من علي-رضي الله عنه-في مرض النبي-صلى الله عليه وسلم-فقال:"فاذهب بنا نسأله فيمن هذا الأمر؟ فإن كان فينا عرفناه،وإن كان في غيرنا أمرناه فوصاه بنا،فقال علي:إني لا أسأله ذلك،والله إن منعناها لا يعطيناها الناس بعده أبدا" أخرجه البخاري في صحيحه.

وفي رواية محمد بن إسحاق صاحب السيرة أن ذلك كان يوم الاثنين الذي توفي فيه رسول الله-صلى الله عليه وسلم.

وهذا أيضا بين الدلالة في أن النبي-صلى الله عليه وسلم- لم يصرح في أمر الخلافة لأحد من الناس لا علي ولا أبي بكر ولا غيرهما إلى يومه الذي مات فيه وهذا فيه أبلغ الرد على أولئك الزنادقة الذين افتروا تلك الفرية،وكفروا وضللوا الصحابة الذين بايعوا أبا بكر، وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه وما ذلك من أولئك إلا حقدا على الإسلام وكيدا له وبغضا لرجاله الذين حملوه وأزالوا دولهم وأظهروا باطل دياناتهم.

5- ومما يدل على ذلك أيضا أن عليا بايع عمر،ومن بعده عثمان وسمع لهم وأطاع،وكان يستشيرانه فيشير عليهما وينصح لهما،ويتعاون معهما على الخير والبر،إخوة متحابين وأنصارا متعاونين لا كما يزعم هؤلاء الحاقدين.

6- إن عليا رضي الله عنه موصوف بالشجاعة الفائقة والأنفة الزائدة والشدة في دين الله فكيف يعطي الدنية في دينه وهو من هو في شجاعته وكثرة عشيرته(بنو هاشم وبنو أمية)فكيف يتابع أبا بكر وهو من عشيرة قليلة العدة،وليست بالشهرة والمكانة في مترلة بني عبد مناف .

ومن المعروف عنه أنه كان يجهر بآرائه وإن كانت تخالف رأي الخلفاء فكم من قضية خالف فيها عمر ورجع عمر إلى قوله،وكم من قضية خالف فيها عثمان وصرح بذلك و لم تمنعه هيبة الخليفة وكثرة السامعين المطيعين للخليفة من الصدع بالحق الذي يراه.

فقد أخرج البخاري في صحيحه عن سعيد بن المسيب قال :"اختلف علي وعثمان-رضي الله عنهما-وهما بعسفان في المتعة،فقال علي:ما تريد إلا أن تنهى عن أمر فعله النبي-صلى الله عليه وسلم-فلما رأى ذلك علي أهل بهما جميعا ؛ وفي رواية قال:ما كنت لأدع سنة النبي-صلى الله عليه وسلم-لقول أحد" انظر صحيح البخاري(1569؛ ح/1563)

أفيجهر علي بالحق الذي يراه في مسألة فرعية من أمور الدين لما رأى فيها عثمان قد خالف السنة التي يعلمها من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-ولا يتدثر بالتقية التي يزعمون،ولا يخاف أحدا في ذلك في حين أنه يكتم وصية النبي-صلى الله عليه وسلم-له بالخلافة ولا يجهر بها ولا يدعو الناس إلى بيعته والاعتراف بإمامته، مع أن الإمامة عندهم أصل الدين وعموده، خوفا من الأذى

إن من يزعم ذلك في حق علي-رضي الله عنه-يكون قد رماه بأعظم نقيصة واتهمه بأنه قصر في دين الله تقصيرا بليغا؛ ولذا قال الحسن بن علي بن أبي طالب مفندا دعوى الوصية المزعومة:"والله إن كان الله ورسوله اختارا عليا لهذا الأمر،والقيام للمسلمين به من بعده ثم ترك علي ما اختاره الله ورسوله أن يقوم به حتى يعذر فيه إلى المسلمين إن كان أحد أعظم ذنبا ولا خطيئة من علي إذ ترك ما اختار الله له ورسوله حتى يقوم فيه كما أمره الله ورسوله" أخرجه الخلال في السنة رقم 465

7- ومن دلائل كذب هذه الدعوى تلك العلاقة الوثيقة بين علي-رضي الله عنه-وبين أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم-وخاصة الخلفاء الثلاثة،وبين بنيه وبينهم،فما كان بينهم إلا الود والمحبة والألفة .

- فهذا علي يتزوج أسماء بنت عميس بعد أن توفي عنها أبو بكر وينشأ محمد بن أبي بكر في حجر علي-رضي الله عنه.
- وهذا عمر يتزوج من أم كلثوم بنت علي -رضي الله عنه-ولكن الرافضة كعادتهم في البهتان وتقليب الحقائق ادعوا أن هذا الزواج كان غصبا ولذا نسبوا إلى جعفر أنه قال :"إن ذلك فرج غصبناه" ،ذكره أبو القاسم الكوفي في كتابه(الإغاثه في بدع الثلاثة)ذلك الكتاب الذي حشد فيه هذا الخبيث الأكاذيب والترهات في مساوئ أبي بكر وعمر وعثمان أولئك الأخيار الذين هم من السابقين الأولين من المهاجرين وهم بإجماعهم أفضلهم وخيرهم. انظر تبديد الظلام وتنبيه النيام ص 270،وانظر أيضا كتاب فروع الفروع للكليني 247/5

وحينما أدرك بعضهم أن دعوى الغصب في مثل هذا الأمر لا يقبلها ذو عقل،ولا تصح شرعا من علي-رضي الله عنه-إذ كان القوم يعتقدون أن عمر كان قد كفر بجحد ولاية علي،فكيف يزوج علي الكافر؟ وأين حمية عرضه؟وهل بلغ به الخور والضعف وحب الدنيا أن تغصب ابنته؟حقا إن هذا من أبين الدلائل على كذبهم وتزويرهم وبهتانهم وحقدهم على الإسلام ورجاله المخلصين.

حينما أدرك بعضهم شناعة هذا القول اختلق تفسيرا مضحكا ينادي على أهل الرفض قبحهم الله بالسفاهة وقلة البصيرة بل انعدامها فزعم أن التي تزوجها عمر ليست أم كلثوم بنت علي بل جنية من أهل نجران يقال لها سحيفة أمرها علي فتمثلت في مثال أم كلثوم وبعث بها إلى الرجل فلم تزل عنده..

ثم ألصقوا هذا الخبر كعادتهم بجعفر الصادق ليروج الحمقى من الرافضة؛وجعفر من هذا بريء ؛ ثم ألا يعجب العاقل كيف ينسبون إلى جعفر-رحمه الله-تفسيرين مختلفين لهذه القضية؟

لكن العاقل لا ينسى أن رداءهم الذين يخفون وراءه تناقضهم يسع كل افتراء، ولا يضيق عن الكذب لو ملأ الأرض والسماء ،إنه رداء التقية الذي يفزعون إليه حينما يقعون في التناقض لئلا تستبين تلك الجماهير حقائق الأمور؛ ومتى يستبين أولئك الهمج الرعاع إذا كانوا قد أعتقوا أمامهم مسالك العلم،وسدوا طرق النظر والتفكير السليم؟

8- لو كان النبي-صلى الله عليه وسلم-عهد إلى علي بالخلافة لما أمر أبا بكر بالصلاة بالناس دونه،وتقديم أبي بكر ليصلي بالناس بضعة أيام من مرض النبي-صلى الله عليه وسلم-وعلي في هذه المدة يأتم به من أظهر الأدلة على فضل أبي بكر وفيه إشارة إلى أنه هو الإمام من بعد النبي-صلى الله عليه وسلم.

9- ومن الدلائل البينة على بطلان مذهب الرافضة في الإمامة هو ما ذكرنا سابقا من اختلافاتهم المتكررة من بعد استشهاد الحسين بن علي-رضي الله عنه،وادعى كل فرقة منهم أن الإمام فلان،وقد استمر معهم هذا الافتراق والاختلاف بعد كل إمام يزعمونه،وكلهم شيعة ،وكلهم يدعون القول بوجوب النص من الإمام السابق على الإمام اللاحق.

إن هذا الاختلاف لمن أوضح البراهين على كذبهم في هذه الدعوى لم يقتصر شرها على تفريق أمة المسلمين،بل وصل إلى تمزيق الرافضة نفسها إلى شيع يكفر بعضها بعض،وفتحوا بذلك طريقا واسع للملاحدة الباطنية،وما هم منهم ببعيد.

10- تزعم الرافضة أن الإمام حجة الله على خلقه،فماذا انتفعت الأمة من إمامة الحسين-رضي الله عنه-المزعومة،ومن بعده؟

بل قد جرى من هذه الإمامة المزعومة الموهومة ما يتنزه الله-عز وجل- عنها فلا تكون من دينه وشريعته،فمع بطلانها نجد أن هؤلاء الحمقى قد غلوا في أئمتهم غلوا تجاوز كل حد.

فهم يعلمون الغيب،وعندهم علم النبي وجميع الأنبياء والأوصياء الذين من قبلهم،وعندهم جميع الكتب التي نزلت من عند الله، ويعرفونها بكل لسان،وعندهم عصا موسى،وألواحه،وحجر موسى الذي ضربه فانفجر منه الماء يكون مع إمامهم المنتظر.

إلى غير ذلك من الترهات والأباطيل التي لا تروج على عقلاء الصبيان.

أدلة الرافضة:

قد ذكرنا من قبل أن الإمامة عند الرافضة هي قطب الدين وأساسه،وقد علمنا أيضا أن هذا الأصل الأصيل في دينهم هو من وضع عبد الله بن سبأ اليهودي الحاقد الذي تظاهر بالإسلام ليغيره ويبدله كما بدل بولس اليهودي الدين الذي جاء به المسيح، فصار دين النصارى هو ذلك الدين الذي وضع أصوله بولس لا دين عيسى عليه السلام.

وهكذا أراد ابن سبأ،وتبعه على ذلك كل من أراد طمس هذا الدين والكيد له بعد عجزوا عنه مجابهة في ساحة القتال واعيدتهم لحيله في وقف انتشاره لجأوا إلى هذه الحيلة وهي نقض الإسلام من داخله وهدم باسمه.

فعبد الله بن سبأ باعتراف الرافضة أنفسهم هو أول من ادعى هذه المقالة وزعم أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قد أوصى لعلي بالخلافة؛ فهذا أحد علمائهم المتقدمين وهو الحسن بن موسى النوبختي ذكر عبد الله بن سبأ وقال عنه:"وكان ممن أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم"

وقال أيضا:"وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عليه السلام أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا عليه السلام،وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة،فقال في إسلامه بعد وفاة النبي-صلى الله عليه وسلم-في علي عليه السلام بمثل ذلك وهو أول من شهر القول بفرض إمامة علي بن أبي طالب وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه.." انظر فرق الشيعة ص22

وقال سعد بن عبد الله القمي عن عبد الله بن سبأ:"وكان أول من أظهر الطعن على أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم.." ؛ وذكر نحو كلام النوبختي السابق. المقالات والفرق 19-20

فهذان عالمان من علماء الشيعة في القرن الثالث الهجري قد ذكر أن عبد الله بن سبأ هو أول من أظهر الطعن في الصحابة عموما وخاصة الخلفاء الراشدين الثلاثة،وهو أول من أظهر القول بالوصية بالخلافة من النبي-صلى الله عليه وسلم-لعلي-رضي الله عنه ؛ وبعد ذلك يحاول الرافضة أن يستدلوا لهذه الفرية التي أصبحت عقيدة من عقائدهم بل أساس دينهم يقوم عليها.

يقول محمد حسين آل كاشف الغطا:"إن الإمامة منصب إلهي كالنبوة فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة،ويؤيده بالمعجزة التي هي كنص من الله عليه..فكذلك يختار للإمامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه،وأن ينصبه إماما للناس من بعده" أصول الشيعة ص58

ثم راحوا يبنون عقائد أخرى تخدم قضية الإمامة وتتفرع عنها وتسد الباب أمام محاولة اكتشاف أساليب الكذب والتمويه،ثم يختلقون أدلة لتلك العقائد ،وبراهين لتلك الفرى يتشبثون بها أمام عوامهم

وهذه الشبه التي استندوا إليها فيما يخالف الحق الذي عليه أهل السنة وتظافرت عليه نصوص الكتاب والسنة ،يمكن تقسيمها إلى :

- **القسم الأول**: أحاديث صحيحة فيها دلالة على فضل علي-رضي الله عنه-وهذه مثلها جاء في حق غير علي-رضي الله عنه-من الصحابة،وما جاء في حق الخلفاء الثلاثة أكثر وأبلغ في الدلالة على الفضل والأفضلية؛ وقد تأول الرافضة تلك الأحاديث التي جاءت في فضل علي-رضي الله عنه-على إمامته،وليس فيها دلالة على ذلك.
- **القسم الثاني**:روايات مختلقة وأحاديث مفتراة ينسبونها إلى النبي-صلى الله عليه وسلم-أو إلى بعض الصحابة علي أو غيره .
- **القسم الثالث**:روايات مكذوبة وأخبار موضوعة يضعونها إلى ألسنة أئمتهم الذين ادعوا فيهم العصمة.
- **القسم الرابع**: آيات قرآنية لووا أعناقها وفسروها تفسيرا باطنيا لتدل على مسألة الإمامة؛أو ادعوا أنها حذف منها ما يدل على إمامة علي والوصية له.

هذه أنماط أدلتهم على أهم مسائل دينهم.

سنقتصر فيما يلي في النظر إلى القسم الأول منها لأنه هو الذي يحتاج إلى الرد عليه وبيان ما فيه من الاستدلال الباطل وما عداه من الأقسام يكفي في إبطاله الوقوف عليه فإن الكذب الصريح لا يخفى على من نور الله بصيرته ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور.

من الأدلة الصحيحة التي احتجوا بها:

أ. عن جابر قال :"كنا بالجحفة بغدير خم ،فخرج علينا رسول الله-صلى الله عليه وسلم-من خباء فسأل أو قال فأخذ بيد علي-رضي الله عنه- فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه" أخرجه ابن شيبة في المصنف59/12 ،وابن أبي عاصم في السنة 590/2 ،وغيرهما.

وتضيف الرافضة فيه:"اللهم وال من والاه وعاد من عاداه،وانصر من نصره،واخذل من خذله فقال:عمر:بخ بخ أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة"

فهذه الزيادة كذب مفتراة كما هي عادة الرافضة؛ احتجوا بهذا الحديث على أن عليا هو الإمام بعد النبي-صلى الله عليه وسلم- وقالوا:المراد بالمولى هنا الأولى بالتصرف.

الرد:

ليس الحديث في الولاية التي بمعنى الخلافة والإمارة،وإنما هو في الولاية التي تتضمن معنى المحبة والقرب والنصرة ؛ وقد ورد الحديث بلفظ"من كنت وليه فعلي وليه" أخرجه النسائي في خصائص علي رضي الله عنه رقم80

فالمولى هنا بمعنى الولي كلاهما يدل على المحبة والقرب والنصرة ، كما قال تعالى:{ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا..} المائدة/55

وقال تعالى:{وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير} التحريم/4

فقد دلت الآيتان على أن النبي-صلى الله عليه وسلم-ولي المؤمنين وهم مواليه أيضا؛ ودلت الأولى على أن المؤمنين بعضهم ولي بعض،وقد جاء ذلك منصوصا عليه بقوله تعالى:{والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض} التوبة/71

وهذه الموالاة التي تتضمن المحبة والنصرة حاصلة من الطرفين وهذا بخلاف الولاية التي بمعنى الإمارة والخلافة فإنها تحصل من طرف ذي سلطان؛ والوصف المشتق من الولاية بهذا المعنى هو(والي)، والحديث جاء بلفظ مولى وولي مما يدل على أن الولاية المذكورة فيه هي التي ضد المعاداة.

وإذا كان الأمر كذلك فلا شك أن عليا -رضي الله عنه-مولى لكل مؤمن بهذا الاعتبار فإنه -رضي الله عنه-من أهل بيت النبي-صلى الله عليه وسلم-ومن السابقين إلى الإسلام والمهاجرين الأولين يستحق كل تقدير وتعظيم ومحبة وإجلال.

وفي هذا الحديث فضل إثبات إيمان علي في الباطن،والشهادة له بأنه يستحق الموالاة باطنا وظاهرا وذلك يرد ما يقوله فيه أعداؤه من الخوارج والنواصب" انظر منهاج السنة 7/322-324 بتصرف

وتخصيص علي بالذكر في هذا الحديث كان لسبب اقتضاه،لأن الموالاة المضادة للمعاداة حكمها ثابت لكل مؤمن.

ومن وجه آخر فإن الحديث يدل على أن كون علي مولى كل مؤمن،وولي كل مؤمن وصف ثابت له في حياة النبي-صلى الله عليه وسلم-وبعد وفاته ،وهذا يمنع أن يكون المراد بالموالاة المذكورة في الحديث الخلافة لأنها لا تثبت لأحد إلا بعد وفاة النبي-صلى الله عليه وسلم.

ب.عن سعد بن أبي وقاص قال:"خلف رسول الله-صلى الله عليه وسلم-علي بن أبي طالب في غزوة تبوك؛فقال :يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال:أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي." متفق عليه خ/4416؛م/2404

قال الرافضة إن النبي-صلى الله عليه وسلم-جعل لعلي منه جميع منازل هارون من موسى ما عدا النبوة ،ولو عاش هارون بعد موسى لكان خليفته،فكذلك يكون علي هو الخليفة من بعد النبي-صلى الله عليه وسلم.

وجه الرد عليهم:

1)واضح من سياق الحديث أن عليا -رضي الله عنه-توهم أن في هذا الاستخلاف انتقاصا له،لأنه لم يبق في المدينة إلا النساء والصبيان،أو من هو معذور لعجزه أو من هو منافق وفيها تخلف الثلاثة الذين تيب عليهم ؛ فبين له النبي-صلى الله عليه وسلم-أن الاستخلاف ليس بنقص ولا فيه غض من المستخلف؛ فلو كان فيه نقص لما فعله موسى بهارون،فترضاه النبي-صلى الله عليه وسلم-وبين أن جنس الاستخلاف يقتضي كرامة المستخلف وأمانته،لا يقتضي إهانته وتخويفه.

2)ثم هذا من تشبيه الشيء بالشيء وهذا يكون بحسب ما دل عليه السياق لا يقتضي المساواة في كل شيء،وسياق الحديث يدل على أن عليا من النبي-صلى الله عليه وسلم-بمنزلة هارون من موسى في الاستخلاف في مغيبه؛ وهذا الاستخلاف ليس من خصائص علي-رضي الله عنه-بل ولا هو مثل سائر استخلافاته فضلا من أن يكون أفضل منهما،فقد كان النبي يستخلف على المدينة في كل مرة يخرج عنها،وقد كان يبقى فيها رجال كثيرون.

3) ليس في لفظ الحديث ما يدل على اختصاص علي بهذه المنزلة،لأن الاستدلال بذلك بناء على دلالة مفهوم اللقب،وهذا المفهوم أضعف المفاهيم وجمهور أهل الأصول والفقه لا يحتج به ؛ فإذا قيل:[محمد رسول الله] لم يكن هذا نفيا للرسالة عن نوح وغيره ، فكذلك الأمر ههنا.

فكل من استخلفهم النبي-صلى الله عليه وسلم-على المدينة هم بهذا الاعتبار منه بمنزلة هارون من موسى؛ وتخصيص علي بالذكر ههنا كان لسبب يقتضيه،وهو كونه خرج باكيا يشتكي تخليفه مع النساء والصبيان؛ والتخصيص بالذكر إذا كان لسبب يقتضيه لم يقتض الاختصاص بالحكم، فلا يحتج بمفهوم اللقب في مثل هذه الحالة باتفاق العلماء.

4)ولا يصح الاستلال على تعين علي للقيام بالأمر من بعد النبي-صلى الله عليه وسلم-بمجرد استخلافه له لأن هذا الاستخلاف قد زال بعد أن رجع النبي-صلى الله عليه وسلم-إلى المدينة فزال تبعا لذلك حكمه.

ولو صح الاستلال بالاستخلاف على الخلافة من بعده لشارك عليا في هذا الأمر كل من استخلفه النبي-صلى الله عليه وسلم-من الصحابة على المدينة قبل علي-رضي الله عنهم- ولكان أولاهم بالخلافة بعد النبي-صلى الله عليه وسلم-من استخلفه على المدينة حين خرج إلى مكة حاجا لأن هذا آخر استخلاف والحكم للآخر.

بعض عقائد الإمامية

نود الإشارة في بداية الحديث عن عقائد هذه الطائفة إلى أن هذه الفرقة قد سلكت مسالك المعتزلة في مسائل كثيرة من أمور العقيدة، وخاصة فيما يتعلق بصفات الله تعالى،والقدر ؛ولذا فلن نتحدث عن عقائدهم في هذه الأبواب ،وإنما سننبه إلى تلك العقائد التي تنفرد بها هذه الطائفة عن أهل السنة بالمفهوم العام.

ومن أوضح عقائد هذه الطائفة والتي فارقت فيها أهل السنة والجماعة قاطبة،ما يلي:

1- الإمامة: وقد ذكرنا عقيدتهم فيها وفصلنا بعض الشيء في بطلان هذه العقيدة المفتراة، والتي أول من وضعها اليهود وأكمل بناؤها الزنادقة.

2- عصمة الإمام.

3- قولهم في تحريف القرآن.

4- التقية.

5- البداء.

6- الرجعة.

7- الغيبة.

8- معتقدهم في الصحابة.

وسنتناول بمشيئة الله تعالى هذه المسائل على وجه الإيجاز، ولا أظننا نحتاج إلى بيان زيفها وفسادها إذ تصور رأيهم ومعرفته كافٍ في إعلان فساده وشاهدٍ ببطلانه.

2.عصمة الأئمة:

الإمامة عند الرافضة منصب إلهي -كما سبق-تثبت بالنص لا بالاختيار،وهذه أساس ملتهم ويتفرع عنها القول بعصمة أئمتهم المزعومين،فصار الإيمان بذلك من المبادئ الأولية في كيانهم العقدي؛ فهذا محمد باقر المجلس وهو أحد كبار علمائهم المتأخرين يقرر إنهم اتفقوا "على عصمة الأئمة عليهم السلام من الذنوب صغيرها وكبيرها، فلا يقع منه ذنب أصلا ولا عمدا، ولا نسيانا ولا لخطأ في التأويل، ولا للإسهاء من الله سبحانه" بحار الأنوار 211/25

ويقول شيخ الرافضة محمد بن النعمان المفيد:"إن الأئمة القائمين مقام الأنبياء في تنفيذ الأحكام،وإقامة الحدود،وحفظ الشرائع،وتأديب الأنام معصومون كعصمة الأنبياء"

وقال أيضا:" وإنه لا يجوز منهم سهو في شيء في الدين، ولا ينسون شيئا من الأحكام وعلى هذا مذهب سائر الإمامية إلا من شذ"

وهكذا ترى أن الإمامية يجعلون الإيمان بعصمة أئمتهم المزعومين من مقررات عقائدهم ،فهم عندهم في حال إمامتهم كالأنبياء في حال نبوتهم، معصومون من الكبائر والصغائر.

ويزعمون أن أئمتهم لم يكن لهم قبل التكليف أحوال نقص وجهل فإنهم يجرون مجرى عيسى ويحيى في حصول الكمال لهم مع صغر السن. انظر شرح العقائد الصدوق 107-108

إنهم يزعمون أنه لا يجوز أن تخلو الأرض من حجة لله على خلقه،ولو خلت ساعة لساخت الأرض وما عليها، والأئمة عندهم هم حجج الله على خلقه فلا بد من وجود الإمام في كل وقت، ولا بد أن يكون الإمام معصوما ليكون حجة على الخلق ما دام أمر الله ونهيه قائمين في خلقه. انظر فرق الشيعة 108-109 بتصرف

وهذا الاعتقاد دفع إلى الإفراط في الغلو في أئمتهم وأحوالهم وعلومهم،ومن وقف على بعض أقوالهم من عقلاء الرجال أسف أن ينسب هؤلاء إلى البشر العقلاء، فما منعتهم عقولهم من قول الباطل ولا منعهم الحياء من افتراء المحال، مثل أن يزعموا أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال:" كنت أنا وعلي على يمين العرش نسبح الله قبل أن يخلق آدم بألفي عام" انظر أمال الطوسي 186/1

إن دعوى العصمة باطلة من أساسها وكون الأئمة حجج الله على خلقه افتراء محض؛فالقرآن يقرر أن المرجع عند الاختلاف هو كتاب الله وسنة نبيه-صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى :{فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا} النساء/59

فلم يأمر سبحانه إلا بالرد إلى الله والرسول-صلى الله عليه وسلم-وأي حجة بقيت لله-عز وجل-على خلقه على قول الرافضة إذ كان إمامهم المزعوم قد اختفى منذ عام 260هـ؟ وأي نفع للأمة من إمام لم يوقف له على عين ولا أثر؟

ولكن الكذب مفتوحة ينهلون منها كلما ضاقت بهم السبل؛ فقالوا :"إن الأمــــة تنتفــع بالإمام وإن كان غائبا كما تنتفع بالشمس إذا سترها سحاب"

إن الرافضة زعموا لأئمتهم عصمة لم تتحقق لأنبياء الله ورسله، فهذا آدم عصى ربـــــه،قـــال تعالى:{ وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى} طه/121-122

وهذا نوح قد عاتبه الله-عز وجل-حين دعا ربه في ابنه الكافر،فقال تعالى:

{قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظــك أن تكون من الجاهلين،قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمــني أكن من الخاسرين} هود/46-47

وقد عاتب الله-عز وجل- نبيه محمدا -صلى الله عليه وسلم-في غير موضع من القرآن و لم يقــره على بعض الأفعال ولو لم تكن خطأ لما عاتبه الله -عز وجل- وهذا ينفي دعوى العصمة المطلقة في حق الأنبياء؛ ومن هذه المواقف قوله تعالى:{عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يزكــى أو يذكر فتنفعه الذكرى..} عبس/1-4

وكذلك قوله تعالى:{ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عـــــرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم} الأنفال/67

بل جاء في القرآن إضافة الذنب إلى النبي-صلى الله عليه وسلم-كقوله تعالى:{إن وعد الله حــق فاستغفر لذنبك} غافر/55

وقوله تعالى:{ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر}

والوزر في قوله-سبحان:{ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك} الشرح/2-3

وقد ثبت أن النبي-صلى الله عليه وسلم-كان ينسى بعض الشيء،كما حصل في الصـــلاة وفي القراءة.

والواقع أن الرافضة يجعلون أئمتهم في مترلة فوق الأنبياء ويفضلونهم عليهم، فهذا طاغوتهم الأكبر في هذا العصر الخميني يقول في كتابه(الحكومة الإسلامية/52):" وإن من ضروريات مذهبنــــا أن لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل"

ويثبت الخميني لأئمة الشيعة العصمة ليس من تعمد المعصية أو الخطأ بل يقول:" ولا نتصور فيهم السهو والغفلة" الحكومة الإسلامية ص91

وهذا أيضا محمد بن الحسن الحر العاملي يعقد في كتابه(الفصول المهمة في أصول الأئمة)بابـــا بعنوان: إن النبي والأئمة الإثنى عشر أفضل من سائر المخلوقات من الأنبياء والأوصياء الســـابقين والملائكة وغيرهم. ثم يسوق تحت ذلك الباب أدلة على ذلك.

فهذه عقيدة القوم في أئمتهم.

بل إن المتأخرين منهم تجاوزا غلو أسلافهم، فالرافضة في القرن الرابع جمهورهم يعتبرون نفـــي السهو عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أول درجات الغلو، فأصبح المتأخرون يرون عصمة أئمتهم من السهو من ضروريات المذهب.

وفي كتبهم المعتمدة روايات كثيرة تثبت السهو على أئمتهم وتناقض دعوى العصمة منه، والتي أطبقوا عليها.

وقد اعترف محمد باقر المجلس (ت1110هـ) بهذا التناقض فقال:" المسألة في غايـــة الإشـــكال لدلالة كثير من الأخبار والآيات على صدور السهو عنهم وإطباق الأصحاب إلا من شذ منـــهم على عدم الجواز" بحار الأنوار 351/25

وهذا اعتراف منهم على أنهم يجمعون على خلاف رواياتهم عن أئمتـــهم المعصومـــين؛ فكيـــف يجمعون على خلاف المعصوم والذي يعتقدون أنه حجة الله على الخلق؟

فإذا جاز لهم أن يخالفوا حجة الله التي يزعمون،أفلا يجوز لغيرهم أن يخالف من لا يعتقد بعصمته؟

3.قولهم في تحريف القرآن:

لقد خالف الشيعة أهل السنة قاطبة في هذا في العقيدة،فأهل السنة من مسلمات الإيمان التي لا يتطرق إليها الارتياب عندهم أن القرآن العظيم هو الكتاب الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على محمد-صلى الله عليه وسلم-وهو المحفوظ بحفظ الله-عز وجل-كما وعد بذلك:{إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون} ، وهو الذي بأيدي المسلمين اليوم المبدوء بفاتحة الكتاب والمختوم بسورة الناس،وهو الذي مات عنه رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وهو قرآن يتلى لم ينقص منه حرف،و لم يضف إليه حرف؛ ومن خالف في ذلك وادعى النقصان أو الزيادة فهو كافر.

هذا هو قول أهل السنة.

أ-أما الرافضة فمن عقائدهم الأساسية والتي تعتمد على رواياتهم الثابتة عندهم عن أئمتهم المعصومين في أوثق كتبهم المعتمد أن القرآن قد نالته أيدي التحريف.

فإذا كانت هذه عقيدة القوم في كتاب الله الذي كان ينبغي أن يكون المرجع الجامع بيننا وبينهم عند الاختلاف والتنازع كما أمر الله بذلك، فإنه لا يتصور أن يكون بين الفريقين لقاء ولا يمكن أن يحدث تقارب أبدا إلا إذا ترك أحد الجانبين عقيدته.

وإنه لمن المتيسر لكل باحث منصف أن يعثر على شواهد التحريف التي يؤمن بها الروافض في أمهات كتبهم التي هي على قمة مراجعهم المعتمدة،ويجد التصريح بتحريف القرآن والانتقاص منه من عشرات العلماء الذين عليهم المعول في فهم دين الرافضة أصوله وفروعه؛ومن هؤلاء العلماء:

1- المفيد في كتابه (أوائل المقالات):

"إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد -صلى الله عليه وسلم-باختلاف القرآن ، وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان"

2-محمد صالح المازني (ت1081هـ):

" واسقاط بعض القرآن وتحريفه ثبت من طرقنا بالتواتر معنى كما يظهر لمن تأمل في كتب الأحاديث من أولها إلى آخرها"

3-محسن الكاشاني:

"المستفاد من الروايات من طرق أهل البيت أن القرآن الذي بين أظهرنا ليس بتمامه كما أنزل على محمد،بل منه ما هو خلاف ما أنزل الله ،ومنه ما هو محرف، وأنه قد حذف منه أشياء كثيرة منها: اسم علي في كثير من المواضع،ومنها لفظة محمد غير مرة،ومنها أسماء المنافقين في مواضعها، ومنها غير ذلك ،وأنه ليس على الترتيب المرضي عند الله وعند رسوله"

4-حسين النوري الطبرسي (ت1320هـ):

وهذا عندهم إمام من أئمة الحديث والرجال في الأعصار المتأخرة، ومن أعظم علماء الشيعة في هذا القرن ألف كتابا كبيرا تتبع فيه الروايات والأخبار التي تثبت التحريف،والعلماء المعتبرين الذين يؤمنون بحصول التحريف في القرآن سماه(فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب) وقد صرح أنه أخذ الأخبار التي تطعن في القرآن " من الكتب المعتبرة التي عليها المعول وإليها المرجع عند الأصحاب" فصل الخطاب الورقة 126

ومن هذه الكتب المعتبرة كتاب(الكافي) لمؤلفه محمد بن يعقوب الكليني(ت328أو329هـ) فقد أورد الكليني في كتابه عن أبي عبد الله قال:" إن القرآن الذي جاء به جبرائيل عليه السلام إلى محمد-صلى الله عليه وسلم-سبعة عشر ألف آية" أصول الكافي 134/2

ومن المعلوم أن القرآن الذي بأيدينا لا تصل آياته إلى ستة آلاف وثلاثمائة آية وهذا يعني أن ثلثي القرآن المترل مفقود .

وقد علق المجلس على هذا الخبر بقوله:"إن هذا الخبر وكثيرا من الأخبار الصحيحة صريحة في نقص القرآن وتغييره" مرآة العقول 536/2

ويزعم الرافضة أن فاطمة-رضي الله عنها-لها مصحف فيه مثل القرآن ثلاث مرات ما فيه من القرآن حرف واحد.

ذكر الكليني رواية بذلك وأسندها إلى جعفر الصادق، مما يدعي الرافضة أنه حذف من القرآن سورة الولاية التي فيها النص على أن علي-رضي الله عنه-هو الوصي، وفيها وعيد للذين يظلمونه وينكثون العهد الذي أخذ عليهم.

وقد أورد هذه السورة المفتراة النوري الطبرسي في كتابه(فصل الخطاب) نقلا من غيره؛ وإذا اطلع عليها من يعرف القرآن وأسلوبه وبيانه علم علم اليقين أنها مفتراة مكذوبة،وإن أسلوبها الركيك لمن أبين الأدلة على تزويرها.

ب- فإذا تقرر من كتبهم اعتقادهم بتحريف القرآن بتغييره والنقص منه فإن هناك جانبا آخر يدخل ضمن تحريف القرآن الذي مارسه الرافضة بقل وقاحة وقل حياء ألا وهو تفسيرات مئات الآيات تفسيرا باطنيا لا يتصل بمدلولات الألفاظ ولا بمفهومها، ويأباه السياق القرآني،وهم كالعادة يسندون هذه التأويلات التي هي أشبه بالهذيان إلى أئمتهم المعصومين لينخدع بها الأغرار ؛ولا ريب أن هذا من أعظم التأويلات التي تدور حول الإمامة،والولاية،وبالأئمة في تعظيمهم ومدحهم والثناء عليهم بما يفوق الاطراء المنهي عنه ،أو في الطعن في خيار الأئمة وهم أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم-فمن ذلك:

-قوله تعالى: {..فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون} الأعراف/157 ,نسبوا إلى أبي عبد الله أنه قال:"النور في هذا الموضع علي أمير المؤمنين،والأئمة عليهم السلام" أصول الكافي 251/1 ؛وواضح من السياق أن المراد بالنور هو القرآن.

-ورووا عنه أنه قال في قوله: {حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين} البقرة/238،قال:" الصلاة:رسول الله،وأمير المؤمنين والحسن والحسين،والوسطى:أمير المؤمنين،وقوموا لله قانتين:طائعين للأئمة"

وعلى هذه الشاكلة يكون تأويلهم للآيات لتخدم العقائد التي يريدون تثبيتها في قلوب الهمج الرعاع من أتباعهم.

والسبب الذي دفع هؤلاء الحاقدين إلى هذا الاعتقاد الفاسد في كتاب الله تعالى هو أنهم بعد أو وضعوا شريعتهم وجعلوا أساسها القول بالوصية والإمامة والولاية والتي اعتبروها الركن الخامس من الإسلام بدلا من الشهادتين؛فقالوا :بني الإسلام على خمس:الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية؛و لم يناد بشيء ما نودي بالولاية يوم الغدير ؛ووجدوا أن هذه الولاية المزعومة والوصاية الموهومة ليس لها ذكر في القرآن مع أنه ذكر ما هو أقل منها أهمية عندهم،فكيف يثبتونها مع إغفال القرآن لها؟

فلدفع هذا الإيراد لجأوا إلى القول بأن القرآن قد غير ونقص منه أشياء ،وفسروا بعض الآيات تفسيرا باطنيا يحقق لهم غرضهم.

4.التقية:

والواقع أن القول بالتقية من أخبث عقائدهم وأشد أسلحتهم فتكا في العامة منهم،إنها سترهم الواقي الذي يستخفون به وحصنهم المنيع الذي يلجأون إليه كلما تهيأ لاتباعهم اكتشاف باطلهم والوقوف على هذيانهم وتناقضهم.

والتقية عندهم -كما يعرفها أحد المعصرين:أن تقول أو تفعل غير ما تعتقد لتدفع الضرر عن نفسك أو مالك أو لتحتفظ بكرامتك.

والتقية المشروعة في الإسلام رخصة عند الضرورة العارضة وليس أصلا من أصول الدين.قال تعالى:{من كفر بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم} النحل/106

وقال تعالى:{ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد} آل عمران/28

أما عند الشيعة فهي من أسس دينهم وأصول نحلتهم.

يروي الكليني عن أبي جعفر أنه قال:" التقية ديني ودين آبائي ولا إيمان لمن لا تقية له"

ويروى عن أبي عبد الله قوله:" اتقوا الله في دينكم فاحجبوه بالتقية فإنه لا إيمان لمن لا تقية له"

والحق أنهم لجأوا لهذه العقيدة لرد كثير من الأخبار الصحيحة والمروية عندهم في كتبهم الموثقة،أو لتفسير بعض الوقائع التي لا يمكن انكارها إذا جاءت تلك الأخبار والوقائع مخالفة لعقائدهم وموافقة لقول أهل السنة،وليبقى الاختلاف مستمرا ، ولكي يصححوا لاتباعهم تلك الآراء المخترعة وليحافظوا على عقيدة العصمة التي ادعوها لأئمتهم أمام الأخبار المتضاربة المنقولة عنهم.

فإذا جاءت أخبار عن أئمتهم تثني على الصحابة قال : ذاك تقية؛ وإذا اعترف أحدهم بخلافة أبي بكر أو غيره من الخلفاء قالوا:تقية ،وتنازل الحسن لمعاوية تقية، وتزويج علي بنته أم كلثوم لعمر بن الخطاب،والذي هو من الشواهد الكثيرة على ما بينهما من المحبة والألفة والصفاء اعتبره بعضهم من هذا الباب.

5.البداء:

البداء في اللغة-كما جاء في القاموس-له معنيان؛

الأول:الظهور والانكشاف؛ومنه قوله تعالى:{وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله} البقرة/284

والآخر: نشأة الرأي الجديد؛ ومنه قوله تعالى:{ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين} يوسف/35

والبداء بهذين المعنيين لا تجوز نسبته إلى الله-عز وجل- والقول بالبداء عقيدة يهودية ،وفي توراتهم المحرفة نصوص صريحة في وصف الله بالبداء، وقد تلقف الرافضة هذه العقيدة الكفرية من أسلافهم اليهود فأصبحت من مسلمات دينهم.

ففرقة السبأية يقولون بها وتبعهم على ذلك المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي دعا إلى الأخذ بثأر الحسين وكان يتكهن ويدعي على الغيب،فإذا جاء الأمر خلاف ما أخبر قال:"قد بدا لربكم"

والقول بالبداء من العقائد التي ظهرت مبكرا عند الرافضة وأنكرها بعض الشيعة منهم وانفصل عنهم بعد أن عرف خبثها.

فالشيعة الذين اجتمعوا على إمامة أبي عبد الله جعفر بن محمد لما أشار جعفر إلى إمامة ابنه إسماعيل-كما يزعمون-ثم مات إسماعيل في حياة أبيه رجعوا عن إمامته،وقالوا كذبنا و لم يكن إماما لأن الإمام لايكذب ،ولا يقول ما لا يكون.

ولذا قال سليمان بن جرير الرقي لهذا السبب :"إن الرافضة وضعوا لشيعتهم مقالتين لا يظهرون معهما من أئمتهم على كذب أبدا وهما القول بالبداء ،وإجازة التقية؛فأما البداء فإن أئمتهم لما أحلوا أنفسهم من شيعتهم محل الأنبياء من رعيتها في العلم فيما كان ويكون والإخبار بما يكون في غد ،وقالوا لشيعتهم أنه سيكون في غد وفي غابر الأيام كذا وكذا،فإن جاء ذلك الشيء على ما قالوه ،قالوا لهم:ألم نعلمك أن هذا يكون؟فنحن نعلم من قبل الله-عز وجل- ما علمته الأنبياء وبيننا وبين الله-عز وجل-مثل تلك الأسباب التي علمت بها الأنبياء عن الله ما علمت ؛وإن لم يكن ذلك الشيء الذي قالوا أنه يكون على ما قالوا،قالوا لشيعتهم:بدا لله في ذلك بكونه.." انظر فرق الشيعة 62-63

ثم أصبح القول بالبداء عقيدة راسخة عند الرافضة الإمامية ، وأصل من أصول نحلتهم يخالفون بها سائر المسلمين.

ففي الكافي ينسبون إلى أحد أئمتهم أنه قال:"ما عبد الله بشيء مثل البداء" ؛ وينسبون إلى أبي عبد الله قوله:"لو علم الناس ما في القول بالبداء من الأجر ما فتروا عن ذكره" انظر الكافي 1/200-202

والبداء بهذه الصورة التي يقدمها الرافضة ظاهره يتضمن وصف الله بالجهل أوالنسيان؛ ولا ريب أن وصف الله بما يتضمن ذلك كفر خالص وردة صريحة،ولكن الرافضة يفسرون البداء على وجه لا يتضمن وصف الله بالجهل أو النسيان.

فيقول محمد حسين آل كاشف الغطاء:" والبداء وإن كان في جوهر معناه يتمثل في ظهور الشيء بعد خفائه، ولكن ليس المراد به هنا ظهور الشيء لله جل شأنه ،وأي ذي جريحة ومسكة يقول بهذه المضلة بل المراد ظهور الشيء من الله لمن يشاء من خلقه بعد إخفائه عنهم، وقولنا "بدا لله" أي بدا حكم الله أو شأن الله."

ولو سلمنا له صحة هذا التفسير فلم هذه المغالات في عقيدة البداء؟

والجواب هو ما ذكره سليمان بن جرير ، فالبداء عندهم هو المخرج الذي يسلكونه أمام رواياتهم المكذوبة التي ينسبونها إلى أئمتهم.

6.الرجعة:

المراد بها الرجوع.

وهي تعني عندهم:رجوع كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة وعودهم إلى الحياة بعد الممات في صورهم التي كانوا عليها.

ويعتقدون أن الذي يرجع فريقان : أحدهما من علت درجته في الإيمان ؛والآخر من بلغ الغاية في الفساد.

وهذه الرجعة تحصل في زمن المهدي المنتظر عندهم، والغرض من الرجعة عندهم انتقام المهدي ومن معه من أعدائهم ،والمراد بهم أبو بكر وعمر ومن وافقهم.

وقد علمنا من قبل أن عبد الله بن سبأ أول من بذر القول بالرجعة حين ادعى أن النبي-صلى الله عليه وسلم-يرجع وهو أولى بالرجعة من عيسى عليه السلام؛ ثم تطور فكر الرجعة فصار كثيرا من فرق الرافضة تدعي الرجعة لبعض أئمتها ؛ثم تمت صياغة الرجعة وصارت عقيدة عند الإمامية على النحو الذي ذكرناه آنفا.

يقول المفيد:"واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات" ، ويقول عنها الحر العاملي أنها:"من ضروريات مذهب الإمامية" وألفوا فيها الكتب وذكروا الأخبار الكثيرة فيها.

يروي المفيد في كتابه(الإرشاد)عن أبي عبد الله قال :"إذا قام القائم من آل محمد صلوات الله عليهم أقام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم ثم أقام خمسمائة فضرب أعناقهم ثم خمسمائة أخرى حتى يفعل ذلك ست مرات.." الإرشاد 411

إنها رجعة تخيلوها تنم عن حقد دفين وعداء شديد لأمة الإسلام، وجاء في مختصر التحفة الأثنى عشرية أن أبا بكر وعمر يصلبان على شجرة في زمن المهدي.

ولا يخفى على المسلم أن هذه العقيدة مخالفة صريحة للقرآن؛ قال تعالى:{قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون}المؤمنون/100

فهذا الاعتقاد الفاسد مظهر من مظاهر الغلو الذي بلغوا فيه نهايته؛فمن عرف الإسلام والقرآن علم أن هؤلاء القوم ليسوا مسلمين وقد دانوا بهذه العقائد التي يشهد القرآن ببطلانها.

7. الغيبة:

من عقائد الشيعة كما سبق أن ذكرنا أنه لا تزال لله حجة على خلقه في الأرض ؛ وأن هـذه الحجة هو الإمام ،والأرض لو بقيت لحظة واحدة من غير إمام لساخت ؛ والقرآن عندهم لا يقوم إلا بقيم ،والقيم هو أحد أئمتهم المعصومين.

فلما مات الحسن العسكري إمامهم الحادي عشر سنة(260هـ) وتعترف كتب الشيعة بأنه:

" لم يترك خلف و لم يعرف له ولد ظاهر،فاقتسم ما ظهر من ميراثه أخوه جعفر وأمه "

فانقسم الرافضة فيمن يخلفه فرقا شتى،ولقد كاد أن يكون موت الحسن بلا معقب نهاية لهـذا المذهب؛ لكن الزنادقة الذين كانوا وراء هذا المذهب في كل وقت يضعون له من العقائد والقواعد ما يضمن استمرار التشيع ولو كان على حساب العقل.

وفكرة غيبة الإمام عن أعين الناس ،ودعوى أنه يظهر بعد ذلك كان قد وضع أسسها الأولى ابن سبأ اليهودي،وذلك حين قال لمن بلغه نعي علي:"كذبت،لو جئتنا بدماغه في سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلا لعلمنا أنه لم يمت و لم يقتل ولا يموت حتى يملك الأرض"

وادعى هذه الغيبة بعض فرق الرافضة لأمتهم كالشيعة الذين كانوا يدعون الإمامة لمحمد بـن علي بن أبي طالب فإنه لما مات أنكروا ذلك وزعموا أنه غاب وأنه سيرجع.

نعود للإمامية فنقول أن إحدى الفرق بعد الحسن العسكري زعموا أنه له أبناء من صلبه وأنـه خلفه وهو الإمام من بعده ضرورة بقاء حجة الله على خلقه؛ وادعوا أنـه استتر خوفا مـن أعدائه،واختلفوا في عمره حين مات أبوه إلا إنهم لم يتجاوزوا أن يكون خمس سنين.

وأول من شهر له هذا القول رجل يقال له عثمان بن سعيد وزعم أنه يعرفه وأنـه وكيلـه في تسليم أموال الشيعة والإجابة عن أسئلتهم ؛ ويعتبر عند الرافضة الباب الأول لغائبهم المنتظر.

ويزعم الرافضة أن لغائبهم غيبتين : صغرى وكان له فيها وكلاء وآخر هؤلاء الوكـلاء أبـو الحسن علي بن محمد السيمري (ت329هـ)

وكان هؤلاء النواب عن الإمام يتلقون أسئلة الناس ،ويزعمون أنهم يعرضونها علـى الإمـام المنتظر،ويأتون بأجوبتها منه ويسمونها توقيعات ويزعمون أنها خطوط الأئمة.

ولا تعجب إذا علمت أنهم يرجحون ما في هذه التوقيعات المزورة على ما ثبت عندهم بـأصح الأسانيد في أوثق الكتب عند التعارض.

يقول الشيخ محمود الألوسي عن تعبد الرافضة بحكايات الرقاع: "أنهم اتخذوا دينهم من الرقـاع المزورة التي لا يشك عاقل في أنها افتراء علي الله تعالى، ولا يصدق بها إلا من أعمـى الله بصـره وبصيرته"

أما الغيبة الكبرى فقد جاءت فكرتها بعد أن زعم بابهم الأخير السيمري انقطاع الصلة المباشرة بالمهدي،وادعى أن كل مجتهد شيعي هو نائب عن الإمام وأخرج توقيعا يقول:"أما الوقائع الحادثة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فأنهم حجتي عليكم وأنا حجة الله"

وفي كتاب الكافي عن أبي عبد الله :"للقائم غيبتان:إحداهما قصيرة والأخرى طويلة،الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصة شيعته،والأخرى لا يعلم مكانه فيها إلا خاصة مواليه" أصول الكافي 401/1

هذه هي الغيبة عند الرافضة.

ويبدوا أنه لما كثر النزاع حول دعوى البابية تنافسا على المكاسب المادية والمعنوية،اتفقوا على قطعها،واختلقوا الروايات في ذلك.

وهذا الغائب كانوا في بداية الأمر يكتمون مكانه واسمه،ثم صاروا يسمونه محمدا ، وله ألقاب عندهم منها: المهدي، القائم، الحجة، الخلف، الناحية المقدسة، الصاحب، صاحب الزمان، صاحب الأمر..

ولما طالت الغيبة على الشيعة حيرهم أمرها؛ يقول ابن بابويه القمي المتوفى سنة(381هـ):"رجعت إلى نيسابور وأقمت فيها فوجدت أكثر المختلفين علي من الشيعة قد حيرتهم الغيبة،وقد دخلت عليهم في أمر القائم الشبهة"

وذلك لأن الشيعة يعللون سبب غيبته بأنه يخاف القتل؛فكيف نجمع بين هذا التعليل وبين عقيدتهم أن من خصائص الأئمة أنهم يعلمون متى يموتون ولا يموتون إلا باختيار منهم؟ فكيف يحتجب وأمر الموت بيده؟ولقد قامت للشيعة دول تحمي مذهبهم ونحلتهم فلم لم يظهر في تلك الأوقات التي لا خوف عليه فيها؟

يقول أحمد الكردي:" إذا كان منتظرهم قد اختفى لخوفه على نفسه فلم لم يظهر عندما استولى آل بويه الشيعيون على بغداد وصيروا خلفاء بني العباس طوع أمرهم؟ فلم لم يظهر عندما قام الشاه إسماعيل الصفوي وأجرى من دماء السنيين أنهارا؟ فلم لم يظهر عندما كان كريمخان الزندي وهو من أكابر سلاطين إيران يضرب على السكة اسم إمامكم(صاحب الزمان) ويعد نفسه وكيلا عنه؟ وبعد فلم لا يظهر اليوم وقد كمل عدد الشيعيين ستين مليونا وأكثرهم منتظرينه؟"

ونقول نحن:و لم لم يظهر إمامكم بعد أن قامت دولتكم الرافضية على يد الخميني ومن بعده؟

والرافضة كعادتهم يضعون الأخبار الملفقة وينسبونها إلى أئمتهم في فضل من تمسك بعقيدة الرجعة وآمن بها وما له من الأجر ،والأخرى في تكفير وذم من كذب بها.

ويذكر ابن خلدون في مقدمته لتاريخه:" أن الرافضة يجتمعون في كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب سرداب سامراء فيهتفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ثم ينفضون كل منـــهم إلى بيته بعد طول الانتظار وهم يشعرون بخيبة الأمل والحزن"مقدمة ابن خلدون 531/2

وحقا أن هذه العقيدة الجوفاء تدعو إلى السخرية من أهلها ؛قال أحد الشعراء ساخرا:

ما آن للسرداب أن يلد الذي كلمتموه بجـــهلكم ما آنا

فعلى عقولكم العفاء فإنـــكم ثلثم العنـــقاء والغيـــلانا

والرافضة وهي تنتظر مهديهم الموهوم تنتظر معه القرآن المفترى الذين يزعمون أن عليا جمعه ثم صار بعد ذلك عند الأئمة إلى أن جاءت نوبة صاحب الزمان فاختفى معه.

قال نعمة الله الجزائري:"وقد روى في الأخبار أنهم عليهم السلام أمروا شيعتهم بقراءة هذا الموجود من القرآن في الصلاة وغيرها والعمل بأحكامه حتى يظهر مولانا صاحب الزمان فـــيرتفع هـــذا القرآن من أيدي الناس إلى السماء ويخرج القرآن الذي ألفه أمير المؤمنين فيقرأ ويعمل بأحكامـــه" الأنوار النعمانية 363/2

عجبا من هؤلاء الحمقى الحاقدين والزنادقة الملحدين،إذا كان هذا القرآن محرفا فكيف يجـــيزون العمل به؟ وإذا كان كذلك فلم يرتفع إلى السماء؟

8. عقيدتهم في الصحابة:

الرافضة-قبحهم الله-يدينون بكفر الصحابة وضلالهم إلا نفرا يسيرا لا يبلغون اثني عشر رجلا.
لقد دفع الحقد أولئك الزنادقة الذين كرهوا انتشار الإسلام وعلو مناره على أيدي أولئك الخيرة من أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم-حتى ثل عروشهم وأزال دولة المجوس الملحدين وأهل الكتاب الضالين فأضمرت قلوبهم الغل،والكراهية لأولئك الأبطال الذين يستحقون كل محبة وثناء،فهم أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم-وأنصاره في حياته،والقائمين بالإسلام بعد وفاته.

فهذا الكليني ينسب إلى أبي جعفر أنه قال:"كان الناس أهل الردة بعد النبي-صلى الله عليه وسلم-إلا ثلاثة؛فقلت ومن الثلاثة؟ فقال:المقداد بن الأسود،وأبو ذر الغفاري،وسلمان الفارسي" وقد مر معنا أن أول من وضع لهم هذه العقيدة هو عبد الله بن سبأ الذي أظهر الطعن على أبي بكر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم، وادعى أن عليا أمره بذلك.

وكتبهم مليئة بالطعن في الصحابة وسبهم ولعنهم وتكفيرهم،وخاصة الخلفاء الثلاثة الذين هم خير أمة محمد-صلى الله عليه وسلم؛وجعلوا سب أبي بكر وعمر وحفصة وعائشة دينا لهم وعبادة وقربة،وصنفوا في ذلك أدعية مأثورة منها دعاء يسمى(دعاء صنمي قريش) أجازه مجموعة من أئمتهم المعاصرين أحدهم الخميني وجاء فيه:"اللهم العن صنمي قريش وجبتيها وطاغوتيها وإفكيها وابنتيها اللذين خالفا أمرك وأنكرا وحيك وجحدا إنعامك وعصيا رسولك،وقلبا دينك وحرفا كتابك.." إلى مثل ذلك من الهذيان الذي يقطر دما على الصحابة وخاصة الشيخين وأمي المؤمنين.

وهذا اللعن والطعن لا يزيد القلوب إلا مرضا على مرضها وعداء على عدائها؛ وقد صرحت كتب الشيعة أن دم الناصب حلال وماله حلال إلا امرأته لأن نكاح أهل الشرك غير جائز؛ والناصب على حسب بيان كتب الشيعة من يقدم أبا بكر وعمر على علي في الخلافة أو يعتقد إمامتهما.

وعلى ذلك فإن الحكم بالكفر ينسحب على كل المسلمين الذين يقرون بخلافة أبي بكر وعمر-رضي الله عنهما. انظر الوشيعة ص21-24 ،ولذلك فهم لا يقبلون روايات الصحابة ولا يدينون بما جاء عنهم ولا يؤمنون بالقرآن الذي بلغوه الأمة من بعدهم.

وفي الختام نقول :

إذا كانت هذه عقائد الرافضة،وهذا دينهم الذي يدينون به هو مخالف للإسلام الذي أكمله الله لنبيه-صلى الله عليه وسلم- فكيف يقال لهم مسلمين،وأخوة معنا في الدين،ونبحث في إمكان التقارب معهم،إن هذا الكلام وشبهه من قبيل الهذيان ومخادعة النفس ومخالفة العقل.

المعتزلة

المعتزلة

المعنى اللغوي:

الإعتزال في اللغة مأخوذ من اعتزل الشيء،وتعزاه بمعنى تنحى عنه.

ومنه تعازل القوم :إذا تنحى بعضهم عن بعض ،واعتزلت القوم أي تنحيت عنهم وفارقتهم.

فالاعتزال معناه الإنفصال ،والتنحي ،والمفارقة.

والمعتزلة هم المنفصلون والمتنحون عن غيرهم.

المعنى الاصطلاحي:

المعتزلة: اسم يطلق على فرقة كلامية ظهرت في الإسلام في أوائل المائة الثانية،وسلكت مسلكا عقليا متطرفا في بحث العقائد الإسلامية،وهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال الذي اعتزل مجلس الحسن البصري.

ظهور البدع ونشأة الفرق:

كان للفتنة التي عصفت بالأمة الإسلامية في عهد عثمان -رضي الله عنه- آثارا خطيرة بعد ذلك فقد وقع السيف في الأمة وكان من جراء ذلك قتل عثمان -رضي الله عنه- ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه -وتكلم الناس من ذلك الحين في الفاسق الملي،وبدأ قرن الابتداع يظهر ،فأظهر الخوارج مقالتهم بتكفير صاحب الكبيرة،وزعموا أن الكبيرة لا تجامع الإيمان أبدا بل تنافيه وتفسده ،وقالوا إن العاصي بكبيرته يكون كافرا لأنه بزعمهم ليس إلا مؤمن وكافر،ولذا كفروا خيار الصحابة في زمنهم.

وقد يقابل هذه المقالة المبتدعة طائفة من المسلمين فزعموا أن المسلم يستحق اسم الإيمان دون النظر إلى عمله،فأخرجوا العمل من مسمى الإيمان وزعموا أن الناس متساوون في الإيمان ،وإن كانوا قد اختلفوا فيما يحصل به الإيمان فرقا كثيرة وهؤلاء يقال لهم المرجئة ،من الإرجاء وهو التأخير ،وذلك لأنهم أخروا شيئا من مسمى الإيمان عن اسمه وقد كان ظهور هذه الفرقة مبكرا قبيل نهاية المائة الأولى بعد فتنة ابن الأشعث(83هـ).

وقد أنكر أئمة التابعين على أصحاب هذه المقالة وبينوا مخالفتها للقرآن والسنة وما كان عليه الصحابة ،كما أنكر الصحابة على الخوارج من قبلهم وقاتلوهم مع علي بن أبي طالب -رضي الله عنهم.

وتحدث الناس في أعمال العباد من الذنوب والمعاصي هل تقع بعلم الله ومشيئته .فظهرت القدرية ، وهم الذين يزعمون أن أفعال العباد هم الذين يكسبونها ويفعلون بمشيئتهم وقدرتهم و لم يمض بها تقدير من الله سابق ، ولا صلة لها بمشيئة الله تعالى.

فاستحقوا اسم القدرية لأنهم لغوا التقدير السابق ،وغلاتهم نفوا علم الله السابق بأفعال العباد .

وقد وقعت هذه البدعة في أواخر عصر الصحابة فاشتد نكيرهم عليهم كابن عباس وابن عمر وجابر.

ولقد كانت هذه المقالة دخلت على المسلمين على يد نصراني يقال له سوسن ادعى الإسلام ثم بذر هذا الشر وارتد بعد ذلك إلى نصرانيته.

أظهر هذه المقالة في البصرة فأخذها عنه معبد الجهني وعن معبد غيلان الدمشقي وهذا أيضا كان نصرانيا قبطيا ثم انتشرت هذه المقالة وصار لهم اتباع على هذه البدعة الشنيعة .

واستعظمت طائفة هذه المقالة وأنكرتها وردت عليها ولكن ببدعة أخرى فقالوا إن العبد لا قدرة له على أفعاله ولا إرادة وإنما هو محل لأفعاله والله عز وجل هو الذي قدرها عليه وشاءها منه.

وهؤلاء يقال لهم الجبرية.

وفي بداية المائة الثانية وأواخر عصر التابعين بدأ الكلام في صفات الله تعالى ، فأظهر الجعد بن درهم القول بنفي صفات الله تعالى ،ونفي رؤيته وكلامه ،وكان الجعد مؤدب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ،وقد قتل الجعد سنة(124هـ)؛وكان أول من قال إن القرآن مخلوق وعنه أخذ الجهم بن صفوان مقالته ونشرها حتى صارت تعرف باسمه ويقال جهمي لمن ينفي صفات الله ورؤيته،وكلامه ويزعم إن القرآن مخلوق .

وقد أنكر العلماء هذه البدع الشنيعة وقابلوها بالرد وبيان الحق الذي دل عليه القرآن والسنة وما كان عليه سلف الأمة،ووقف أهل السنة والجماعة خلف أئمتهم وعلمائهم مع ولاة أمورهم من الخلفاء والأمراء ،فقتل الجهم بن صفوان سنة 128هـ الذي أظهر بدعته بترمذ وكان أيضا جبريا مرجئا منكرا للجنة والنار،ولكن آراءه تلقاها طوائف من الناس وحصل بسببها شر عظيم وفتنة كبيرة ولازال الأمر يزداد سوءا والبدع انتشارا ،والأمة تفرقا بسبب هذه الآراء المنحرفة والدعوات المضلة.

وقابل نفاة الصفات طائفة أخرى حققوا الإثبات وغلو في إثبات الصفات إلى أن شبهوا صفات الخالق بالمخلوقين،وصار يقال لهم الممثلة ،منهم مقاتل بن سليمان ،وطوائف الرافضة.

وحمل أهل السنة راية الدفاع عن الإسلام والقرآن والسنة فقاموا بالحق وقام الحق بهم "يدعون من ضل إلى الهدى ويبصرون بنور الله أهل العمى،بنفون عن كتاب الله تحريف الغالين ،وانتحال المبطلين ،وتأويل الجاهلين، فأنكروا هذه البدع والضلالات وبينوا فسادها، وأظهروا السنن، ونشروا مذهب السلف وشددوا على أصحاب هذه المقالات المنكرة ،وأمروا بهجرهم ونهوا عن مخالطتهم والسماع لهم."

نشأة المعتزلة:

ومن بين المناقشات والمجادلات التي كانت تجري في أوائل المائة الأولى ما جرى في حلقة الحسن البصري إذ سأل سائل عن مرتكب الكبيرة، فتسرع واصل بن عطاء الغزال فقال:أنا أقول إنه لا مؤمن ولا كافر ولكنه في مترلة بين المترلتين،ثم تنحى أو طرد من مجلس الحسن البصري وجلس عند سارية من سواري المسجد يقرر بدعته ويدعو إليها.

وكان هذا القول من واصل حين كثر لغط أهل الأهواء في اسم مرتكب الكبيرة وحكمه ،تلك المسألة التي أظهر الكلام فيها الخوارج.

واجتمع إلى واصل عمرو بن عبيد بن باب ووافقه على قوله ،وكان عمرو مشهورا بالزهد والعبادة ولذا استمال إلى بدعته كثير من العامة الذين تغرهم المظاهر ،وكان واصل بليغا فصيحا فيه لثغة شديدة في الراء ،فكان يتخلص من هذا الحرف بمهارة فائقة على الرغم من كثرة مجادلاته ومناقشاته.

وأطلق على واصل ومن وافقه وجلس إليه في تلك الحلقة المعتزلة لاعتزالهم حلقة الحسن البصري ، وهذا على القول المشهور في سبب هذه التسمية .وأظهر واصل بن عطاء الغزال وعمرو بن عبيد بالإضافة إلى هذه البدعة قول معبد الجهني وغيلان الدمشقي في القدر، وضما إلى ذلك بدعة نفي الصفات التي سبقهم إليها الجعد بن درهم والجهم بن صفوان.

يمثل واصل بن عطاء(ت131هـ)، وعمرو بن عبيد(ت144هـ) رأس الطبقة الأولى من المعتزلة.

وقد نشط واصل في دعوته في البصرة وهي عش القدرية والمعتزلة الأولى ،وكان يبث دعاته إلى الأقاليم والمدن البعيدة فانتشر الاعتزال، خاصة بعد أن ترجمت كتب اليونان والإغريق والفرس فانتشرت كتب الفلاسفة وأقبل عليها أصحاب الأهواء يلتمسون منها ما يؤيد آراءهم وقد وجدوا فيها بغيتهم واعتمدوا على كتب الفلسفة والمنطق بعد تهذيبها، وهي كتب تناقش المسائل مناقشة عقلية فأخذ المعتزلة هذا المنهج وقدسوا العقل تقديسا زائدا وغلوا فيه حتى قضوا بطرقهم الكلامية وأسلوبهم الجدلي العقلي على ظواهر القرآن والسنة وقدموا العقل على النقل ،واستطاعوا بما أوتوا من قوة في المجادلة أن يستهووا كثيرا من الاتباع.

ولما كان الخلفاء الأمويون قد أحلوا بأصحاب البدع من القدرية والجهمية -قتلوا الجعد (124هـ)،والجهم(128 هـ)،وقبلهم معبد الجهني (80هـ)،وغيلان الدمشقي (103أو105هـ)- رأى المعتزلة ضرورة استمالة الخلفاء وولاة الأمور إلى بدعهم أو كسب ودهم ليدفعوا نقمتهم ويأمنوا شرهم حتى لا يقع بهم ما وقع بأولئك ،وقد نجحوا في استمالة الخليفة العباسي المأمون حتى وقع في باطلهم وانتحله وصار يناظر ويجادل عنه ،وتأثر بهم وشغف برأيهم وأظهر القول بخلق القرآن ،ودعا الناس إليه حتى قامت بذلك فتنة عظيمة وحصل بسببها بلاء عظيم امتحن فيها القضاء والمحدثين والعلماء ،وقد أجاب بعضهم تقية.

فقد قرب المأمون المعتزلة ،ورفع شأنهم وجعلهم أهل مشورته وأخذ عنهم مذهب الاعتزال الباطل،وكان يحب العلم و لم يكن له بصيرة نافذة فراج عنده هذا الباطل لجهله ودعا إليه وحمل الناس عليه قهرا.

وكان بشر المريسي شيخ المأمون وهو أحد من أضلوه...ولما دنى أجله كتب وصيته لأخيه المعتصم أن يدعو الناس إلى القول بخلق القرآن.

بدأت الفتنة بخلق القرآن على يد المأمون سنة(218هـ) وفيها مات، ومضى المعتصم على منواله فيها، وعلى يديه جرت فتنة الإمام أحمد وكان المعتصم قد استحوذ عليه أيضا دعاة الاعتزال وعلى رأسهم أحمد بن أبي داؤد،قاضي قضاته .وكانت تجري بينهم مجادلات ومناقشات والإمام أحمد في كل ذلك صابر محتسب واقف عند القرآن والسنة لا يجيبهم إلى شيء .

وقد كان المعتصم يحب العفو عنه وتخلية سبيله ولكن أعوانه من دعاة الضلالة أوعزوا صدره عليه،وقالوا:إنه ضال مضل كافر فأخذه وضربه حتى أغمي عليه وكرر ذلك مرارا حتى صار لا يعقل شيئا ولا يحس بالضرب ،فأمر به وأطلق بعد ذلك في الخامس والعشرين من رمضان سنة إحدى وعشرين ومائتين ،فأمر المعتصم بإطلاقه إلى أهله...

وقد ندم المعتصم على ما حصل منه للإمام أحمد وجعل يسأل عنه ويستعلم خبره فلم عوفي فرح بذلك المعتصم والمسلمون.

وكان الذين ثبتوا على الفتنة فلم يجيبوا :أحمد بن حنبل ،ومحمد بن نوح بن ميمون الجنديسابوري -وهو زميل الإمام أحمد حين سيرا إلى المأمون فمات المأمون قبل وصولهما إليه- فروا إلى بغداد فمات محمد في الطريق،ونعيم بن حماد الخزاعي ،وقد مات في السجن، وأبو يعقوب البوطي تلميذ الشافعي وقد مات في عهد الواثق على القول بخلق القرآن وكان مثقلا بالحديد ،وأحمد بن نصر الخزاعي الذي قتله الواثق بنفسه وكان قد حرضه على ذلك ابن أبي داؤد وأصحابه المعتزلة ،فقال الواثق إذا رأيتموني قمت إليه فلا يقومن معي أحد فإني أحتسب خطاي ،فقتله بنفسه -رحمه الله وعفا عنه،ثم فصل رأسه وعلقه في بغداد وفي أذنه رقعة مكتوب فيها : "هذا رأس الكافر المشرك الضال أحمد بن نصر الخزاعي ممن قتل على يد عبد الله هارون الإمام الواثق بالله أمير المؤمنين بعد أن قام عليه الحجة بخلق القرآن ونفي التشبيه ،وعرض عليه التوبة ومكنه من الرجوع فأبى إلا المعاندة... "

وكان قتله سنة 137هـ بعد عيد الفطر بيوم أو يومين فجمع بين رأسه وجثته ،ودفن -رحمه الله- وكان ذلك بإشارة من عبد العزيز بن يحيى الكناني على الخليفة المتوكل الذي كان من خيار الخلفاء لأنه أحسن الصنيع بأهل السنة وأمر برفع المحنة ،وعاد أهل السنة إلى نشاطهم في نشر الحديث والسنة والرد على أهل البدع والأهواء من الجهمية والمعتزلة والرافضة وغيرهم ،وبدأت شمس الاعتزال تؤول إلى الأفول.

وبعد هذا السرد التاريخي يظهر لنا جليا جفاء المعتزلة مع المخالفين لهم من أهل السنة ومعاداقم لهم والسعي بكل سبيل إلى إلحاق الضرر بهم من قتل وتشريد وسجن وقمديد بقطع الأرزاق وما ذلك إلا معاداة للسنن وأهلها وتغليبا للعقل،فلقد أسرفوا في تقديسه وتعظيمه، واشتبهت عليه دلائل القرآن والسنة وتلوثت عندهم الفطرة فصاروا يجهلون أهل العلم بالسنة والقرآن ويرمونهم بضعف العقل والبصيرة ويلقبونهم بالحشوية ليصدوا الناس عنهم وعن السنة التي معهم، ولقد استعانوا بالسلطة لتحرير مذهبهم الباطل ونشر عقيدتهم الزائفة فوقع تحت تأثيرهم المأمون ثم المعتصم ثم الواثق ،وقد سلك دعاة العلمانية في العصر الحديث مع الحكام والوزراء مسلك المعتزلة فخالطوهم وا فصلروا وجلساءهم واسقوهم من باطلهم حتى ثملوا فقربوهم واستنصحوهم فلا زال الشر يلحق بالمسلمين من مكرهم وصدهم عن سبيل الله، والسعي بكل سبيل إلى تعطيل تحكيم الشريعة واختلاق الأعذار الكاذبة والدعاوى الموهومة ،والاتهامات الشنيعة التي يلصقونها بالدعاة إلى تحكيم الشريعة ،ومن ذلك نبزهم بالألقاب تنفيرا للعامة عنهم ،فأطلقوا عليهم "الأصوليين"المتطرفين.

وفي الواقع أن أول من أطلق هذه الألقاب الإعلام الغربي الذي تغذيه اليهودية الحاقدة والنصرانية الضالة،ثم تلقفتها وسائل الأعلام العربية والإسلامية التي يخضع جلها تحت تأثير دعاة الحرية والتغريب وقد وجدوا في ممارسة بعض المتحمسين للإسلام- عن جهل- بعض الأخطاء فجعلوها ذريعة لتشويه الإسلام في نظر الغرب ،واتخذها المتنفذون في البلدان الإسلامية سبيلا لتضييق على الدعاة جميعا وإن كانوا على السنة في دعوتهم لم يتلبسوا بتلك الأخطاء.

مشاهير رجال المعتزلة

1-ولقد مر بنا من قبل أن هذا المذهب نجم به واصل بن عطاء الغزال (ت131هـ)وتابعه عليه صاحبه وأخو زوجته عمرو بن عبيد (ت142 وقيل144هـ) وقد كان واصل مشهورا بالفصاحة والبيان وكان ألثغ قبيح اللثغة في الراء فكان يخلص كلامه من الراء بقدرة فائقة على كثرة مجادلاته ومحاوراته مع المخالفين ؛ بينما اشتهر عمرو بن عبيد بن باب بالعبادة و الزهد،وكان أبو جعفر المنصور يحبه ويعظمه لعلمه وزهده وتعبده،وكان إذا وفد عليه عمرو مع القراء يعطيهم المنصور فيأخذون ولا يأخذ هو شيئا فكان المنصور يقول فيه:

كلكم يمشي رويد ..كلكم يطلب صيد...غير عمرو بن عبيد.

ولقد كانت تلك الفصاحة والبيان والقدرة على المحاجة من واصل ،وذلك التقشف والعبادة من عمرو سببا في استهواء كثير من الاتباع الذين تعجبهم الظواهر وتقصر عقولهم عن إدراك ما يستحق المدح أو الذم.

ولقد استطاع واصل أن يكون له طبقة من التلاميذ ،وكان يبعثهم دعاة لنشر مذهبه في مناطق مختلفة.

فأرسل عبد الله بن الحارث إلى المغرب، وحفص بن سالم إلى ترمذ وناظر هناك جهما،وبعث الحسن بن ذكوان إلى الكوفة ،وعثمان الطويل إلى أرمينية.

وقد سبق أن ذكرنا أن الاعتزال كان مبدؤه بالبصرة ومنها انتشر.

2-ثم جاء بعد واصل وعمرو وتلاميذهما طبقة أخرى وعلى رأسها أبو الهذيل محمد بن العلاف (135-235هـ)وتلميذه ابراهيم بن سيار النظام(ت231هـ)الذي خلط الاعتزال بالفلسفة ،وبشر بن المعتمر الهلالي(ت219هـ)وهو مؤسس الاعتزال في بغداد بعد إنشائها واكتمال بناؤها سنة146هـ وقد بلغ الاعتزال في هذه المرحلة أوجه،وبدأت تكتمل مباحثه ويعتبر رجال هذه الطبقة أعظم رجال المعتزلة وأعمقهم أثرا في تشكيل المذهب وتحديد آرائه.

3-ومن مشاهير المعتزلة بعد ذلك ثمامة بن الأشرس(ت334هـ)،وأحمد بن أبي داؤد (ت240هـ) الذي تزعم فتنة خلق القرآن في زمن المعتصم والواثق ،وبشر بن غياث المريسي(ت218هـ)وهو أحد المعتزلة الذين اجتمعوا بالمأمون وأضلوه وحملوه على مذهب الاعتزال وسعوا معه في ابتلاء العلماء والمحدثين والقضاة وهؤلاء جميعا من معتزلة بغداد.

وفي هذه الطبقة من معتزلة البصرة أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت256هـ).

4- ومن مشاهير المعتزلة بعد ذلك أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي(ت303هـ)،وأبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط(ت255هـ)صاحب الانتصار والرد على ابن الراوندي،وأبو هاشم عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب الجبائي(ت321هـ).

5- وفي النصف الأول من القرن الرابع امتزجت معتقدات الرافضة بآراء المعتزلة ،وإن كانت الصلة بينهما بدأت قبل ذلك في زمن المأمون الذي جمع بين التشيع و الاعتزال .

فمن مشاهير المعتزلة الرافضة الحسن بن موسى النوبختي ،والشريف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي(ت432هـ).

ومن الزيدية أبو عبد الله الداعي محمد بن الحسن بن القاسم ،والإمام المؤيد بالله (ت411هـ) ويعتبر القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد الهمداني (ت415هـ)من أواخر أئمة المعتزلة ،وله كتاب المغني،وطبقات المعتزلة،وشرح الأصول الخمسة.

أصول مذهب المعتزلة

بدأ ظهور المعتزلة بمقالة المترلة بين المترلتين التي ادعاها واصل وعمرو بن عبيد للفاسق الملي وزعما أنه في الآخرة من المخلدين في النار،وأضافا إلى ذلك القول بالقدر وقد أخذاه عن معبد الجهني وقد عرفت أن هذا المذهب يرجع إلى النصراني سوسن أوسنسويه ويقال له أبو يونس ،ويعرف بالاسواري ثم جمعوا إلى ذلك نفي الصفات عن الله عز وجل وكان أول من تكلم به الجعد بن درهم.

وقد ذكر غير واحد من العلماء المحققين منهم ابن الأثير وابن تيمية وابن كثير أن الجعد تقلد هذه المقالة عن بيان بن سمعان الرافضي الذي أخذها عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم اليهودي الخبيث الذي سحر النبي -صلى الله عليه وسلم.

وأخذها الجهم بن صفوان عن الجعد في الكوفة بعد أن هربها إليها الجعد من دمشق وأخذها بشر المريسي عن الجهم، وبشر هذا كان أبوه يهوديا صباغا في بغداد وأخذها عنه أحمد بن أبي داؤد.

وهكذا ترى أن بدعة نفي الصفات ترجع إلى اليهود ،وبدعة القدر ترجع إلى النصارى،ومن قبل عرفنا أن الرفض وليدة اليهود.

لكن هذه العقائد المنحرفة لم تأخذ شكلها النهائي إلا بعد فترة من الزمن وذلك حين ترجمت كتب الإغريق واليونان ، وخالط أصحاب هذا الفكر أرباب تلك الثقافات وأصحاب ديانات تلك الأمم من يهودية ونصرانية ومجوسية وهندية.

وظهر طائفة من متكلمي المعتزلة هذبوا تلك الثقافات والفلسفات التي تعتمد على نحاتة الأفكار وزبالة الأذهان ،وصاغوها من جديد على منهج عقلي في محاولة كما يزعمون لتأييد الدين ونصرة العقائد الإسلامية بالأدلة العقلية ثم لم يلبث الأمر إلا أن صارت تلك الدلائل العقلية هي الأصل فقدمت على نصوص الكتاب والسنة ،وما خالفها منهما حرفوها بغرائب اللغات وأنواع المجازات لتوافق نحاتة أفكارهم .

ولما كان المعول عليه عندهم هو العقل في هذه المباحث ،مباحث الصفات أولا ثم القدر ، صار بينهم من الافتراق والاختلاف ما هو معلوم مشهور لتباين عقولهم واختلاف أفهامهم ،ولذا انقسم المعتزلة على حوالي اثنتين وعشرين فرقة.

وهذا حق فإن أهل الباطل لا بد أن يتخاصموا ويتفرقوا.

قال الله -عز وجل :{ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا} النساء /82

وهذا بخلاف منهج أهل السنة والجماعة فإن قولهم واحد في كل مسائل العقيدة وذلك لصحة منهجهم القائم على التسليم للكتاب والسنة والتمسك بهما وعدم معارضتهما بعقل أو ذوق أو كشف ..

ولذا فإننا سنتحدث عن الأصول العامة التي اتفق عليها المعتزلة التي تميزهم بمجموعها عن غيرهم من أهل القبلة دون أن نتطرق إلى فروع تلك الأصول لضيق الوقت.

وهذه الأصول التي لا يعتبر معتزليا من أخل بواحدة منها هي :

1- التوحيد.

2- العدل.

3-الوعد والوعيد.

4-المترلة بين المترلتين.

5-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ونشير هنا إلى أن اصطلاح الأصول الخمسة لم يظهر دفعة واحدة ،فلا وجود لهذا المصطلح في عهد المؤسس الأول واصل بن عطاء فقد كانت بعض المسائل آنذاك ناضجة، لم تزل تتبلور وتستخرج لها الأدلة العقلية من خلال الاطلاع على الكتب المترجمة من الثقافات الأجنبية حتى استكمل مذهب الاعتزال مباحثه الأصلية بعد ذلك، وأصبحت هذه الأصول الخمسة هي التي فارقوا فيها غيرهم من الفرق الإسلامية وإن وافقهم غيرهم في بعضها.

وفي بيان ذلك يقول أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد الخياط:"وليس أحد..يستحق اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة:التوحيد،والعدل،والوعد والوعيد،والمترلة بين المترليتين،والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،فإذا اكتملت في الإنسان هذه الخصال فهو معتزلي"أ هـ الانتصار 188-189.

الأصل الأول:التوحيد:

التوحيد عند المعتزلة يعني :أن الله واحد في ذاته لا قسمة له ولا صفة له وواحد في أفعاله لا شريك له.

فالتوحيد يقوم على نفي الصفات عن الله تعالى ،وهذا هو التنزيه المطلق فلا يتم التوحيد والتنزيه في رأيهم مع إثبات صفة لله تعالى قائمة بذاته.

ولذا فإنهم يصفون الله بالنفي"..ليس بجسم ولا شبح ولا جثة..ولا جوهر ولا عرض ولا بذي لون ولا طعم ولا بذي حرارة ولا برودة..ولا طول ولا عمق ولا اجتماع ولا افتراق،ولا يتحرك ولا يسكن..وليس بذي أبعاض أو أجزاء وجوارح وأعضاء.. ولا يوصف بشيء من صفات خلقه الدالة على حدثهم..لا تراه العيون ولا تدركه الأبصار ..ولا يسمع بالأسماع ،وأنه القديم وحده ولا قديم غيره ولا إله سواه ولا شريك له في ملكه،ولا وزير له في سلطانه.."

ولهم شبه تعلقوا بها نفوا لأجلها الصفات عن الله عز وجل ، منها:

1)إن أخص أوصاف الله القدم،فلا قديم إلا إله واحد ،فلو ثبت لله صفات قديمة لأدى ذلك إلى تعدد القدماء وهذا يعني تعدد الآلهة.وهذا الشرك الذي يناقض التوحيد فوجب امتناع اتصاف الإله بالصفات تحقيقا للتوحيد.

ولذا قال واصل بن عطاء :"من أثبت لله معنى صفة قديمة فقد أثبت إلهين" يريد بالإلهين (الله عز وجل)،والمعنى(الذي هو الصفة القديمة).

الرد على هذه الشبهة:

مبنى هذه الشبهة هو ما يتصور في الذهن من وجود ذات مجردة عن الصفات ،ووجود الصفات مجردة عن الذات وعن بعضها فمن هنا توهم واصل ومن وافقه أن إثبات الصفات يؤدي إلى تعدد القدماء وبالتالي تعدد الآلهة.

وهذا ضلال بين إذ ليس في الخارج ذات موجودة قائمة بنفسها مجردة عن الصفات ولا صفلت متعددة قائمة بنفسها قديمة مجردة عن بعضها وعن الذات حتى يتصور تعدد القدماء ،بل ذات الله عز وجل هي الموصوفة بالقدم والصفات من العلم والقدرة...واليد والوجه،وهي ثابتة لتلك الذات لا تنفصل عنها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :"..والمعتزلة ونحوهم من نفاة الصفات يقولون كل من أثبت لله صفة قديمة فهو مشبه ممثل،فمن قال إن لله علما قديما أو قدرة قديمة كان عندهم مشبها ممثلا،لأن القدم عند جمهورهم هو أخص وصف الإله،فمن أثبت له صفة قديمة فقد أثبت لله مثلا قديما ويسمونه ممثلا بهذا الاعتبار"

ثم قال شيخ الإسلام مبينا خطأهم :"ومثبتة الصفات لا يوافقونهم على هذا بل يقولون :أخص وصفه ما لا يتصف به غيره مثل كونه رب العالمين ،وأنه بكل شيء عليم،وأنه على كل شيء قدير ، وأنه إله واحد والصفة لا توصف بشيء من ذلك" مجموع الفتاوى3/70

2)ومن شبههم أنهم قالوا كما يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية:"الصفات التي هي العلم والقدرة والإرادة ونحو ذلك أعراض ومعان تقوم بغيرها والعرض لا يقوم إلا بجسم ،والله تعالى ليس بجسم لأن الأجسام لا تخلو من الأعراض الحادثة ،ومالا يخلو من الحوادث فهو حادث."

الرد على هذه الشبهة:

قبل الرد على هذه الشبهة ينبغي التنبيه على أن المعتزلة وإن نفوا الصفات عن الله تعالى فإنهم يثبتون أحكامها فهم يقولون إن الله عالم قادر حي.

لكنهم لا يثبتون أن لله صفة العلم ولا القدرة ولا الحياة ،ويفسرون ذلك بأن الله عالم بذاته،قادر بذاته ،وحي بذاته،ليس عندهم صفة ثابتة قائمة به هي العلم والقدرة والحياة. وهذا على قول جمهورهم.

وعلى رأي أبي الهذيل:"إن الله عالم بعلم وعلمه ذاته،قادر بقدرة وقدرته ذاته."

فكلا من القولين يرجع إلى نفي قيام الصفات بالله تعالى هروبا من التشبيه والتجسيم بزعمهم.

وبعد ذلك نقول في الرد على شبهتهم السابقة

- يقال: أنتم تقولون إن الله حي عليم قادر وهذا الإثبات إما أن يستلزم التجسيم أو لا يستلزم، فإن استلزم لزمك إثبات الجسم لأنك لا تعلم موجودا حيا عالما قادرا ألا جسما ،وإن لم يستلزم أمكن أن يقال : إن إثبات العلم والقدرة والحياة لا يستلزم التجسيم ،فلا فرق بين الأمرين. انظر مجموع الفتاوى 6/47
- ويقال لهم أيضا إن إطلاق الجسم على الله نفيا وإثباتا لم يرد في القرآن والسنة ولهذا يجب الإمساك عنه،والوقوف عند الأدلة الشرعية في وصف الله تعالى ،ففيها الحق الواضح وإثبات الكمال لله -عز وجل-على الوجه اللائق به بحيث لا يقتضي مماثلة المخلوقات ولا يستلزم نقصا.

وهكذا شأن المعتزلة ينفون عن الله -عز وجل-كل صفات كماله التي أثبتها لنفسه بمثل هذه الشبه التي يعتبرونها أدلة عقلية ،وبراهين ضرورية ،ويموهون بها على الناس وعلى أنفسهم وهم في الحقيقة إنما تلقوا تلك العقائد والأصول عن فلاسفة الإغريق وإنما حرفوا العبارة وزخرفوا الأسلوب.

فأفلوطين أحد فلاسفة اليونان كان يمنع أن يوصف الله بالصفات لأنه يزعم أن ذلك تشبيه له بالأفراد ،فيقول:" لا نقول لله علما لأنه هو العلم..."

وهكذا ترى أن قول المعتزلة هو نفسه قول ذلك الفيلسوف وأتباعه وإن اختلفت العبارة فقالوا:"إن الله عالم بذاته،قادر بذاته."

وقول أبي الهذيل :"عالم بعلم وعلمه ذاته ،قادر بقدرة وقدرته ذاته "قد أخذه من أرسطاليس وهو فيلسوف يوناني (ت322ق.م) فإنه قال كما ذكر أبو الحسن الأشعري في المقالات 158/2 عنه:"إن الباري علم كله،قدرة كله ،حياة كله ،سمع كله ،بصر كله" فحسن اللفظ من عند نفسه وقال علمه هوهو وقدرته هي هو.

وبناء على هذه الشبه والضلالات نفوا أن تكون صفة الكلام قائمة بالله تعالى وأنه يتكلم بمشيئته وقدرته .وزعموا أنه يتكلم حقيقة بمعنى أنه خلق الكلام في غيره،وأنكروا رؤية الله يوم القيامة وزعموا أن الله لا يرى .

وفيما يلي كشف مختصر لهاتين الضلالتين وبيان وجه فسادهما ومناقضتهما للقرآن والسنة وإجماع السلف؛ مع أن قولهم مناقض للعقل الصريح..

1– موقف المعتزلة من صفة الكلام (ومنه القرآن):

سبق أن عرفنا أن المعتزلة ينفون عن الله -عز وجل- الصفات ،فلا يثبتون لله صفة حقيقية قائمة به؛ ويدخل في ذلك نفي الكلام عن الله حقيقة.

فإذا قالوا إن الله متكلم ،فعلى معنى أنه خلق الكلام في غيره،والقرآن من كلام الله،ولذا فالمعتزلة مجمعون على أن القرآن مخلوق.

يقول القاضي عبد الجبار مبينا عقيدة المعتزلة في ذلك:"وأما مذهبنا فهو أن القرآن كلام الله تعالى ووحيه،وهو مخلوق محدث"

ويقول ابن متوية المعتزلي :" وقد أطلق مشايخنا كلهم في القرآن أنه مخلوق "

ويستدل القاضي عبد الجبار على أن الكلام محدث(مخلوق) بقوله:"والذي يدل على حدوث كلامه الذي ثبت أنه كلام له،أن الكلام لا يكون إلا حروفا منظومة وأصواتا مقطعة وقد ثبت -فيما هذه حالة- أنه محدث لجواز العدم عليه على ما بيناه في حدوث الأعراض "

والجواب عن هذه الشبهة أن يقال:

إن صفة الكلام صفة ثابتة لله قائمة به لم يزل الله موصوفا بالكلام ،وهو سبحانه يتكلم بقدرته ومشيئته . فنوع صفة الكلام قديم ،وأما آحاده فحادثة في وقتها الذي شاء الله أن يتكلم فيه.

وما تعلق بذات الله لا يقال له مخلوق ،فالله -سبحانه وتعالى - هو الخالق،ويدخل في مسمى اسمه ذاته وصفاته ،فلا يقال عنها حادثة (مخلوقة).

ولا يقاس الله على خلقه ولا صفاته على صفاتهم ، قال تعالى {فلا تضربوا لله الأمثال}النحل/16

وهذه هي شبهة المعتزلة وأصلهم في نفي صفة الكلام عن الله تعالى ومع ذلك تعلقوا بآيات من القرآن وحرفوها لتوافق هذه الشبهة العقلية،منها:

1- قوله تبارك وتعالى :{الله خالق كل شيء.وهو على كل شيء وكيل}الرعد/16

يقول القاضي عبد الجبار :الآية تدل بعمومها على حدوث القرآن وأنه تعالى خلقه..ولا دلالة توجب إخراج القرآن من هذا العموم فيجب دخولها فيه.

الرد على استدلالهم:

أ. يقال أولا أن هذا من عجيب استدلالكم وتناقضكم فأنتم تقرون بأن فعل العبد شيء ،ومع ذلك ترون أن أفعال العباد لم يخلقها الله تعالى ،وإنما العباد أوجدوها ولا تعلق لها بمشيئة الله وخلقه وأخرجتموها من عموم {كل} في هذه الآية ،ومع ذلك زعمتم أن الكلام الذي هو صفة لله تعالى -ومنه القرآن- مخلوق ،وأدخلتموه في عموم {كل} وهذا غاية التناقض والاضطراب.

ب. أن الله -عز وجل -فصل بين خلقه وأمره الذي به يكون الخلق فقال تعالى :{إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش...ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين }الأعراف/54

ففرق بين الخلق والأمر ،وأمره من كلامه .فلو كان أمره مخلوقا للزم أن يكون مخلوقا بـأمر آخر،والآخر بآخر إلى ما لا نهاية فيلزم التسلسل وهو باطل.. فلزم أن يكون الأمر غير مخلوق .

ت. ويقال أيضا إن عموم كلمة {كل}يكون في كل موضع بحسبه، ويعرف ذلك بالقرائن وسياق الكلام، فمثلا قول الله تعالى عن الريح التي أصابت قوم {تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم} فالمساكن لم تدخل في عموم كلمة {كل}ولذا لم تدمر لأن المراد تدمير كل شيء يقبل التدبير بالريح عادة،وما يستحق التدمير.

وعلى ذلك فالمراد بقوله{الله خالق كل شيء} الرعد/16 ، يعني خالق كل شيء موجود ،ولا يدخل في ذلك الله -عز وجل-ولا شيء من صفاته بل هذه الآية من أدلة أهل السنة والجماعة السلف أصحاب الحديث على أن أفعال العباد مخلوقة ،والله خالقها ،ومع ذلك فهي تضاف إلى العباد فعلا وكسبا لأنهم فعلوها بعلمهم وقدرتهم ومشيئتهم ،والله-عز وجل- هو الذي أقدرهم على ذلك وشاءها منهم،فمشيئتهم تبعا لمشيئة الله كما قال {وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما}الإنسان /76

2- واحتجوا أيضا بقوله تعالى {إنا جعلناه قرآنا عربيا}الزخرف/3

قال القاضي :"وقوله:{إنا جعلناه قرآنا عربيا} يوجب حدوثه لأن الجعل والفعل سواء في الحقيقة ...فدل ذلك على حدوث القرآن ."

ويقول الزمخشري في تفسير الآية :" أي خلقناه عربيا غير عجمي..." انظر الكشاف للزمخشري3،477

والجواب عن هذه الشبهة:

إن هذا الاستدلال باطل .

وذلك لأن جعل إنما تكون بمعنى خلق إذا تعدت إلى مفعول واحد كقوله تعالى:{وجعل الظلمات والنور}الأنعام/1 ،وقوله {وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون }الأنبياء/30 .

أما إذا تعدت لمفعولين لم تكن بمعنى خلق وذلك مثل قوله -تبارك وتعالى:{ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا}النحل/91 ،وقوله تعالى:{ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس}البقرة/224.

فجعل في هاتين الآيتين لا تعني خلق بالإجماع ،وكذلك{ جعل }في آية الزخرف ليست بمعنى خلق،فإن الله لم يقل جعلناه فقط ،حتى يظن أنه بمعنى خلقناه،ولكن قال جعلناه قرآنا عربيا أي صيرناه

عربيا لأنه قد كان قادرا على أن يترله عجميا،فلما أنزله عربيا ،كان قد جعله عربيا دون عجمي. انظر مجموع الفتاوى 522/12.

3- وتعلقوا أيضا بقوله تعالى:{ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون}الأنبياء /2

يقول القاضي:"الآية تدل على حدوث القرآن لأنه تعالى نص على أن الذكر محدث ،وبين بغير آية أن الذكر هو القرآن :{..إن هو إلا ذكر وقرآن مبين}يس/69،وقوله تعالى:{وهذا ذكر مبارك أنزلناه}الأنبياء /50، فإذا صح أنه ذكر وثبت بهذه الآية،فقد وجب القول بحدوث القرآن.

وقد أجاب عن هذه الشبهة شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره

وخلاصة قول شيخ الإسلام أن هذه الآية حجة عليك،فإنه لما قال {ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث} ،علم أن الذكر منه محدث ومنه ما ليس بمحدث،لأن النكرة إذا وصفت ميز بها بين الموصوف وغيره.

والمعتزلة جعلوا كل الذكر محدث أي مخلوق ،فهذا خلاف ما دلت عليه الآية.

وثانيا أن المحدث في الآية ليس هو المخلوق كما تزعمه الجهمية والمعتزلة ولكنه الذي أنزله جديدا،فإن الله كان يترل القرآن شيئا بعد شيء ،فالمترل أولا قديم بالنسبة إلى المترل آخرا.

وكل ما تقدم على غيره فهو قديم في لغة العرب ،كما قال -تبارك وتعالى:{كالعرجون القديم}يس/39 ،وقال:{تالله إنك لفي ضلالك القديم}يوسف/12 ،فالحدوث في لغة العرب ليس هو الحدوث في اصطلاح المعتزلة.

هكذا ابتدع المعتزلة هذا القول الباطل وامتحنوا أهل السنة ،وجرت تلك الفتنة العظيمة في زمن المأمون والمعتصم والواثق ،لا لدليل بل لهذه الشبهة التي زعموا أنها أدلة عقلية،وأيدوها بذلك الفهم السقيم لآيات من القرآن العظيم ،على خلاف ما دل عليه ظاهر القرآن والسنة وإجماع سلف الأمة من أن:

القرآن كلام الله ووحيه مترل ،غير مخلوق تكلم به حقيقة بحرف وصوت، لفظه ومعناه منه سبحانه ،ليس شيء منه مخلوق ، لا اللفظ ولا المعنى ،وكيفما تصرف القرآن فهو كلام الله غير مخلوق.

فالكلام صفة من صفات الله تعالى لم يزل الله موصوفا بالكلام ،وهو يتكلم سبحانه بمشيئته وقدرته،فنوع الكلام قديم وآحاده تحدث شيئا فشيئا ،متى شاء الله أن يتكلم تكلم بما شاء كيف شاء، قال تعالى:{فأجره حتى يسمع كلام الله}التوبة /9

{وكلم الله موسى تكليما}النساء/164 ،فأكد تعالى تكليمه لموسى بالمصدر لئلا يظن أنه أرسل إليه رسولا،أو كتب إليه كتابا،بل كلمه منه إليه ،أي بلا واسطة.

- وإذا كان كلام الله مخلوقا تكلم به غيره،فمن الذي يقول:{ إني أنا الله لا إله إلا أنا}طه/14

- قال عبد الله بن المبارك:"من قال {إني أنا الله لا إله إلا أنا..} مخلوق فهو كافر ،ولا ينبغي لمخلوق أن يقول ذلك."

وقد اشتهر عن أئمة السلف تكفير من قال القرآن مخلوق وأنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل.

- قال وكيع بن الجراح :"من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن شيئا من الله مخلوق ، فقيل له: من أين قلت هذا؟

قال :لأن الله يقول:{ولكن حق القول مني ..}السجدة/32 ،ولا يكون شيء من الله مخلوق.

ومن الحجج البينة الباهرة على أن القرآن كلام الله غير مخلوق ما احتج به إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل قال -رحمه الله- فيما كتبه للمتوكل في مسألة القرآن، قال:

"قال الله -عز وجل :{الرحمن .علم القرآن. خلق الإنسان.علمه البيان}الرحمن/1-4

فأخبر تعالى أن القرآن من علمه . وقال -عز وجل:{ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم .قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي و لا نصير} البقرة/120 ،وقال -عز وجل:{ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا من الظالمين}البقرة/145 ،فالقرآن من كلام الله-عز وجل-وهذه الآيات دليل على أن الذي جاءه-صلى الله عليه وسلم-من العلم هو القرآن لقوله -عز وجل:{ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ..}البقرة/120 " السنة لعبد الله بن الإمام أحمد/ 107

وعلمه تعالى غير مخلوق و لم يزل الله عالما.

وقال -رحمه الله - في حكاية مناظرته للجهمية في مجلس المعتصم،وقال لي عبد الرحمن القزاز :"كان الله ولا قرآن.قلت لله :فكان الله ولا علم؟ فأمسك .ولو زعم أن الله كان ولا علم لكفر بالله" رواه حنبل في المحنة.

2- قول المعتزلة في:رؤية الله تعالى:

ينكر المعتزلة رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة بأبصارهم.

قال القاضي عبد الجبار:"فأما أهل العدل بأسرهم ،والزيدية والخوارج وأكثر المرجئة فإنهم قالوا:لا يجوز أن يرى الله تعالى بالبصر ،ولا يدرك به على وجه، لا لحجاب ولا مانع،ولكن لأن ذلك مستحيل"

وقال في شرح الأصول الخمسة(232):" ومما يجب نفيه عن الله تعالى الرؤية"

وليس عندهم في ذلك لا دليل عقلي ،ولا دليل نقلي،وإنما هي شبه عقلية وأفهام رديئة لبعض آيات القرآن العظيم فأنكروا رؤية المؤمنين لربهم والتي هي أعظم الجزاء في دار القرار.

قال الله -تبارك وتعالى:{وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} القيامة/22-23.

فأخبر سبحانه أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم ،وتنضر بذلك وجوههم؛ فالنظر في الآية الكريمة نظر الرؤية لأن الله أضافه إلى محله وهو الوجه وعداه ب {إلى} الصريحة في نظر العين، وليس في الكلام قرينة توجب صرفه عن هذا الظاهر.

وقال عز وجل :{للذين أحسنوا الحسنى وزيادة }يونس/26، فالحسنى الجنة وما فيها من نعيم ، والزيادة هي النظر إلى وجه ربهم الكريم ،وقد فسرها النبي -صلى الله عليه وسلم-بذلك.

فقد ثبت عن صهيب قال :"قرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-{للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} ،فقال: إذا دخل أهل الجنة الجنة،وأهل النار النار،نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه ،فيقولون :ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ،ويبيض وجوهنا ،ويدخلنا الجنة ، ويجرنا من النار؟فيكشف الحجاب. وأخرجه مسلم بنحوه مع تقديم وتأخير.

وأحاديث الرؤية متواترة رواها نحو من ثلاثين صحابيا عن النبي-صلى الله عليه وسلم- ولكن لما كان المعتزلة يجهلون السنة وليسوا من أهلها زعموا أنها أحاديث آحاد فردوها بجهلهم ،وإن شئت فقل بإعراضهم عن القرآن والسنة واكتفائهم في باب العقيدة بعقولهم القاصرة ،وأفهامهم الضالة.

الأصل الثاني:العـــدل:

يقول القاضي عبد الجبار:"وأما الأصل الثاني من الأصول الخمسة وهو الكلام في العدل ،وهـو كلام يرجع إلى أفعال الله تعالى ،وما يجوز عليه وما لا يجوز..." شرح الأصول الخمسة ص 301

العدل في اصطلاح المعتزلة :

يعرف القاضي عبد الجبار العدل بقوله:" فإذا قيل إنه تعالى عدل ،فالمراد به: أن أفعاله كلها حسنة، وأنه لا يفعل القبيح ،ولا يخل بما هو واجب عليه" شرح الأصول الخمسة ص 132

فالظلم والفساد والكفر ونحوها ،قبائح والله -عز وجل- يتره عن فعلها وإرادتها .

- واستدلوا على ذلك بقوله تعالى:{وما الله يريد ظلما للعباد}غافر/ 40 وقوله :{والله لا يحب الفساد } البقرة/205 ،وقوله {ولا يرضى لعباده الكفر} الزمر/ 7

فهذه الآيات تدل على أنه تعالى لا يريد الفساد ولا يحبه سواء كان من جهته أو من جهة غيره،هكذا قال القاضي.

- ومن جهة العقل استدل بقوله:"إن إرادة القبيح قبيحة" ،و قاسوا الخالق على العبد :فكما أن إرادة العبد للقبيح وفعله له قبيح ،قالوا كذلك يجب أن يكون ذلك في حق الله تعالى فلو أراد القبيح أو فعله لكان ذلك قبيحا منه ونقص فيه؛ فلما وجب تتريه الله عن القبح والنقص وجب تتريهه عن فعل القبيح وإرادته .

وفي الواقع عمدهم في هذا الأصل هو الدليل العقلي ،ثم استدلوا بتلك الآيات وحملوها على أوجه بحيث توافق الدليل العقلي.

ورتبوا على ذلك أن أفعال العباد منها ما يكون قبيحا ،فلا يجوز أن يكون الله مريدا لها ولا فاعلا-أي ولا خالقا- لها.

فأخرجوا أفعال العباد من مشيئة الرب-عز وجل- وخلقه ،وجعلوا العباد هم الخالقون لأفعالهم ،لا تعلق لها بمشيئة الله ولا قدرته وخلقه .

مناقشة المعتزلة في:

1-القول بأن أفعال الله كلها حسنة وهو-عز وجل- متره عن كل قبيح إرادة وفعلا،فهذه حق.
يقول ابن القيم:"وخلقه وفعله وقضاؤه وقدره خير كله،ولهذا نزه نفسه عن الظلم الذي حقيقته وضع الشيء في غير موضعه..فلا يضع الأشياء إلا في مواضعها اللائقة وذلك خير كله،والشر وضع الشيء في غير محله،فإذا وضع في محله لم يكن شرا فعلم أن الشر ليس إليه، وأسماؤه الحسنى تشهد بذلك فإن منها (القدوس) وهو المتره عن كل نقص وعيب ..." شفاء العليل ص179

وهذا قول أهل السنة والجماعة.

2-وأما قولهم أن العباد هم الخالقون لأفعالهم وليس الله تعالى ،لأن منها القبيح ،فلو كان الله خالقا لها لكان فاعلا للقبيح .

فهذا باطل مخالف للقرآن والسنة وإجماع سلف الأمة. فالله -عز وجل- هو الخالق وحده وما عداه مخلوق كائن بعد أن لم يكن .

قال تعالى :{الله خالق كل شيء} الرعد/16 ،وقد تقدم ذكر هذه الآية ،وأن عموم {كل} شامل للعباد وأفعالهم مخلوقه وهم الذين فعلوها واكتسبوا بعلمهم ومشيئتهم وقدرتهم،ولكن ذلك تابع لعلم الله ومشيئته.

وقال الله تعالى:{والله خلقكم وما تعملون} الصافات /96

وقال -صلى الله عليه وسلم -:"إن الله يصنع كل صانع وصنعته" أخرجه البخاري في كتابه (خلق أفعال العباد)رقم 118،وجاء عند غيره بلفظ "إن الله خالق وقال:وتلا بعضهم عند ذلك:{والله خلقكم وما تعملون}،ثم قال فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة ورواه عن حذيفة موقوفا بلفظ:إن الله خالق..

ومن الشبه العقلية التي تعلقوا بها:

1) يقول القاضي عبد الجبار :"لو كان تعالى هو الخالق لفعلهم لوجب أن لا يستحقوا الذم على قبيحه ،والمدح على حسنه،لأن استحقاقهم الذم والمدح على فعل الغير لا يصح.

والجواب عن ذلك :

إن أفعال العباد مخلوقة والله_عز وجل- الخالق لها ،وهي كسب للعباد اكتسبوها بمشيئتهم وقدرتهم،ولكنها تحت مشيئة الله تعالى وقدرته فهو سبحانه شاءها منهم وأقدرهم عليها {وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين} التكوير/29 ،فالفعل يضاف إلى الله خلقا وإيجادا ،وإلى العباد فعلا وكسبا ،كما قال تعالى:{جزاء بما كانوا يعملون}الواقعة/24،ونحوها من الآيات..

وعلى ذلك فالفعل فعل العبد لا فعل غيره ،فعله باختياره ،ليس مجبورا عليه ،وبذلك صح أن يؤمر ببعضه وينهى عن بعضه ويستحق الذم على قبيح فعله والمدح على حسنه.

يبين ذلك أن الله رفع المؤاخذة عن المكره والمخطئ والناسي،مع أنها من أفعال العبد وهي مخلوقه ،والله خالقها ،لكنها لما فقدت شرطا من شروط التكليف رفع الله المؤاخذة عليها: فالمكره لا اختيار له،والمخطئ لا قصد له ولا إرادة ، والناسي لا علم له بالمخالفة ،{إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان لكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم} النحل/106

وقال -عليه السلام:"إن الله تجاوز لأمتي عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"

وقال تعالى :{ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ...} البقرة /286

وبناء على ما بيناه ،فلا معارضة بين كون الفعل خلق لله وكسب للعبد يثاب عليه ويعاقب، وإنما تلزم هذه الحجة الجبرية الذين ينفون مشيئة العبد وقدرته،ويقولون العبد مجبور على فعله.

2)ويقول القاضي عبد الجبار:"وأحد ما يدل على أنه تعالى لا يجوز أن يكون خالقا لأفعال العباد ،هو أن في أفعال العباد ما هو ظلم وجور ،فلو كان خالقا لها لوجب أن يكون ظالما وجائرا ،تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا" شرح الأصول الخمسة ص345.

والجواب عن هذه الشبهة:

لا يلزم من كون الله خالقا للظلم والجور،والكذب والمعصية،أن يكون الله موصوفا بهذه الصفات. وذلك لأن الصفة إذا قامت بمحل عاد حكمها إلى ذلك المحل لا إلى غيره ،فالذي يوصف بالظلم والجور والكذب هو العبد الذي قامت به هذه الصفات ،وفعلها بقدرته ومشيئته.

فالأسود وصف لمن قامت به السواد،والأبيض صفة لمن قام به البياض،ومن المعلوم أن السواد والبياض مخلوقات ،والله خالقها ،ولا يوصف الله بالأسود والأبيض ،فالظلم خلقه الله تعالى للظالم ، والجور للجائر،وكذا الكذب والمعصية ،فلا يعود منها وصف لله تعالى ،كما أنه تعالى هو خلق الظلمة لليل ،والضياء للنهار،و لم يوجب ذلك أن يوصف بالظلمة والضياء.

فصح بذلك أن خلقه سبحانه لأفعال العباد لا يستلزم وصفه بها .

مناقشة المعتزلة في:

2-القول بأنه تعالى عدل لا يخل بما هو واجب عليه.

يقال للمعتزلة:

أهو واجب أوجبه عليه غيره ،أو وجب عليه لغيره بفعل من ذلك الغير؟

فإن كنتم تعنون هذا فهذا باطل ،فالله-عز وجل- يفعل ما يريد ويحكم بما يشاء لا معقب لحكمه{فعال لما يريد} البروج/16

وقال عز وجل:{يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء} آل عمران/129 ،ومشيئته عز وجل تبعا لعلمه وحكمته.

{وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما} الإنسان/76

وإن أردتم بالواجب ما جعله الله على نفسه حقا لعباده ،فهذا من فضله وإحسانه ،فهو الذي كتب على نفسه الرحمة وحرم الظلم على نفسه،فالثواب والإحسان الذي جعله الله على نفسه لعباده هو من فضله لا من باب المعاوضة ، فإن العباد لا يستوجبون بأفعالهم عليه شيئا. انظر اقتضاء الصراط المستقيم ص409-410.

قال ابن القيم-رحمه الله-:"لا يستوجب العبد على الله بسعيه نجاة ولا فلاحا ولا يدخل أحدا عمله الجنة أبدا...والله تعالى بفضله وكرمه أكد إحسانه وجوده بأن أوجب لعبده عليه حقا بمقتضى الوعد ،فإن وعد الكريم إيجاب..." مدارج السالكين2/338-339

وقد قال -صلى الله عليه وسلم- :"لن ينجي أحدا منكم عمله،قالوا:ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا ،إلا أن يتغمدني الله برحمته.." أخرجه البخاري(6463)ومسلم(2816).

والباء في قوله تعالى:{ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون} ، ونحوها من الآيات ليست باء المعاوضة،بمعنى أن تكون الجنة عوضا يستحقونها بأفعالهم ،وإنما هي باء السببية :ادخلوا الجنة بسبب أعمالكم التي تفضل الله عليكم فأثابكم عليها.

الأصل الثالث:الوعد والوعيد:

قبل الشروع في هذا الأصل يحسن بنا الوقوف على بعض المصطلحات عند المعتزلة،ومعرفة مرادهم منها.

- الوعد:هو الخبر المتضمن إيصال النفع إلى الغير أو الضرر عنه في المستقبل..
- الوعيد:هو كل خبر يتضمن إيصال الضرر إلى الغير أو تفويت نفع عنه في المستقبل.
- الكذب:هو خبر لو كان له مخبر لكان مخبره مخالفا للواقع.
- الخلف :هو أن يخبر أن يفعل فعلا في المستقبل ثم لا يفعله.

وعندهم الخلف في حق الله لا يكون إلا كذبا ،تعالى الله عنه علوا كبيرا.انظر شرح الأصول الخمسة ص134-135.

وخلاصة هذا الأصل عندهم وضعه القاضي عبد الجبار بقوله:"وأما علوم الوعد والوعيد فهو أن يعلم أن الله تعالى وعد المطيعين بالثواب ،وتوعد العصاة بالعقاب،وأنه يفعل ما وعد به وتوعد عليه لا محالة،ولا يجوز عليه الخلف والكذب" شرح الأصول الخمسة ص135-136

أ. مناقشة المعتزلة في رأيهم بالوعد:

عرفنا كما سبق أن المعتزلة يوجبون على الله إذ كلف عباده الأعمال الشاقة أن يثيبهم عليها،وإذ وعدهم أجرا على فعل وجب عليه الوفاء به.

وقد بينا القول الحق في ذلك في الكلام على الأصل السابق،وعرفنا أن الجنة لا يستحقها الناس بأعمالهم بل يدخلونها برحمة الله وفضله؛وبذلك يعترف المؤمنون يوم القيامة ،قال الله-تبارك وتعالى:{وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور ×الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب} فاطر/34-35.

وإذ لم يستوجب العبد شيئا بطاعاته على الله تعالى ، لم يتصور منه ظلم لو لم يثبه -سبحانه- على تلك الطاعات. فالظلم وضع الشيء في غير موضعه ،ومنع الشيء لا يسمى ظلما.

ومع ذلك فالله -عز وجل- كما ذكرنا سابقا يتفضل على عباده الطائعين بما وعدهم ،وجعله حقا عليه سبحانه.

كما في حديث معاذ عن النبي-صلى الله عليه وسلم- حين كان رديفه فقد جاء فيه:"فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا..،ثم قال :أتدري ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك؟قال:الله ورسوله أعلم.قال :أن لا يعذبهم.."

فنجاتهم من العذاب وفوزهم بالجنة حق جعله الله على نفسه ،لا يستحقونه بمجرد أعمالهم، ولا بد أن يثيب الله المطيعين كما وعد فإن الله لا يخلف وعده،فوقوعه واجبا بحكم وعده فإن الله-عز وجل- هو الصادق الذي لا يخلف الميعاد.

ب.مناقشة المعتزلة في رأيهم في الوعيد:

مما تقدم في قول القاضي عبد الجبار ،عرفنا أن المعتزلة يوجبون على الله أن يوقع بالعصاة ما توعد به من العقوبة ،ولو لم يفعل لكان ذلك خلفا منه وكذبا ،وذلك لا يجوز منه سبحانه وتعالى.

ويرى المعتزلة أن الوعد والوعيد عام للكافرين وغيرهم من الفساق .

يوضح ذلك قول القاضي عبد الجبار:"وأما الوعيد الوارد عن الله تعالى فإنه ليس بمتصور تناوله على الكفار دون الفساق،ولا على الكفر دون الفسق.."

ويقول الشهرستاني حاكيا رأي المعتزلة في الوعيد:"..واتفقوا على أن المؤمن إذا خرج من الدنيا من غير توبة عن كبيرة ارتكبها ،استحق الخلود في النار ،لكن يكون عقابه أخف من عقاب الكافر" الملل والنحل 45/1

ورتبوا على هذا الاعتقاد أن أصحاب الكبائر التي توعد الله أهلها بالعقوبة لا بد أن يدخلوا النار وتنالهم تلك العقوبة إذا لم يتوبوا منها،ويكونوا أصحاب النار خالدين فيها ،وهذا حكمهم في الآخرة، أما في الدنيا فإنهم يقولون هم في منزلة بين المنزلتين ،ولا يقال لأحدهم مؤمن ولا كافر.

ولكشف هذه الشبهة التي تعلق بها المعتزلة نقول:

إن الوعيد الوارد في كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- إما أن يتوجه للكافر والمشرك،أو الفاسق والعاصي .

- فأما الوعيد الذي توعد به المشركين والكافرين ،فإنه سينالهم حتما إذا ما بقوا على كفرهم، كما دل على ذلك القرآن الكريم:{إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين×خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون} البقرة/160-161 ،وقوله تعالى:{ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم}محمد/34

فأخبر الله أن الذين تحل عليهم اللعنة ويخلدون في النار هم الكفار ،وهؤلاء لا تنالهم المغفرة لما وقعوا فيه من الكفر الذي كانوا عليه حتى ماتوا .

- وأما الوعيد الذي توعد الله به العصاة من أهل الإسلام ،فهؤلاء إن تابوا من ذنوبهم تاب الله عليهم ،وغفر لهم،كما وعدهم بذلك :{إلا من تاب وآمن وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات}
- وإذا مات العاصي من غير توبة فإنه تحت مشيئة الرحمن الرحيم إن شاء عذبه على قدر ذنبه ومضى فيه وعيده بمقتضى عدله ثم يخرج من النار بشفاعة الشافعين من الأنبياء والملائكة والمؤمنين، وأولهم وأفضلهم شفاعة نبينا محمد-عليه الصلاة والسلام- ويبقى في النار قوم يخرجهم الله منها برحمة منه فيدخلهم الجنة. فالحاصل أنه لا يخلد أحد من المؤمنين في النار

بحيث لا يخرج منها،بل مآل الموحدين إلى الجنة ،وإن نال بعضهم قبل ذلك شيء من العـذاب في النار.

أخرج البخاري في صحيحه(22) عن أبي سعيد الخدري عن النبي-صلى الله عليـه وسـلم قال:"يدخل أهل الجنة الجنة ،وأهل النار النار،ثم يقول الله تعالى :أخرجوا من النار من كـان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ،فيخرجون منها قد اسودوا..." وانظر في صحيح مسلم 183،184

وإن شاء سبحانه وتعالى عفا عنهم وغفر لهم فأدخلهم الجنة ابتداء.

قال تعالى:{إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء } النساء/116 ، فأصحاب الذنوب التي توعد الله أصحابها بالعقوبة يمكن أن يغفر الله ذنوبهم وإن لم يتوبوا منها وذلـك بفضله ورحمته.

ومما يدل على ذلك حديث عبادة بن الصامت عن النبي- صلى الله عليه وسلم - :"بـايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ،ولا تعصوا في معروف ،فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصـاب منكم من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له ،ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه.." البخاري(18)،مسلم(1709)

ففي هذا الحديث رد على المعتزلة الذين يوجبون تعذيب صاحب الكبيرة إذا مات و لم يتب ، لأن النبي-صلى الله عليه وسلم- أخبر أنه تحت مشيئة الله وعلى ذلك عدم إنفاذ الوعيد فيهم لا يعتبر كذبا ولا قبيحا ،لا كما تدعي المعتزلة أن إخلاف الوعيد كذب.

قال عمرو بن عبيد لأبي عمرو بن العلاء -وهو من أئمة اللغة والأدب وأحد القراء السـبعة (ت154هـ)- :يا أبا عمرو:لا يخلف الله وعيده ،وقد قال سبحانه وتعالى:{ومن يقتل مؤمنـا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما} النساء/93

فقال له أبو عمرو: ويحك يا أبا عثمان من العجمة أتيت،إن العرب لا تعد إخلاف الوعيـد ذما،بل جودا وكرما ، أما سمعت قول الشاعر:

وإني وإن أوعدته أو وعدته   لمخلف إيعادي ومنجز موعدي "

فتبين أن هناك فرقا بين إخلاف الوعد وإخلاف الوعيد ،فالأول لا يجوز على الله تعالى على مـا ذكرنا،والثاني وهو إخلاف الوعيد يجوز على الله تعالى،فقياس المعتزلة الثاني على الأول ومنعـه فاسد.

يقول ابن تيمية:"إن أهل السنة قالوا يجوز أن يعفو الله عن المذنب ،وأن يخرج أهل الكبـائر من النار ،فلا يخلد فيها من أهل التوحيد أحدا"

ومن آيات الوعيد التي استدل بها المعتزلة قول الله تعالى: {ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما} النساء/93

بيني وجه استدلالهم بهذه الآية على مذهبهم في الوعيد وأوضح وجوه ردود أهـــل الســـنة والجماعة عليهم.

الأصل الرابع:المترلة بين المترلتين:

كان هذا الأصل هو بداية المعتزلة وظهورهم فرقة من فرق الكلام المخالفة لأهل السنة ، وبسببه استحقوا اسم الاعتزال على ما سبق بيانه ،ويعرف القاضي عبد الجبار هذا الأصل بقوله: "وأما في اصطلاح المتكلمين فهو العلم بأن لصاحب الكبيرة اسم بين الاسمين ،وحكم بين الحكمين" شرح الأصول الخمسة ص 137

ويوضح التعريف قوله:"فلا يكون اسمه اسم الكافر،ولا اسم المؤمن ،وإنما يسمى فاسقا، وكذلك صاحب الكبيرة له حكم بين الحكمين ،فلا يكون حكمه حكم الكافر ،ولا حكم المؤمن،بل يفرد له حكم ثالث."

- فصاحب الكبيرة عندهم ليس بمترلة الكافر ،ولا بمترلة المؤمن،وإنما هو بمترلة بين المترلتين اسما وحكما في الدنيا.
- وإذا مات على كبيرة من غير توبة فهو من المخلدين في النار .

وهذه المسألة تلقب مسألة (الأسماء والأحكام).

ويرى المعتزلة أن الإيمان عبارة عن: خصال خير إذا اجتمعت سمي المرء مؤمنا وهو اسم مدح، والفاسق لم يستكمل خصال الخير ولا استحق اسم المدح فلا يسمى مؤمنا.

وليس هو بكافر أيضا لأن الشهادة وسائر أعمال الخير موجودة فيه ،فلا وجه لإنكارها ،لكنه إذا خرج من الدنيا على كبيرة من غير توبة فهو من أهل النار خالدا فيها ،إذ ليس في الآخرة إلا فريقان ،فريق في الجنة وفريق في السعير ،ولكنه لا تخفف عنه النار.

الجواب عن شبهتهم:

القول بأن صاحب الكبيرة ليس بكافر ولا هو بمترلته ،فهذا حق نطق به الكتاب والسنة وفرقا بينهما اسما وحكما ؛ وقد تقدم بيان شئ من ذلك في الأصل الثالث ،وهو أن صاحب الكبيرة تحت مشيئة الله -سبحانه وتعالى - إن شاء غفر له ذنبه وأدخله الجنة بفضله وإن شاء عذبه على قدر معصيته، ثم أخرجه من النار وأدخله الجنة برحمته.

وفي هذا أبين دليل على عدم تخليده في النار إن دخلها، وعلى أنه لا يخرج من الإيمان بالكلية ، فهو وإن لم يسم مؤمنا على الإطلاق لا يسلب منه مطلق الإيمان.

فالقتل كبيرة ومع ذلك لا يخرج القاتل من مسمى الإيمان .

قال تعالى:{يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان} البقرة/177

فسمى الله القاتل أخا لولي القصاص وهي الأخوة الإيمانية ،و لم تخرجه كبيرته من الإيمان ،ومثل هذه الآية قوله تعالى:{وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بين أخويكم فإن بغت إحداهما على

الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين} الحجرات/9

فسمى الطائفتين مؤمنين مع حصول القتال بينهما وبغي إحداهما.

ومن السنة قوله -عليه الصلاة والسلام-:"ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة،قلت (أي أبا ذر) : وإن زنى وإن سرق ؟ قال :وإن زنى وإن سرق؟ قال:وإن زنى وإن سرق ، ثلاثا، ثم قال في الرابعة:على رغم أبي ذر " أخرجه البخاري(5827)،ومسلم(94)

وأهل السنة والجماعة لا يسمون الفاسق صاحب الكبائر مؤمنا ،ليس لأنه خرج من الإيمان بكبيرته ، وإنما لأن هذا الاسم (الإيمان) إذا جاء مطلقا ،أو على وجه الثناء فصاحبه يستحق الثواب ودخول الجنة.

قال ابن تيمية موضحا قول أهل السنة والجماعة:"والتحقيق أن يقال :إنه مؤمن بإيمانه ،فاسق بكبيرته، ولا يعطى اسم الإيمان المطلق ،فإن الكتاب والسنة نفيا عنه الاسم المطلق"

وقال أيضا :" وأهل السنة ..يقولون :الفساق يخرجون من النار بالشفاعة ،وإن معهم إيمان يخرجون به من النار ،لكن لا يطلق عليهم اسم الأيمان ،لأن الإيمان المطلق هو الذي يستحق صاحبه الثواب ودخول الجنة ،وهؤلاء ليسوا من أهله.." مجموع الفتاوى 240/7 -241.

فأهل الكبائر لهم حسنات وسيئات ،ويستحقون بهذه العقاب وبتلك الثواب ؛ ولو كان القاتل والقاذف والسارق والزاني وشارب الخمر ونحوها ،كافرا خارجا من الملة ، لكانت عقوبته القتل لأنه مرتد ،فلا يقبل عفو ولي القصاص عن القاتل،ولا تجري الحدود في الجرائم السابقة.

انظر شرح العقيدة الطحاوية ص 360-361،ومجموع الفتاوى 679/7

الأصل الخامس:الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

- المعروف عند المعتزلة :هو كل فعل عرف فاعله حسنه ،أو دل عليه.
- والمنكر:هو كل فعل عرف فاعله قبحه ،أو دل عليه.

والمقصود بهذا الأصل هو إقامة الدين والدعوة إليه ونشره بحيث لا يضيع المعروف ولا ينقطع،ولا يقع المنكر ، فإذا حصل هذا الغرض ببعض المكلفين سقط عن الباقين فهو من فروض الكفايات .

يقول القاضي عبد الجبار:" اعلم أنه لا خلاف في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"

ويقول الزمخشري:"الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات "

ومن أدلتهم على وجوب هذا الأصل قوله تعالى:{ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون} آل عمران/104

وقوله تعالى :{كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله } آل عمران/110

واستدلوا أيضا بإجماع الأمة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ويبين القاضي عبد الجبار وجه كون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات بقوله :"واعلم أن المقصود في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،هو أن لا يضيع المعروف ولا يقع المنكر،فإذا ارتفع هذا الفرض ببعض المكلفين سقط عن الباقين ،لهذا قلنا إنه من فروض الكفايات"

وبعد أن عرفت المقصود بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند المعتزلة،ينبغي أن تعرف أن تحقيق هذا الأصل والقيام بهذا الواجب يقتضي عندهم البدء بالوسيلة الأسهل ويرتقى إلى الصعب عند الحاجة إليه.

يقول القاضي عبد الجبار :"واعلم أن المقصود بالأمر بالمعروف إيقاع المعروف ،وبالنهي عن المنكر زوال المنكر،فإذا ارتفع الفرض بالأمر السهل لم يجز العدول عنه إلى الأمر الصعب" شرح الأصول الخمسة ص144

و تأتي خطورة هذا الأصل أنهم ادخلوا فيه الخروج على الحاكم الجائر بالسيف إذا لمسوا القدرة على ذلك ،بل ويجوزون قتال المخالف لهم ،وإن كان من عامة الناس ،إذا كانوا جماعة وفي مقدورهم ذلك .

يقول أبو الحسن الأشعري في كتابه المقالات (ص278) : وأجمعت المعتزلة إلا الأصم على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع الإمكان والقدرة باللسان واليد والسيف كيف قدروا على ذلك"

ويقول أيضا في المقالات(ص466):" فقالت المعتزلة :إذا كنا جماعة ،وكان الغالب أنا نكفي مخالفينا ،عقدنا للإمام فقتلنا السلطان ،وأزلناه وأخذنا الناس بالانقياد لقولنا ، فإن دخلوا في قولنا الذي هو التوحيد ،وفي قولنا في القدر ،وإلا قتلناهم " وأوجبوا على الناس الخروج على السلطان مع الإمكان والقدرة.

ومما تعلقوا به في التدرج من الأمر الأسهل إلى الصعب في الوسيلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قول الله تعالى:{ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله ...} الحجرات/9

ورأوا أنه يجوز إقامة المعروف وإزالة المنكر عن طريق القتال إذا قدروا عليه وإن كان مع السلطان الجائر.

وبعد أن عرفنا مراد المعتزلة في هذا الأصل ،وأسلوب القيام به عندهم نقول:

أهل السنة يقولون بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى:"ولا يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل أحد بعينه بل هو على الكفاية كما دل عليه القرآن"

وأما أسلوب التدرج الذي استنبطوه من الآية فلا وجه لتعميمه في كل منكر، فإن الطائفتين المتقاتلتين لا يمكن أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر إلا بمحاولة الصلح بينهما أولا على مقتضى الشرع،فإذا امتنعت طائفة عن ذلك أجبرت على ذلك عن طريق القتال.

وأما سائر مواضع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد بين النبي -صلى الله عليه وسلم- منهج التغيير بقوله:"من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ،فإن لم يستطع فبلسانه،فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان" أخرجه مسلم

وينقل شيخ الإسلام ابن تيمية (مجموع الفتاوى) إجماع المسلمين على قتال" كل طائفة ممتنعة عن الصلوات الخمس ،أو عن أداء الزكاة المفروضة ..أو عن صيام شهر رمضان ،أو الذين لا يمتنعون عن سفك دماء المسلمين وأخذ أموالهم ،أو لا يتحاكمون بينهم بالشرع الذي بعث الله به رسوله...إلى أن يقول:ويدعون قبل القتال إلى التزام شرائع الإسلام فإن التزموها استوثق منهم و لم يكتف منهم بمجرد الكلام.."

وأما تجويز المعتزلة للخروج على السلطان الجائر وإزالته بالسيف ،فهذا خلاف هدي النبي- صلى الله عليه وسلم- والسنة الثابتة عنه، وعن أصحابه ،وأهل السنة السلف أصحاب الحديث.

فقد تواترت الأحاديث بالأمر بالصبر على جور الأئمة والسمع والطاعة لهم ما لم يأمروا بمعصية؛ والنهي عن الخروج عليهم لمنكر فعلوه أو معروف تركوه ؛ عن ابن عباس-رضي الله عنه - عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-قال:"من كره من أمير شيئا فليصبر عليه فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبرا فمات عليه إلا مات ميتة جاهلية" أخرجه مسلم(1849)

وعن أم سلمة زوج النبي -رضي الله عنها-عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال:"ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف برئ ومن أنكر سلم ولكن من رضي وتابع؛ قالوا:يا رسول الله ألا نقاتلهم؟ قال:لا ما صلوا" أخرجه مسلم (1854)

وفي حديث عوف بن مالك :"..وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم؛ قيل:يا رسول الله أفلا ننابذهم بالسيف ؟ فقال :لا ما أقاموا فيكم الصلاة ،وإذا رأيتم من ولاتكم شيئا تكرهونه فأكرهوا عمله ولا تنزعوا يدا من طاعة" أخرجه مسلم (1855)

وعن عبادة بن الصامت قال:دعانا رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعناه على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا و أثره علينا وأن لا ننازع الأمر أهله ؛ قال:إلا أن تروا فيهم كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان " أخرجه البخاري (7055-7056)،ومسلم(1709)

فالخروج على الأئمة بقصد إزالة المنكر وحملهم على الحق لا يجوز ما داموا من أهل الصلاة،وقد أرشد النبي -صلى الله عليه وسلم- للطريق الشرعي ،وهو الصبر عليهم مع إعطاء حقهم من السمع والطاعة والنصيحة التي يرجى من ورائها الإصلاح ولا تكون النصيحة بالتشهير على المنابر وفي الصحف والرسائل،ولا يكون تغيير المنكر بممارسة الضغط عليهم عن طريق المظاهرات ونحوها،أو التخويف عن طريق الاغتيالات والاختطاف؛فكل هذه الوسائل غير شرعية وقد جرت على أصحابها نقيض مقاصدهم فزاد الشر من ورائها واستفحل الأمر، والواقع خير شاهد.

ونجاح أمثال هذه الأساليب في موقف لا يعني شرعيته ولا يدل عليه ،فإن عواقب هذه الأمور غير معلومة ،وحتى لو احتاط القائمون بها لئلا يقع فساد من وراء تلك الأعمال ،فإن هذا غير ممكن الوثوق به ،وهو في الواقع يمثل تشبها بالمشركين وأهل الكتاب في هذه الأعمال؛ولو كانت مشروعة لأرشد إليها النبي-صلى الله عليه وسلم-والقيام بها يخالف الأمر بالصبر على جور الولاة.

الأشاعرة

الأشاعرة

هذه الفرقة تنتسب إلى أبي الحسن الأشعري ،ولذا فقبل الحديث عن مذهب هذه الفرقة لابــد أن نعرِّف بالأصل الذي تنتسب إليه لنقف على حقيقة في غاية الأهمية.

أبو الحسن الأشعري هو :علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق ينتهي نسبه إلى بلال بن أبي بردة بــن أبي موسى الأشعري صاحب النبي -صلى الله عليه وسلم.

ولد سنة 260هـ وقيل 270هـ وقيل غير ذلك..

ولقد كان ملازما لشيخه الأول أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي كبير المعتزلة في وقته فـأخذ عنه مذهب الإعتزال وتقدم فيه حتى صار رأسا من رؤوس المعتزلة وألف في نصرة هذا المذهب،وقـد كان تأثره واضحا بشيخه حيث كان زوجا لأمه ونشأ في حجره ،ولكنه لذكائه وفطنته وطلبه للحق منّ الله عليه ووفقه لمعرفة ضلال المذهب وفساده فتركه وشرع في الرد عليه وبيان عواره.

ومن الأسباب التي دعته إلى ترك الإعتزال أنه كان يورد بعض الأسئلة على أساتذته فلا يجد عندهـم جوابا شافيا.

ذكر الحافظ ابن عساكر في كتابه"تبيين كذب المفتري"،وذكر عدة حكايات تتضمن رؤى يزعم فيها أن الأشعري رأى فيها النبي -صلى الله عليه وسـلم-يـأمره فيـها باتبـاع الكتـاب والسـنة.

وتكاد تجمع كل المصادر التي ترجمت لأبي الحسن الأشعري على أنه نشأ على الإعتزال ثم لما بلغ نحو أربعين سنة تركه،ورجع عن مسائله الكبار التي أشهرها القول بخلق القرآن ، ونفي رؤية الله تعـالى بالأبصار،والقول بأن العباد هم الخالقون لأفعالهم ،وإثبات بعض الصفات .

فمرحلة الإعتزال هي المرحلة الأولى في حياته والطور الأول الذي كان عليه ثم إنه لمـا تركـه سلك مسلك أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب ت(240) الذي كان يميـل إلى أهـل الحديـث والسنة،بيد أنه يعتمد على أصول عقلية كلامية.

وقد كان شديدا على المعتزلة حيث نقض بعض آرائهم المخالفة للسنة وله في ذلـك مؤلفـات مثل:"الصفات"،وكتاب"خلق أفعال العباد"،وكتاب"الرد على المعتزلة".

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في وصفه:"الذي صنف مصنفات رد فيها على الجهمية والمعتزلة، وهـو من متكلمة الصفاتية ،وطريقته يميل فيها إلى مذهب أهل الحديث والسنة لكن فيها نوع من البدعـة ، لكونه أثبت قيام الصفات بذات الله و لم يثبت قيام الأمور الإختيارية بذاته ، ولكن له في الرد علـى الجهمية -نفاة الصفات والعلو - من الدلائل والحجج وبسط القول ما يبين فضله في هـذا البـاب ، وإفساده لمذاهب نفاة الصفات بأنواع من الأدلة والخطاب ،وصار ما ذكره معونة ونصيرا وتخليصا من

شبههم لكثير من أولي الألباب ،حتى صار إماما لمن جاء بعده من هـذا الصنف الذين أثبتوا الصفات،وناقضوا نفاتها،وإن كانوا قد شركوهم في بعض أصولهم الفاسدة التي أوجبت فساد بعض ما قالوه من جهة المعقول ومخالفته لسنة الرسول."مجموع الفتاوى (12/366-367)

ولكن لما كثرت مجادلة أبي محمد بن كلاب للمعتزلة وجرى في ذلك على قانونهم العقلي وأسلوبهم الكلامي سلم لهم في بعض أصولهم ،فدخلت عليه البدعة في طريقته من هذا الباب .

يوضح ذلك شيخ الإسلام قائلا:"ولكن لما حدث أبو محمد بن كلاب وناظر المعتزلة بطريقة قياسية سلم لهم فيها أصولا هم واضعوها :من امتناع تكلمه تعالى بالحروف وامتناع قيام الصفات الاختيارية بذاته مما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال والكلام وغير ذلك...اضطره إلى أن يقول :ليس الكلام إلا مجرد المعنى وأن الحروف ليست من كلام الله. وتابعه على ذلك أبو الحسن الأشعري.."مجموع الفتاوى(12)

فأبو الحسن الأشعري بعد أن ترك الاعتزال مال إلى طريقة ابن كلاب والتي كان فيها:

1)يثبت الصفات الذاتية اللازمة مثل:الحياة،العلم...وصفة العلو.

2)ينفي قيام الصفات الفعلية الاختيارية بذات الله عز وجل.

3)يثبت صفات: الوجه والعين واليدين.

وهذه هي المرحلة الثانية من حياة أبي الحسن الأشعري وفيها كان موافقا لابن كلاب في أهم المسائل التي خالف فيها المعتزلة ..

وفي الواقع أن ابن كلاب قد جاء بمذهب جديد فيه ما يوافق السلف وفيه ما يوافق المعتزلة ، وسلك اتباعه ومنهم أبو الحسن سبيله في هذا.يقول ابن تيمية :"كان الناس قبل أبي محمد بن كلاب صنفين:

"فأهل السنة والجماعة يثبتون ما يقوم بالله تعالى من الصفات والأفعال التي يشاؤها ويقدر عليها. والجهمية والمعتزلة وغيرهم تنكر هذا وهذا.

فأثبت ابن كلاب قيام الصفات اللازمة به،ونفى أن يقوم به ما يتعلق بمشيئته وقدرته من الأفعال وغيرها . ووافقه على ذلك أبو العباس القلاني وأبو الحسن الأشعري .

ولقد أنكر الإمام أحمد وغيره من أئمة السنة هذا الأصل الذي أحدثه ابن كلاب وصاروا يحذرون من أصحابه الذين تابعوه على ذلك ، ومن هذا تحذير الإمام أحمد عن الحارث المحاسبي ونحوه من الكلابية."انظر مجموع الفتاوى (12/368)

بقي أبو الحسن الأشعري فترة من الزمن على هذا المسلك ، صنف فيه المؤلفات الكثيرة ورد فيها على كثير من بدع المعتزلة وضلالاتهم.

وقد ذكر هذا الرجوع عن الاعتزال وسلوك مسلك ابن كلاب غير واحد من العلماء - بالإضافة إلى ابن تيمية – منهم : الذهبي ،وابن كثير، وابن القيم ،وأحمد بن علي المقريزي.

ثم إنه بعد ذلك رجع إلى مذهب أهل السنة والجماعة رجوعا تاما والتزم طريقتهم في الجملة وسلك مناهجهم لاسيما بعد أن التقى بأصحاب الإمام أحمد في بغداد وعرف منهم حقيقة مذهب السلف ، وما كانوا عليه .

يقول ابن تيمية عن أبي الحسن الأشعري:"وأخذ عن زكريا الساجي أصول الحديث بالبصرة ،ثم لما قدم بغداد أخذ عن حنبلية بغداد أمورا أخرى ، وذلك آخر أمره،كما ذكر هو وأصحابه في كتبهم ."

وقال الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء في ترجمة الحافظ الساجي:" أخذ عنه أبو الحسن الأشعري مقالة السلف في الصفات ، واعتمد عليها أبو الحسن في عدة تآليف ."

وهذا الذي ذكره ابن تيمية والذهبي ذكر نحوه الحافظ ابن كثير والإمام ابن القيم ووافقهم على ذلك جماعة من المحققين .

ومن أوضح الأمثلة على ذلك مؤلفات أبي الحسن الأشعري فإنه صرح في بعضها تصريح لا يحتمل التأويل أنه على مذهب السلف أهل الحديث مقتديا في عقيدته بالإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله تعالى.

ففي كتابه "الإبانة عن أصول الديانة"-وهو آخر الكتب التي ألفها- بين عقيدته بيانا واضحا موافقا فيها للسلف أهل الحديث ذكرها على وجه الإجمال ثم فصل فيها بعد ذلك بابا بابا مستدلا لها من القرآن والسنة على منوال السلف .

وفي كتابه "مقالات الإسلاميين"ذكر مقالات لأهل القبلة في مسائل الاعتقاد وحررها تحريرا دقيقا خاصا آراء المعتزلة ،وقول عبد الله بن كلاب وأصحابه (169-173)وفي(298-)وذكر حكاية جملة قول أصحاب الحديث وأهل السنة(290-297)

فقال :"جملة ما عليه أهل الحديث والسنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله ،وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لا يردون من ذلك شيئا...

وأن الله سبحانه إله واحد فرد صمد لا إله غيره...

وأن الله استوى على العرش كما قال:{الرحمن على العرش استوى}.

وأن الله له يدين بلا كيف كما قال: {...خلقت بيدي..} ، وكما قال: {بل يداه مبسوطتان} المائدة/64

وأن له عينين بلا كيف كما قال:{تجري بأعيننا}

وأن له وجها كما قال:{ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام} الرحمن/27"

ثم ذكر جملة من العقائد السلفية،وقال:

"ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-إن الله سبحانه يترل إلى السماء الدنيا فيقول :هل من مستغفر..كما جاء الحديث عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم.

ويأخذون بالكتاب والسنة ،كما قال الله عز وجل:{فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول..} النساء/59

ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين وأن لا يبتدعوا في دينهم ما لم يأذن به الله.

ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال:{ وجاء ربك والملك صفا صفا } الفجر/22

وأن الله يقرب من خلقه كيف يشاء...

ويرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح وأن لا يخرجوا عليهم بالسيف وأن لا يقاتلوا في الفتنة ويصدقون بخروج الدجال وأن عيسى بن مريم يقتله..."

إلى أن قال:" ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة ،والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار ،والنظر في الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف، وكف الأذى ،وترك الغيبة والنميمة والسعيان، وتفقد المأكل والمشرب."

ثم ختم حكاية قول أصحاب الحديث وأهل السنة بقوله:

"فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه ،وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب ،وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل ،وبه نستعين ،وعليه نتوكل وإليه المصير"

فإذا كان بعض الأشاعرة قد طعنوا جهلا وتحامقا في نسبة كتابه الإبانة عن أصول الدين ،أو زعموا أنه رجع عنه إلى ما في كتابه (اللمع)

فماذا يقولون عن هذا التصريح منه بأنه ذهب على مذهب أهل الحديث والسنة في كتابه (المقالات)الذي لا يدفعون أنه كتابه.

وهل يسلم العقل الذي سلم صاحبه من طيش الهوى أن يصدق بأن رجلا كأبي الحسن الأشعري ، يعرف مذهب السلف ويقرره بأدلته ، ويعلم أنه مذهب أهل الحديث وأهل السنة ويختاره على غيره ثم يرجع عنه إلى آراء المتكلمين ؟

وإذا اطلعنا على كتابه (رسالة إلى أهل الثغر) لازددنا يقينا بأن أبي الحسن الأشعري قد استقر أمره في الآخر على مذهب أهل السنة والجماعة،فإنه قرر فيه كثيرا من عقائد أهل السنة والجماعة.

فقال في الإجماع الخامس ص216:" وأجمعوا على أن صفته-عز وجل- لا تشبه صفات المحدثين كما أن نفسه لا تشبه أنفس المخلوقين."

وذكر في الإجماع السادس(122-) :"أن أمر الله وقوله غير محدث ولا مخلوق" وأدخل في ذلك القرآن الذي هو كلام الله تعالى فهو عنده غير مخلوق.

وأثبت في الإجماع السابع:"اليدين لله تعالى"، وفي الثامن أثبت مجيء الرب تعالى يوم القيامة ،ونزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا .

وفي الإجماع التاسع أثبت:"أنه تعالى فوق سماواته على عرشه دون أرضه "

وقد وقع في الكتاب بعض شنشنة أهل الكلام.

وهذا كما ألمحنا إليه سابقا من أن أبي الحسن الأشعري رجع عن المسائل الكبار التي خالف فيها المعتزلة إلى الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة وإجماع السلف ؛وبقيت عنده بعض المسائل التي لم يتبين له وجه مخالفتها لما كان عليه السلف.

فأبو الحسن الأشعري رجع رجوعا مجملا إلى ما عليه السلف أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة ورغب عن علم الكلام والذي كان عليه سابقا.

ثم بين ذلك الرجوع وفصله في بحوث محررة في مسائل كثير من أمور العقيدة ،وخاصة كلامه في الصفات والعلو، والنزول والقرآن على أنه كلام الله غير مخلوق .

وأما كتابه (الإبانة عن الديانة) فقد ذكر جملة عقيدة أهل السنة والجماعة السلف أصحاب الحديث .

ومن المسائل التي نص عليها في هذا الكتاب مما لم نشر سابقا ،قوله:

" وندين بأن الله تعالى يقلب القلوب :"وأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن" وأنه سبحانه "يضع السماوات على أصبع والأرضين على أصبع" كما جاءت الرواية عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من غير تكييف" ص23

وكان قد صرح في مقدمة كتابه بأنه يتدين بما في الكتاب والسنة وما كان عليه الصحابة والتابعون وأئمة الحديث كما سترى في الصفحة التالية .

وسنقتصر على قراءة ما ذكره في هذا الكتاب في الباب السابع ،حيث ذكر الاستواء على العرش.

وما ذكره في الباب الثامن من إثبات صفة الوجه والعينين والبصر واليدين.

١٣٢ —

1/132

كتاب " الإبانة عن أصول الديانة "
لأبي الحسن الأشعري

الباب الثاني
في إبانة قول أهل الحق والسنة

فإن قال لنا قائل : قد أنكرتم قولَ المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة ، فعرِّفونا قولكم الذي به تقولون ، وديانتكم التي بها تدينون .

قيل له : قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها : التمسك بكتاب ربنا عزّ وجل ، وبسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم ، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ، ونحن بذلك معتصمون . وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل نضر الله وجهه ، ورفع درجته وأجزل مثوبته ، قائلون ، ولمن خالف قوله مجانبون ، لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل ، الذي أبان الله به الحق ، ودفع به الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع المبتدعين ، وزيغ الزائغين وشك الشاكين ، فرحمة الله عليه من إمام مقدَّم ، وجليل معظَّم ، وكبير مفخَّم ، وعلى جميع أئمة المسلمين .

الباب السابع
ذكر الاستواء على العرش

- ٤٦ -

إن قال قائل : ما تقولون في الاستواء ؟

قيل له : نقول إن الله عز وجل يستوي على عرشه كما قال:
يليق به من غير طول الاستقرار ، كما قال : ﴿ الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] وقد قال الله عز وجل : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ [فاطر : ١٠] وقال : ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء : ١٥٨] وقال عز وجل : ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ [السجدة : ٥] . وقال حكاية عن فرعون : ﴿ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ * أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا ﴾ [غافر : ٣٦ ـ ٣٧] فكذب فرعون نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام في قوله ان الله عز وجل فوق السموات ، وقال عز وجل : ﴿ أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ ﴾ [الملك : ١٦] . فالسموات فوقها العرش ، فلما

كان العرش فوق السموات ، قال : أأمنتم من في السماء ، لأنه مستو على العرش الذي فوق السموات ، وكل ما علا فهو سماءٌ ، فالعرش أعلى السموات ، وليس إذا قال : أأمنتم من في السماء - يعني جميع السموات - وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات ، ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السموات ، فقال : ﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً ﴾ [نوح : ١٦] ولم يرد أن القمر يملأهن جميعاً ، وأنه فيهن جميعاً ، ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء ، لأن الله عز وجل مستو على العرش الذي هو فوق السموات فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش ، كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض .

٤٧ - سؤال

وقد قال قائلون - من المعتزلة والجهمية والحرورية - إن قول الله عز وجل : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ [طه : ٥] أنه استولى وملك وقهر ، وأن الله عز وجل في كل مكان ، وجحدوا أن يكون الله عز وجل على عرشه - كما قال أهل الحق - وذهبوا في الاستواء إلى القدرة .

ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة. فالله سبحانه قادر عليها وعلى الحشوش ، وعلى كل ما في العالم ، فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء ،

وهو عز وجل مستوٍ على الأشياء كلها ، لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأقذار ، لأنه قادر على الأشياء مستولٍ عليها ، وإذا كان قادراً على الأشياء كلها ولم يجز عند أحد المسلمين أن يقول: إن الله عز وجل مستو على الحشوش والأخلية ، لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها ، ووجب أن يكون معناه استواءً يختص العرش دون الأشياء كلها .

وزعمت المعتزلة والحرورية والجهمية أن الله عز وجل في كل مكان، فلزمهم أنه في بطن مريم وفي الحشوش والأخلية، وهذا خلاف الدين، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

٤٨ ـ جواب

ويقال لهم إذا لم يكن مستوياً على العرش بمعنى يختص العرش دون غيره ، كما قال ذلك أهل العلم ونقلة الآثار وحملة الأخبار ، وكان الله عز وجل في كل مكان ، فهو تحت الأرض التي السماء فوقها ، وإذا كان تحت الأرض والأرض فوقه والسماء فوق الأرض ، ففي هذا ما يلزمكم أن تقولوا إن الله تحت التحت والأشياء فوقه ، وإنه فوق الفوق والأشياء تحته ، وفي هذا

ما يجب أن تحت ما هو فوقه وفوق ما هو تحته ، وهذا المحال المتناقض ، تعالى الله عن افترائكم عليه علواً كبيراً .

٤٩ ـ دليل آخر

ومما يؤكد أن الله عز وجل مستوٍ على عرشه دون الأشياء كلها ، ما نقله أهل الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

روى عفان عن حماد بن سلمة ، قال : حدثنا عمرو بن دينار ، عن نافع بن جبير ، عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ينزل الله عزوجل كل ليلة إلى السماء الدنيا ، فيقول : هل من سائل فأعطيه، هل من مستغفر فأغفر له، حتى يطلع الفجر »(٢٦) .

وروى عبد الله بن بكر ، قال : حدثنا هشام بن أبي عبد الله عن يحيى بن أبي كثير ، عن أبي جعفر ، أنه سمع أبا هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا بقي ثلث الليل ينزل الله تبارك وتعالى ، فيقول : من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يستكشف الضر فأكشفه عنه ؟ من ذا الذي يسترزقني فأرزقه حتى ينفجر الفجر »(٢٧) .

---

(٢٦) رواه أحمد في « المسند » ٨١/٤ من حديث جبير بن مطعم رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .

(٢٧) تقدم تخريجه صفحة (١٥) و(١٦) رقم (٣٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وروى عن عبد الله بن بكر السهمي ، قال : حدثنا هشام بن أبي عبد الله ، عن يحيى بن أبي كثير ، عن هلال بن أبي ميمونة ، قال : حدثنا عطاء بن يسار ، أن رفاعة الجهني حدثه ، قال : قفلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى اذا كنا بالكديد ـ أو قال بقديد ـ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « إذا مضى ثلث الليل ـ أو قال ثلثا الليل ـ نزل الله عز وجل الى السماء ، فيقول من ذا الذي يدعوني أستجب له ؟ من ذا الذي يستغفرني أغفر له ؟ من ذا الذي يسألني أعطه ، حتى ينفجر الفجر »(٢٨) .

٥٠ ـ دليل آخر

قال الله عز وجل : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل : ٥٠] وقال : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ [المعارج : ٤] وقال : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ [فصلت: ١١] وقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً﴾ [الفرقان: ٥٩] وقال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا

---

(٢٨) رواه أحمد في « المسند » ٤/١٦ من حديث رفاعة الجهني رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح .

لَكُم مِّنْ دُونِهِ من وَلِيٍّ وَلاَ شَفِيعٍ ﴾ [السجدة: ٤] فكل ذلك يدل على أنه تعالى في السماء مستوٍ على عرشه، والسماء بإجماع الناس ليست الأرض، فدل على أن الله تعالى منفرد بوحدانيته مستوٍ على عرشه.

٥١ ـ دليل آخر.

وقال جل وعز: ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] وقال: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾ [البقرة: ٢١٠] وقال: ﴿ ثُمَّ دَنَىٰ فَتَدَلَّىٰ * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ * مَا كَذبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ * إِذْ يَغْشَىٰ السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ * لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ [النجم: ٨ ـ ١٨] وقال عز وجل لعيسى بن مريم عليه السلام: ﴿ إني مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقال ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَّفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ ﴾ [النساء: ١٥٧ ـ ١٥٨] وأجمعت الأمة على أن الله عز وجل رفع عيسى إلى السماء، ومن دعاء أهل الاسلام جميعاً

١٣٩

إذا هم رغبوا إلى الله عز وجل في الأمر النازل بهم يقولون جميعاً : يا ساكن العرش ، ومن حلفهم جميعاً : لا والذي احتجب بسبع سموات .

٥٢ - دليل آخر

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْياً أو مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ [الشورى : ٥١] وقد خصت الآية البشر دون غيرهم ممن ليس من جنس البشر ، ولو كانت الآية عامة للبشر وغيرهم كان أبعد من الشبهة ، وإدخال الشك على من يسمع الآية أن يقول : ما كان لأحد أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً ، فيرتفع الشك والحيرة من أن يقول : ما كان لجنس من الأجناس أن أكلمه إلا وحياً أو من وراء حجاب أو أرسل رسولاً ونترك أجناساً لم يعمهم بالآية ، فدل ما ذكرنا على أنه خص البشر دون غيرهم .

٥٣ - دليل آخر

وقال عز وجل : ﴿ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ ﴾

[الأنعام : ٦٢] وقال : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إذ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِم ﴾ [الأنعام : ٣٠] وقال : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إذ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُؤُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ [السجدة : ١٢] وقال عز وجل : ﴿ وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ﴾ [الكهف : ٤٨] .

كل ذلك يدل على أنه ليس في خلقه، ولا خَلْقُه فيه ، وأنه مستوٍ على عرشه بلا كيف ولا استقرار ، وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً . فلم يثبتوا له في وصفهم حقيقة ، ولا أوجبوا له بذكرهم إياه وحدانية ، إذ كل كلامهم يؤول إلى التعطيل ، وجميع أوصافهم تدل على النفي، يريدون بذلك التنزيه ونفي التشبيه ؟ فنعوذ بالله من تنزيه يوجب النفي و التعطيل .

٥٤ ـ دليل آخر

قال الله عز وجل : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [النور : ٣٥] فسمى نفسه نوراً ، والنور عند الأمة لا يخلو من أن يكون أحد معنيين ، إما أن يكون نوراً يسمع أو نوراً يرى ، فمن زعم أن الله يسمع ولا يرى فقد أخطأ في نفيه رؤية ربه ، وتكذيبه بكتابه ، وقول نبيه صلى الله عليه وسلم . ورووت العلماء عن عبد الله بن عباس أنه قال : « تفكروا في كل شيء ، ولا

١٤٦

تفكروا في ذات الله تعالى ، فإن بين السماء السابعة إلى كرسيه سبعة آلاف نور ، وهو فوق ذلك »[٢٩] .

٥٥ ـ دليل آخر

وروت العلماء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

«إن العبد لا تزول قدماه من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن علمه»[٣٠] .

وروت العلماء أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم بجارية سوداء فقال: يا رسول الله! إني أريد أن أعتقها في كفّارة فهل يجوز عتقها، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: «أين الله؟» قالت: في السماء، قال: «فمن أنا»؟ قالت: أنت رسول الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم «اعتقها فإنها مؤمنة»[٣١] وهذا يدل على أن الله عز وجل على عرشه فوق السماء.

* * *

(٢٩) أخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة عن ابن عباس رضي الله عنهما . وهو ضعيف . وقد ثبت من حديث ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهما من طرق عند الطبراني في « الاوسط » وابن عدي وأبي نعيم في « الحلية » والبيهقي في « شعب الايمان » بلفظ « تفكروا في خلق الله ، ولا تفكروا في الله » أو « تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله » .

(٣٠) أخرجه الترمذي ، رقم (٢٤١٩) في صفة القيامة : باب رقم ١ ، بلفظ : « لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما فعل، وعن ماله من اين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه» وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وهو كما قال.

(٣١) رواه مسلم رقم (٥٣٧) في الصلاة : باب تحريم الكلام في الصلاة ، وأبو داود رقم (٩٣٠) في الصلاة : باب تشميت العاطس في الصلاة ، ورقم (٣٢٨٢) في الأيمان والنذور : باب في الرقبة المؤمنة ، والنسائي ١٤/٣ ـ ١٩ في السهو : باب الكلام في الصلاة ، ومالك في « الموطأ » ٧٧٦/٢ ـ ٧٧٧ في العتق والولاء : باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة ، وأحمد في « المسند » ٢٩١/٢ ، ٤٥٢/٣ ، ٢٢٢/٤ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٤٤٧/٥ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ والدارمي في النذور: باب إذا كان على الرجل رقبة مؤمنة.

الباب الثامن
الكلام في الوجه والعينين والبصر واليدين

قال الله تبارك وتعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلا وَجْهَهُ﴾ [القصص : ٨٨] ، وقال عز وجل : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧] ، فأخبر أن له وجهاً لا يفنى ، ولا يلحقه الهلاك .

وقال عز وجل : ﴿ تَجرِي بِأعْيُننا ﴾ [القمر : ١٤] ، وقال : ﴿ وَاصنَعِ الفُلْكَ بِأعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ [هود : ٣٧] . فأخبر عز وجل أن له وجهاً وعيناً لا يُكَيَّفُ ولا يُحدُّ .

وقال عز وجل : ﴿ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأعْيُنِنَا ﴾ [الطور : ٤٨]، وقال: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩] وقال: ﴿وَكَانَ اللهُ سَمِيعَاً بَصِيراً﴾ [النساء : ١٣٤] وقال لموسى وهارون : ﴿إنَّنِي مَعَكُمَا أسْمَعُ وَأرَىٰ﴾ [طه : ٤٦]. فأخبر عن سمعه وبصره ورؤيته .

ونفت الجهمية أن يكون لله وجه كما قال ، وأبطلوا أن يكون له سمع وبصر وعين ، ووافقوا النصارى ، لأن النصارى لم تثبت الله سميعاً بصيراً إلا على معنى أنه عالم ، وكذلك قالت الجهمية ، ففي الحقيقة قول الجهمية أنهم قالوا : نقول : إن الله عالم ولا نقول: سميع بصير على غير معنى عالم، وكذلك قول النصارى .

وقالت الجهمية : إن الله لا علم له ولا قدرة ولا سمع له ولا بصر، وإنما قصدوا إلى تعطيل التوحيد والتكذيب بأسماء الله عز وجل ، فأعطوا ذلك لَفْظَاً ولم يحصلوا قولاً في المعنى ، ولولا أنهم خافوا السيف لأفصحوا بأن الله غير سميع ولا بصير ولا عالم ، ولكن خوف السيف منعهم من إظهار زندقتهم .

وزعم شيخ منهم مقدَّم فيهم أن علم الله هو الله، وأن الله عز وجل علم ، فنفى العلم من حيث أَوْهَم أنه أثبته فألزم أن يقول: يا علم اغفُر لي، إذ كان علم الله عنده هو الله، وكان الله على قياسه علماً وقدرة ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

٥٦ - مسألة

فمن سألنا فقال : أتقولونَ إن لله سبحانه وجهاً ؟

١٤٤

قيل له : نقول ذلك خلافاً لما قاله المبتدعون ، وقد دل على ذلك قوله عز وجل : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن : ٢٧] .

٥٧ - مسألة

فإن سئلنا أتقولون إن لله يَدَيْنِ ؟

قيل : نقول ذلك ، وقد دل عليه قوله عز وجل : ﴿ يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠] وقوله عز وجل : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص : ٧٥] .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خلق الله آدم بيده ، فمسح ظهره بيده فاستخرج منه ذريته »[٣٢] . فثبتت اليد ، وقوله عز وجل : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ . وقد جاء في الخبر المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن الله خلق آدم بيده ، وخلق جنة عدن بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس شجرة طوبى بيده» وقال عز وجل : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾

---

(٣٢) أخرج أبو داود (٤٧٠٣) في السنة باب في القدر والترمذي رقم (٣٠٧٧) في التفسير باب ومن سورة الأعراف من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيه ضعف وانقطاع. قال أبو عمر بن عبد البر : ولكن معنى هذا الحديث قد صح عن النبي ﷺ من وجوه ثابتة كثيرة يطول ذكرها من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره .

[المائدة : ٦٤] ، وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كلتا يديه يمين »[٣٣] . وقال عز وجل : ﴿ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴾ [الحاقة : ٤٥] وليس يجوز في لسان العرب ولا في عادة أهل الخطاب أن يقول القائل : عملت كذا بيدي ، ويعني به النعمة ، وإذا كان الله عز وجل إنما خاطب العرب بلغتها وما يجري مفهوماً في كلامها ومعقولاً في خطابها ، وكان لا يجوز في لسان أهل البيان أن يقول القائل : فعلتُ بيدي ، ويعني النعمة ، فبطل أن يكون معنى قوله عز وجل بيدي النعمة ، وذلك أنه لا يجوز أن يقول القائل: لي عليه يد بمعنى: لي عليه نعمة ، ومن دافعنا عن استعمال اللغة ولم يرجع إلى أهل اللسانِ فيها دفع عن أن تكون اليد بمعنى النعمة ، اذ كان لا يمكنه أن يتعلق في أن اليد النعمة إلا من جهة اللغة ، فإذا دفع اللغة لزمه أن لا يفسر القرآن من جهتها ، وأن لا يثبت اليد نعمة

(٣٣) هو جزء من حديث رواه مسلم رقم (١٨٢٧) في الامارة ، باب فضيلة الامام العادل من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وجزء من حديث طويل رواه الترمذي رقم (٣٣٦٥) في تفسير سورة المعوذتين: باب الأمر بالكتابة والشهود. ورواه أيضاً الحاكم في «المستدرك» ٦٤/١ في الايمان، قصة خلق آدم وجعله من عمره ستين سنة لداود عليهما السلام، وصححه ووافقه الذهبي، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

من قبلها ، لأنه إن رجع في تفسير قول الله عز وجل بيدي نعمتي إلى الإجماع ، فليس المسلمون على ما ادعى متفقين ، وإن رجع إلى اللغة فليس في اللغة أن يقول القائل : بيدي - يعني نعمتي ، وإن لجأ إلى وجه ثالث سألناه عنه ولن يجد إليه سبيلاً .

٥٨ - مسألة

ويقال لأهل البدع : لم زعمتم أن معنى قوله : بيدي نعمتي ، أزعمتم ذلك إجماعاً أو لغة ؟ فلا يجدون ذلك في الاجماع ولا في اللغة ،

وإن قالوا : قلنا ذلك من القياس .

قيل لهم : ومن أين وجدتم في القياس أن قول الله بيدي ولا يكون معناه إلا نعمتي ؟ ومن أين يمكن أن يعلم بالعقل أن يفسر كذا وكذا ، مع أنا رأينا الله عز وجل قد قال في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ ﴾ [ابراهيم : ٤] وقال : ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [النحل : ١٠٣] وقال ﴿ إِنَا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً ﴾ [الزخرف : ٣] وقال ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾ [محمد : ٢٤] ولو كان القرآن بلسان غير

العرب لما أمكن أن نتدبره ، ولا أن نعرف معانيه اذا سمعناه ، فلما كان من لا يحسن لسان العرب لا يحسنه ، وإنما يعرفه العرب إذا سمعوه، علم أنهم علموه لأنه بلسانهم نزل ، وليس في لسانهم ما ادعوه .

٥٩ ـ مسألة

وقد اعتل معتل بقول الله عز وجل : ﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ [الذاريات : ٤٧] قالوا : الأيدي القوه ، فوجب أن يكون معنى قوله ﴿ بِيدي ﴾ بقدرتي

وقيل لهم : هذا التأويل فاسد من وجوه آخرها أن الأيدي ليس بجمع لليد ، لأن جمع يد التي هي نعمة أيادي ، وإنما قال : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ فبطل بذلك أن يكون معنى قوله ﴿ بِيَدَيَّ ﴾ معنى قوله : ﴿ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ ﴾ وأيضا فلو كان أراد القوة لكان معنى ذلك بقدرتي ، وهذا ناقض لقول مخالفنا ، وكاسر لمذاهبهم لأنهم لا يثبتون قدرة واحدة ، فكيف يثبتون قدرتين . وأيضا فلو كان الله عز وجل عنى بقوله ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ القدرة لم يكن لآدم عليه السلام على إبليس في ذلك

مزية ، والله عز وجل أراد أن يري فضل آدم عليه السلام إذ خلقه بيده دونه ، ولو كان خالقاً لابليس بيديه كما خلق آدم عليه السلام بيديه لم يكن لتفضيله عليه بذلك وجه ، وكان إبليس يقول محتجاً على ربه فقد خلقتني بيديك كما خلقت آدم بهما ، فلما أراد الله عز وجل تفضيله عليه بذلك قال له موبّخاً على استكباره على آدم أن يسجد له : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ ؟ ﴾ [ص : ٧٥] دل على أنه ليس معنى الآية القدرة إذا كان الله عز وجل خلق الأشياء جميعاً بقدرته ، وإنما أراد إثبات يدين ولم يشارك إبليس آدم عليه السلام في أن خُلِقَ بهما. وليس يخلو قوله عز وجل : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ أن يكون معنى ذلك : إثبات يدين نعمتين ، أو يكون معنى ذلك إثبات يدين جارحتين ، أو يكون معنى ذلك إثبات يدين قدرتين ، أو يكون معناه إثبات يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين ولا قدرتين لا يوصفان إلا كما وصف الله عز وجل. فلا يجوز أن يكون معنى ذلك نعمتين ، لأنه لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول القائل: عملت بيدي وهو يعني نعمتي، ولا يجوز عندنا ولا عند خصومنا أن نعني جارحتين ، ولا يجوز عند خصومنا أن نعني قدرتين ، وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع ، وهو أن معنى قوله ﴿بِيَدَيَّ﴾ إثبات يدين ليستا جارحتين ولا قدرتين ولا نعمتين لا يوصفان إلا بأن

يقال : إنهما يدان ليستا كالأيدي خارجتان عن سائر الوجوه الثلاثة التي سلفت .

٦٠ ـ مسألة

وأيضاً فلو كان معنى قوله عز وجل ﴿ بِيَدَيَّ ﴾ نعمتي لكان لا فضيلة لآدم عليه السلام على إبليس في ذلك على مذاهب مخالفنا ، لأن الله عز وجل قد ابتدأ إبليس على قولهم كما ابتدأ بذلك آدم عليه السلام ، وليس تخلو النعمتان أن يكونا عنى بهما بدن آدم عليه السلام أو يكونا عرضين خلقا في بدن آدم، فلو كان عنى بدن آدم فالأبدان عند مخالفنا من المعتزلة جنس واحد ، وإذا كانت الأبدان عندهم جنساً واحداً فقد حصل في جسد إبليس على مذاهبهم من النعمة ما حصل في جسد آدم عليه السلام ، وكذلك إن عنى عرضين فليس من عرض فعله في بدن آدم من لون أو حياة أو قوة أو غير ذلك إلا وقد فعل من جنسه عندهم في بدن إبليس ، وهذا يوجب أنه لا فضيلة لآدم عليه السلام على إبليس في ذلك ، وإنما احتج على إبليس بذلك ليريه أن لآدم عليه السلام في ذلك فضيلة ، فدل ما قلناه على أن الله عز وجل لما قال : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ لم يعن نعمتي .

٦١ ـ مسألة

ويقال لهم : لم أنكرتم أن يكون الله عز وجل عنى بقوله ﴿ بِيَدَيَّ ﴾ يدين ليستا نعمتين ؟

فإن قالوا : لأن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا جارحة .

قيل لهم : ولم قضيتم أن اليد إذا لم تكن نعمة لم تكن إلا جارحة ؟ فإن رجعونا إلى شاهدنا وإلى ما نجده فيما بيننا من الخلق ، فقالوا : اليد إذا لم تكن نعمة في الشاهد لم تكن إلا جارحة .

قيل لهم : إن عملتم على الشاهد وقضيتم به على الله عز وجل ، فكذلك لم نجد حياً من الخلق إلا جسماً لحماً ودماً فاقضوا بذلك على الله عز وجل ، وإلا كنتم لقولكم تاركين ولاعتلالكم ناقضين ، وإن أثبتم حياً لا كالأحياء منا ، فلم أنكرتم أن تكون اليدان اللتان أخبر الله عز وجل عنهما يدين ليستا نعمتين ، ولا جارحتين ، ولا كالأيدي ؟

وكذلك يقال لهم: لم تجدوا مدبِّراً حكيماً إلا إنساناً ، ثم أثبتم أن للدنيا مدبراً حكيماً ليس كالإنسان ، وخالفتم الشاهد ونقضتم

اعتلالكم ، فلا تمنعوا من إثبات يدين ليستا نعمتين ولا جارحتين من أجل أن ذلك خلاف الشاهد .

٦٢ ـ مسألة

فإن قالوا : إذا أثبتم لله يدين لقوله : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ فلم لاأثبتم له أيدي لقوله :﴿ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا ﴾[يس :٧١]

قيل لهم : قد أجمعوا على بطلان قول من أثبت لله أيدي ، فلما أجمعوا على بطلان قول من قال ذلك وجب أن يكون الله عز وجل ذكر أيدي ، ورجع إلى اثبات يدين ، لأن الدليل قد دل على صحته الإجماع ، وإذا كان الإجماع صحيحاً وجب أن يرجع من قوله : ﴿ أَيْدٍ ﴾ إلى يدين ، لأن القرآن على ظاهره ، ولايزول عن ظاهره إلا بحجة ، فوجدنا حجة أزلنا بها ذكر الأيدي عن الظاهر إلى ظاهر ، ووجب أن يكون الظاهر الآخر على حقيقة لا يزول عنها إلا بحجة .

٦٣ ـ مسألة

فإن قال قائل : إذا ذكر الله الأيدي وأراد يدين فما أنكرتم أن يذكر الأيدي ويريد يداً واحدة .

قيل له : ذكر الله عز وجل أيدي وأراد يدين ، لأنهم أجمعوا على بطلان قول من قال : أيدي كثيرة ، وقول من قال : يداً واحدة ، فقلنا : يدان ، لأن القرآن على ظاهره ، إلا أن تقوم حجة بأن يكون على خلاف الظاهر .

٦٤ ـ مسألة

فإن قال قائل : ما أنكرتم أن يكون قوله : ﴿ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينا ﴾ [يس : ٧١] وقوله : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ على المجاز .

قيل له : حُكْمُ كلامِ الله عز وجل أن يكون على ظاهره وحقيقته ، ولا يُخْرَج الشيء عن ظاهره إلى المجاز إلا لحجة ، ألا ترون أنه اذا كان ظاهر الكلام العموم ، فإذا ورد بلفظ العموم والمراد به الخصوص ، فليس هو على حقيقة الظاهر ، وليس يجوز أن يعدل بما ظاهره العموم عن العموم بغير حجة ، كذلك قول الله عز وجل : ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ على ظاهره وحقيقته من إثبات اليدين ، ولا يجوز أن يعدل به عن ظاهر اليدين الى ما ادعاه خصومنا إلا بحجة ، ولو جاز ذلك لجاز لمدعٍ أن يدعي أن ما ظاهره العموم ، فهو على الخصوص ، وما ظاهره الخصوص فهو على العموم بغير حجة ، وإذا لم يجز هذا لمدعيه بغير برهان ، لم

يجز لكم ما ادعيتموه أنه مجاز، أن يكون مجازاً بغير حجة، بل واجب أن يكون قوله: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ إثبات يدين لله تعالى في الحقيقة غير نعمتين، إذا كانت النعمتان لا يجوز عند أهل اللسان أن يقول قائلهم: فعلت بيدي وهو يعني النعمتين.

* * *

ثانيا: الأشاعرة:

فرقة كلامية تنتسب إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري وينسبون إليه مذهبهم الكلامي.

1. وهذا المذهب الذي عليه الأشاعرة وينسبونه إلى أبي الحسن الأشعري ،لايمثل ما استقر عليه حاله بعد أن رجع في الجملة إلى مذهب السلف أهل الحديث،وصرح بذلك تصريحا بينا قاطعا للنزاع في أمره في كتابه (الإبانه) ،وفي كتابه (مقالات الإسلاميين) ،وإنما هو متابعة لأبي الحسن في طوره الثاني الذي سلك فيه مسلك عبد الله بن سعيد بن كلاب البصري وتأثر فيه بطريقته.

ولقد كان ابن كلاب ومن تبعه على آرائه-كأبي الحسن-أقرب إلى أهل السنة من المعتزلة والجهمية وإن كانت هناك فجوة ببينهم وبين السلف أصحاب الحديث ومخالفة للسنة الواضحة البينة، ولهم جهود مشكورة وأياد بيضاء في الرد على من هو أشد ضلالا،وأبعد عن السنة من الجهمية والمعتزلة والرافضة ،فضلا عن أصناف الزنادقة والملحدين.

وهذه الطريقة التي كان عليها ابن كلاب وأبو الحسن الأشعري،وتابعهما طوائف من الناس ، غلب فيها الانتساب إلى أبي الحسن الأشعري لكثرة مصنفاته وردوده على المعتزلة،وميله إلى السنة وأهلها ،لكنها كانت تعتمد على الحجج العقلية والجدل الكلامي تأثرا بمنهج المعتزلة العقلي الكلامي، فقد سلموا لهم بعض أصولهم العقلية الفاسدة فدخلت عليهم البدعة من هذا الجانب ، وخالفوا فيها صريح السنة وجادة السلف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله تعالى-في بيان حقيقة مذهب الأشاعرة:

"والأشعري و أمثاله برزخ بين السلف والجهمية،أخذوا من هؤلاء كلاما صحيحا ،ومن هؤلاء أصولا عقلية ظنوها صحيحة وهي فاسدة ..." المجموع 471/16

2. تلقى تلاميذ أبي الحسن الأشعري عنه مذهب الكلابي الكلامي ،ونشروه وعلموه؛بيد أن هذا المذهب لم يقتصر على ما كان عليه أبو الحسن الأشعري وما دونه في كتبه ،بل طوروا المذهب وزادوا فيه أصولا كثيرة من مذهب المعتزلة.

وهذا كما قلنا سابقا من علامات رداءة المذهب وفساده وعدم ثباته ،وهذا قد تشترك فيه كل المذاهب البدعية،فإنها لما كانت تعتمد على العقل ،وعقول الرجال مختلفة،صارت هذه المذاهب تنمو وتتطور ويأتي الأواخر بما يخالف ما كان عليه الأوائل.

وهذا بخلاف مذهب السلف فإنه يقوم على الكتاب والسنة ،ولذا فإنه مذهب مستقر ثابت ليس فيه اختلال و لم يطرأ عليه تغير.

ومن أبرز هذا المذهب الذين انحرفوا به إلى الاعتزال:

أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني(ت478هـ) الذي كان قد تأثر بكتب أبي الهاشم عبد السلام بن محمد الجبائي وهو أحد أئمة المعتزلة.

يقوا ابن تيمية-رحمه الله تعالى-:"وأما الجويني ومن سلك طريقته فمالوا إلى مذهب المعتزلة ،فإن أبا المعالي كان كثير المطالعة لكتب أبي الهاشم ،قليل المعرفة بالآثار،فأثر فيه مجموع الأمرين..."المجموع 52/6.

وأخذ أبو الحامد محمد بن محمد الغزالي(ت505هـ) عن أبي المعالي الجويني ،فهو شيخه في هذا الباب وفي غيره ،ولكن الغزالي دخل في كلامه مادة فلسفية كبيرة بسبب مطالعته لكتب الفلاسفة، وإن كان بعد ذلك قد رجع عن هذا الطريق وصنف (تهافت الفلاسفة) في الرد عليهم.

ثم جاء ابن الخطيب أبو عمر الرازي (ت606) الذي صار إماما للأشعرية وقعد لهم الأصول العقلية،وإن كان كما يقول ابن تيمية :"كثير الاضطراب جدا لا يستقر على حال وإنما هو بحث وجدل"

وهكذا تطور المذهب الأشعري ،و لم يعد يمثل ما كان عليه أبو الحسن الأشعري في طوره الثاني الذي كان عليه قبل أن يستقر على مذهب السلف أهل الحديث.

• الأصل الذي بنى عليه الأشاعرة مذهبهم في الصفات وغيرها:

1–تقديم العقل على النقل:

إن أخطر شيء في مذهب الأشاعرة هو اعتمادهم على النقل وتقديمه على الأدلة النقلية، وقد أخذوا هذا الأصل عن شيوخهم المعتزلة الذين كانوا يقدسون العقل ويغلون فيه.

وعلى هذا الأصل مضى الأشاعرة،يدل عليه صنيع أبو بكر بن فورك(ت406هـ) في كتابه (مشكل الحديث وبيانه) ،وصنيع أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني(ت403هـ) ،وإن كان الباقلاني أكثر أئمة الأشاعرة إثباتا للصفات وموافقة للسلف.

وتبعهم على دلك أبو القاسم القشيري،وأبو المعالي الجويني في كتابه (الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد)

وتبعهم على ذلك كل الأشاعرة الذين جاءوا من بعدهم :الغزالي ،والرازي ،وأبو الحسن علي بن محمد بن سالم الآمدي (ت631هـ)،والقاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي(ت756هـ) .

ومضى على هذا الأصل المتأخرون منهم ،مثل:أبو العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت1043هـ) في منظومته(إضاءة الدجنة في عقائد أهل السنة)؛ والتي شرحها عبد الغني بن إسماعيل النابلسي(ت1143هـ)، وإبراهيم بن إبراهيم اللقاني (ت1041هـ) في منظومته (جوهرة التوحيد) التي تعد عمدة عند المتأخرين من الأشاعرة؛وقد شرحها إبراهيم بن محمد البيجوري (ت1277هـ) بحاشية سماها (تحفة المريد على جوهرة التوحيد) .

والواقع أن عمدة الأشاعرة المتأخرين هو الفخر الرازي فهو الذي ضبط المذهب وقعد له أصوله ثم خلفه الآمدي ،وأبو الثناء محمود بن أبي بكر أحمد الأرموي(682هـ) اللذان نشرا فكره في الشام ومصر.

وأهم الأصول التي وضعها الرازي فصارت قضية مسلمة عند الأشاعرة هي تقديم العقل على النقل وإن كان قد صرح به من قبله من العلماء ،كالجويني .

قال فخر الدين محمد بن عمر الرازي في كتابه(أساس التقديس) ص220، الفصل الثاني والثلاثون في أن البراهين العقلية إذا صارت معارضة بالظواهر النقلية فكيف يكون الحال فيها؟

" اعلم :أن الدلائل القطعية النقلية إذا قامت على ثبوت شيء،ثم وجدنا أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك،فهناك لا يخلو الحال من أحد أمور أربعة:

إما أن يصدق مقتضى العقل والنقل–فيلزم تصديق النقيضين وهو محال .

وإما أن نبطلهما –فيلزم تكذيب النقيضين وهو محال.

(وإما أن تكذب الظواهر النقلية وتصدق الظواهر العقلية) (1) هذه زيادة من إحدى النسخ.

وإما أن تصدق الظواهر النقلية وتكذب الظواهر العقلية،وذلك باطل لأننا لا يمكن أن نعرف صحة الظواهر العقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية:

إثبات الصانع ،وصفاته،وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول-صلى الله عليه وسلم-وظهور المعجزات على يد محمد-صلى الله عليه وسلم.

ولو صار القدح في الدلائل العقلية القطعية صار العقل منها غير مقبول القول،ولو كان كذلك لخرج عن أن يكون مقبول القول في هذه الأصول.

وإذا لم تثبت هذه الأصول ،خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة ،فثبت:

أن القدح في العقل لتصحيح النقل يفضي إلى القدح في العقل والنقل معا ،وإنه باطل.

ولما بطلت الأقسام الأربعة لم يبق إلا أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة:بأن هذه الدلائل النقلية:إما أيقال إنها غير صحيحة،أو يقال إنها صحيحة إلا أن المراد غير ظواهرها .

ثم إن جوزنا التأويل :اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل.

وإن لم نجوز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى.

فهذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات،وبالله التوفيق."

ويقول السنوسي (ت885هـ) في شرح (أم البراهين):

"وأما من زعم أن الطريق بدأ إلى معرفة الحق الكتاب والسنة،ويحرم ما سواهما ،فالرد عليه أن حجيتهما لا تعرف إلا بالنظر العقلي ،وأيضا قد وقعت فيهما ظواهر من اعتقدها على ظاهرها كفر عند جماعة وابتدع.."

ويقول أيضا:"أصول الكفر ستة.." ذكر خمسة منها ثم قال:

"سادسا:التمسك في أصول الاعتقاد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين العقلية والقواطع الشرعية للجهل بأدلة العقول.."

الرد على هذه الشبهة :

لقد جعل الرازي وأتباعه هذا الكلام قانونا كليا فيما يستدل به من كتاب الله تعالى وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- وما لا يستدل به،ولهذا ردوا الاستدلال بما جاء به الأنبياء والمرسلون في صفات الله تعالى وغير ذلك من الأمور التي أنبأوا بها إذا ظنوا أن العقل يعارضها .

ولا ريب أن هذا القانون الذي وضعه أهل الكلام الفاسد ،وقد صدوا به الناس عن سبيل الله وعن فهم مراد الرسول وتصديقه فيما أخبر،فإن القلب الذي اعتقد قيام الدليل العقلي القاطع على نفي الصفات كلها أو بعضها أو نفي عموم خلقه لكل شيء لا ينفعه الاستلال عليه في ذلك الكتاب والسنة إلا مع بيان فساد ذلك المعارض العقلي.

وفساد المعرض العقلي لما جاء في الكتاب وثبت في السنة قد يعلم جملة وتفصيلا؛
أما الجملة:

فإنه من آمن بالله ورسوله إيمانا تاما ،وعلم مراد الرسول قطها ،تيقن ثبوت ما أخبر به وعلم أن ما عارض ذلك من الحجج فهي حجج داحضة كما قال تعالى:{والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة وعليهم غضب ولهم عذاب شديد} الشورى/16
وقال -عز وجل:{فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين} الأنعام/149
وقد سمى الله كتابه نورا وهدى وفرقانا وجعله حكما بين الناس فيما تنازعوا فيه ،وفرق به بين الباطل والحق ،وبين الضلال والهدى ،وبين ما يستحقه الرب من الأسماء والصفات وبين ما يتتره عنه،وأمر الناس باتباعه والتمسك به وفهمه وتدبره.

وأرسل رسوله ليبلغ هذا الكتاب ويدعو الناس إلى الحق ويبينه لهم البين التام؛وقد فعل النبي-صلى الله عليه وسلم فبلغ البلاغ الشامل وبين البيان التام، وهو أعلم الخلق بالحق وبالله وأسمائه وصفاته،وأقدر الناس على بيان الحق،وأنصح الخلق للخلق،وهذا يوجب أن يكون بيانه للحق أكمل من بيان كل أحد، ومحال مع كل ذلك أن يتكلم بكلام يكون مدلوله باطل، ويسكت عن بيان الحق المراد ،ولا يجوز أن يريد من الخلق أن يفهموا من كلامه ما لم يبينه لهم ويدلهم عليه،ويتركهم لعقولهم،وهو يعلم أن تلك العقول المختلفة ستختلف في معرفة الحق من غير نور النبوة وشمس الرسالة." انظر درء تعارض النقل مع العقل لابن تيمية 20/1-23

ولقد تصدى الإمام الجهبذ شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمة الله عليه-لهذا القانون الجائر الذي وضعه الرازي، فبين زيفه وبطلانه وفنده بالأدلة الساطعة والبراهين القاطعة؛وقد ذكر أربعة وأربعين وجها من وجوه بطلانه على وجه التفصيل.

ومن هذه الأوجه:

1) قوله :"إذا تعارض النقل والعقل..."
إما أن يريد به القطعيين،فلا نسلم إمكان التعرض حينئذ.
وإما أن يريد به الظنيين،فالمقدم هو الراجح مطلقا سواء كان نقليا أو عقليا.
وإما أن يريد به ما أحدهما قطعي فالقطعي هو المقدم.
وإذا قدر أن العقلي هو القطعي كان تقديمه لكونه قطعيا لا لكونه عقليا ؛ فعلم أن تقديم العقلي مطلقا خطأ،كما أن جعل جهة الترجيح كونه عقليا خطأ. انظر درء التعارض 86/1-87

2) ويقال أيضا لا نسلم انحصار القسمة فيما ذكره من الأقسام الأربعة؛ إذ من الممكن أن يقال:

يقدم العقلي تارة،والسمعي تارة،فأيهما كان قطعيا قدم،وإن كانا جميعا قطعيين فيمتنع التعارض،وإن كانا ظنيين فالراجح هو المقدم ؛فدعوى تقديم الدليل العقلي مطلقا أو السمعي مطلقا،أو الجمع بين النقيضين دعوى باطلة،بل هنا قسم ليس من هذه الأقسام،كما ذكرناه بل هو الحق الذي لا ريب فيه. درء تعارض العقل مع النقل 87/1

3) ويمكن أن يقال: إذا تعارض الشرع والعقل وجب تقديم الشرع،لأن العقل مصدق للشرع في كل ما أخبر به؛والشرع لم يصدق العقل في كل ما أخبر به ،ولا العلم بصدقه موقوف على كل ما يخبر به العقل.

وهذا الكلام إذا قيل أوجه من قولهم،كما قال بعضهم يكفيك من العقل أن يعلمك صدق الرسول ومعاني كلامه.

فالعقل دل على أن الرسول-صلى الله عليه وسلم-يجب تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر،فهو يدل على صدق الرسول دلالة عامة مطلقة؛ فلا يجوز حينئذ أن يعارضه في بعض الجزئيات.

4) ويقال لهم أيضا: تقديم المعقول على الأدلة الشرعية ممتنع متناقض ،وأما تقديم الأدلة الشرعية فهو ممكن مؤتلف،فوجب الثاني دون الأول وذلك لأن كون الشئ معلوما بالعقل أو غير معلوم بالعقل ليس هو صفة لازمة لشيء من الأشياء،بل هو من الأمور النسبية الإضافية.

فإن زيدا قد يعلم بعقله ما لا يعلمه بكر بعقله،وقد يعلم الإنسان في حال بعقله ما يجهله في وقت آخر.

والمسائل التي يقال إنه تعارض فيها العقل والشرع جميعها مما اضطرب فيه العقلاء و لم يتفقوا فيها على موجب العقل كذا،بل كل من العقلاء يقول: إن العقل أثبت أو أوجب أو سوغ ما يقول الآخر : إن العقل نفاه أو أحاله أو منع منه.

فلو قيل بتقديم العقل على الشرع لحصل من الاختلاف والاضطراب بحسب تباين العقول واختلافها.

وأما الشرع فهو في نفسه قول الصادق،وهذه الصفة لازمة له لا تختلف باختلاف أحوال الناس،والعلم بذلك ممكن ورد الناس إليه ممكن،ولهذا جاء في التتريل برد الناس عند التنازع إلى الكتاب والسنة،كما قال تعالى:{يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا} النساء/59

فأمر الله تعالى المؤمنين عند التنازع بالرد إلى الله والرسول،وهذا يوجب تقديم السمع،وهذا هو الواجب،إذ لو ردوا إلى غير ذلك من عقول الرجال آرائهم ومقاييسهم وبراهينهم لم يزد هذا الرد إلا اختلافا واضطرابا وشكا وارتيابا.

والحق أن ما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط. انظر درء التعارض1/144-147

فإذا علمنا فساد هذا القانون الكلي الذي وضعه المتكلمون وسار عليه الأشاعرة خلفا عن سلف، تبين أن الواجب تقديم الكتاب والسنة،وطلب الهدى فيهما،ولا يتم الإيمان للعبد حتى يسلم لهما بالمتابعة وينقاد لهما لا سيما في أبواب الغيب والتي أعظمها باب صفات الله تعالى،فإن ما جاءت به الأدلة النقلية هو الحق المتيقن القول به،وأن معارضة ذلك بنحاته الأفكار وزبالة الأفهام وتقديمها على الشرع مما نهى الله تعالى عنه .

قال الله تعالى:{يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم} الحجرات/1.

ولذا فالواجب في باب صفات الله تعالى الإيمان بها على ما جاء في الكتاب والسنة بحسب الظاهر المتبادر من السياق،وإثباتها على أنها صفات كمال لله تعالى على الوجه اللائق به مع تتريه الله عن المماثلة،والإمساك عن التكييف،ولا يفهم منها وصف الله بالنقص أو ما يوهم تشبيه الخالق بالمخلوق كما يزعمه أهل الكلام المذموم الذين جعلوا تقديم العقل على النقل هو السبيل إلى معرفة صفات الله تعالى.

الثمرات المرة للقانون الكلي السابق:

لقد أفرز تقديم العقل على النقل عند الأشاعرة ثمرتين أحلاهما مر،وهما شبهتان صارتا أصلين ثابتين في منهج الاستدلال عند الأشاعرة يتعلقون بهما،وهما:

أ.القول بأن ظاهر نصوص صفات الله تعالى في القرآن والسنة يوهم تشبيه صفات الخالق بصفات المخلوقين.

وهذا قول المعتزلة والجهمية بناء على تقديم العقل على النقل ،وأخذه عنهم الأشاعرة،ولذا زعموا أن ظواهر تلك النصوص غير مراد لله تعالى،بل مراد الله تعالى شيء غير ظواهرها ؛ وزعموا حينئذ أن القول بظاهر النصوص كفر وتشبيه للخالق بالمخلوق ،وأوجبوا أن يكون الموقف أمام تلك الظواهر أحد أمرين:

الأول: إما تأويلها أي تفسيرها بغرائب اللغات بما يخالف ظاهرها المستفاد من سياق الكلام وما يقتضيه اللسان العربي الفصيح ؛ وهذا ما فعله المتقدمون من الأشاعرة مثل ابن فورك الذي صنف كتاب مشكل الحديث فإنه يورد الحديث النبوي المتضمن لصفة من صفات الله تعالى مسبوقا بقوله:ذكر خبر مما يقتضي التأويل ويوهم ظاهره التشبيه.

وهذه التأويلات التي بأيدي الأشاعرة اليوم -وقبل اليوم-هي من جنس تأويلات المعتزلة كما يدل على ذلك كتب القاضي عياض،وما تضمنه كتاب(رد الدارمي على بشر المريسي)فإنه ذكر هذه التأويلات نفسها عن المعتزلي الذي رد عليه ونقض أقواله وأقوال شيخه المريسي.

الثاني:عدم البحث عن المراد من تلك النصوص ، والإمساك عن التأويل،مع الاعتقاد بأن لها معنى يخالف ظاهرها،وتفويض العلم به إلى الله تعالى.

وهذا ما يسمى بمذهب التفويض،والسابق يقال له التأويل.

وقد جمع المذهبين إبراهيم اللقاني في منظومته ؛فقال:

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تتريها

وقال إبراهيم البيجوري في شرحه(تحفة المريد):

"والمراد بالنص هنا ما قابل القياس والاستنباط والإجماع ،وهو الدليل من الكتاب والسنة سواء كان صريحا أو ظاهرا."

وهكذا أغلق الأشاعرة طلب الهدى في باب الصفات من الكتاب والسنة بهذه الشبهة التي هي أوهى من خيوط العنكبوت.

واعتبروها كما صرح بذلك السنوسي :"التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير بصيرة في العقل هو أصل ضلال الحشوية،فقالوا بالتشبيه والتجسيم والجهة عملا بظاهر قوله تعالى:{الرحمن على العرش استوى} ،{أأمنتم من في السماء..} ،{لما خلقت بيدي}،ونحوها .انظر حاشية الدسوقي على أم البراهين.

وهكذا موهوا على العامة،فجعلوا إثبات صفات الكمال التي أثبتها الله لنفسه أو أثبتها له رسوله-صلى الله عليه وسلم-وأجمع عليها السلف،سموا ذلك تشبيها،وتجسيما،تنفيرا للعامة وتلبيسا للحق بثوب الباطل.

فصارت حقيقة قول الأشاعرة ومن قبلهم المعتزلة:أن الله -عز وجل-وصف نفسه في كتابه بما ظاهره التشبيه،وبما لا يليق به تعالى،وكذلك النبي-صلى الله عليه وسلم-قد وصف ربه بأوصاف هي في ظاهرها لا تدل إلا على التشبيه.

وهذا غاية الطعن في كتاب الله وفي رسوله-صلى الله عليه وسلم-إذ لم يبين وجه الحق،ويدل الناس على سبيل الهدى.

وهذه الشبهة وهي القول بأن ظاهر النصوص الشرعية يوهم تشبيه الخالق بالمخلوق،وهذا يوجب تأويلها أو تفويضها تتريها لله تعالى، فاسدة كما ذكرنا ويتبين بطلانها من وجوه عدة ،منها:

1. ما تقدم بيانه وهو أن هذا القول فيه جناية عظيمة على القرآن والسنة ،حيث زعموا أن ظاهرها يدل على الضلال والكفر،وهذا معلوم الفساد والبطلان بالضرورة في دين الإسلام ،إذ من

المعلوم أن الله أنزل كتابه وأرسل رسوله ليخرج الناس من الظلمات إلى النـــور،ويبـين لهـم الحق،ويهديهم إلى الصراط المستقيم.

2. القول بأن لآيات الصفات وأخبارها تأويلا يخالف ظاهرها ،وهو في الحقيقة تحريف لكـــلام الله تعالى وكلام رسوله عن ظاهره المعلوم من سياق الكلام على ما يقتضيه اللسان العربي الذي أنزل به القرآن العظيم.

والواجب حمل كلام الله تعالى وكلام رسوله على المعهود للعرب في خطابها مع صيانته عـــن التمثيل بصفات المخلوقين أو الخوض في كيفية الصفات فإن هذا من الغيب الذي لم يكشفه الله لنا.

3.أن تفسير القرآن والسنة بخلاف الظاهر قول على الله وعلى رسوله بلا علم وهو محـــرم لقــول تعالى:{قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بـالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون} الأعراف/33

وقوله تعالى :{ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئـك كـان عنـه مسئولا} الإسراء/36

فالصارف لكلام الله تعالى وكلام رسوله -صلى الله عليه وسلم- عن ظاهره اللائق إلى معنى يخالفه يكون قد قفا ما ليس به علم ،وقال على الله وعلى رسوله ما لا يعلم.

4.أن هذا المذهب بشقية التأويل والتفويض مخالف لما كان عليه السلف الصالح والقرون المفضلة مـن الصحابة والتابعين،ومن تبعهم بإحسان من أهل العلم والإيمان المشهود لهم بالفقه والدين من حملـة القرآن والسنة.

ولا ريب أن ما خالف ما كان عليه النبي-صلى الله عليه وسلم-وأصحابه وسلف الأمة من أهـل الحديث لا يكون إلا باطلا لأن الحق ما كانوا عليه.والنصوص المنقولة عنهم في إثبات الصفـات لله تعالى ،وإجراء نصوص القرآن والسنة على ظاهرها اللائق بالله تعالى مع نفي التمثيل ،والإمساك عـن التكييف معروفة مشهورة مدونه في كتبهم المزبورة.

ب. والشبهة الأخرى التي انطلقت عن ذلك الأصل الباطل هي عدم الأخذ بحديث الآحاد في مسائل العقيدة ،وخاصة في معرفة الله تعالى وصفاته وأسمائه.

يقول الرازي مبينا عقيدة الأشاعرة في ذلك:

" أما التمسك بخبر الواحد في معرفة الله تعالى فغير جائز ، لأن أخبار الآحاد مظنونة ،و لم يجز التمسك بالمظنون في معرفة صفات الله وأسمائه ،وإنما قلنا إنها مظنونة وذلك لأنا أجمعنا على أن الرواة غير معصومين..

فثبت أن خبر الواحد مظنون،فوجب أنه لا يجوز التمسك به لقوله تعالى:{إن الظن لا يغني من الحق شيئا }النجم/28، ولقوله في صفة الكفار:{إن يتبعون إلا الظن ..}الأنعام/116 ،ولقوله :{..وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون}البقرة/69،الأعراف/33.

فترك العمل بهذه العمومات في فروع الشريعة ،لأن المطلوب فيها الظن ،فوجب أن يبقى في مسائل الأصول على هذا الأصل.." انظر أساس التقديس.

وبهذه الشبهة سدوا الباب في معرفة صفات الله تعالى من طريق الرسول -صلى الله عليه وسلم- وتركوا الأحاديث الصحيحة التي تلقتها الأمة بالقبول،وخالفوا طريق السلف أهل الحديث من الصحابة والتابعين لهم بإحسان الذين لم يعرفوا التفريق بين أحاديث النبي-صلى الله عليه وسلم- فكلها عندهم سنة يجب الأخذ بها و لم يفرقوا بين المتواتر والآحاد ،كما لم يفرقوا في الاحتجاج بها بين العقائد والأحكام(بين العلم والعمل) بل الباب عندهم واحد؛فمتى ثبت الخبر عن النبي-صلى الله عليه وسلم- فهو عندهم حجة في الدين مطلقا في العلم والعمل.

وهكذا كان حال الأمة قبل ظهور الجهمية والمعتزلة الذين ابتدعوا هذه البدع المنكرة واختلقوا هذه الأصول الجائرة ،وجاءت الأشاعرة فتبعتهم على تلك الأصول،ووافقوا السلف بعض المسائل فصار مذهبهم مركبا من أدلة فاسدة ونتائج باطلة، وبعض المسائل وافقوا فيها أهل السنة فجاء مذهبهم ملفقا من قول أهل السنة ،وقول المعتزلة والجهمية،وابتدعوا أقوالا خالفوا فيها الفريقين في محاولة للتوفيق بين الرأيين، كما زعموا.

وقد ذكرنا من قبل عند الحديث عن خصائص أهل السنة والجماعة منهجهم الواضح البين،وذكرنا شيئا من أقوالهم هناك على وجه الاختصار ؛فكن منها على ذكر.

وأما ما استدل به الرازي من الآيات القرآنية التي تنهى عن اتباع الظن وتذم من اتبعه فهو استدلال باطل وفيه تدليس وتلبيس.

وذلك:

1)أن الآيات الذامة لاتباع الظن ذمته ذما مطلقا ،وذمت من أخذ به ،و لم تفـرق بـين العقيـدة والعمل.

فإذا سلمنا لهم أن حديث الآحاد يفيد الظن ،وأنه لا يجوز الاحتجاج به بناء على الاسـتلال بتلك الآيات كان النتيجة الحتمية عدم الاحتجاج به مطلقا لا في العقيـدة ولا في العمـل ؛وهـذا انسلاخ من الإسلام ومنابذة له.

وتجويز الاحتجاج به في الشريعة أو العمل لا يستند إلى دليل.

2) إن الظن الذي ذمته الآيات السابقة هو الذي بمعنى الخرص والتخمين والشـك ؛كمـا قـال تعالى:{إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون} الأنعام/116 ؛وأما الظـن الـذي يتبـادر إلى الذهن،وهو الغالب الراجح فهذا يجب الأخذ به والعمل به؛وقد أجمعت الأمة قبل هذه النابتـة الكلامية على أن الحديث متى جاء عن النبي-صلى الله عليه وسلم وتلقته الأمة بالقبول ،فإنـه يجب الاحتجاج به والمصير إلى حكمه.

ومثل هذا النوع من الأحاديث يفيد العلم -لا الظن-عند سلف الأمة وأهل الحديث ؛دع عنـك الجعد بن درهم والجهم بن صفوان وأفراخهم من المعتزلة والأشاعرة الكلامية.

** أهم المسائل العقائدية التي خالف فيها الأشاعرة أهل السنة والجماعة:

كان لاعتماد الأشاعرة على العقل في الاستلال في المسائل العقائدية،ولما انبثق عنه من القول بأن آيات الصفات وأخبارها توهم التشبيه فلا بد من تأويلها أو تفويضها،وأن أحاديث الآحاد تفيد الظن فلا يجوز الاحتجاج بها في صفات الله تعالى ،كان لذلك آثارا خطيرة،فقد جانبوا الصواب في أمهات المسائل العقائدية وخالفوا السنن الثابتة وفارقوا أهل السنة والجماعة.

ومن أهم هذه المسائل العقائدية:

- (1)القانون الكلي الذي وضعوه وهو تقديم العقل على النقل،وقد تكلمنا على ذلك وبينا فساده،وفساد ما ترتب عليه من الشبه التي صارت عندهم أصولا لا يحيد عنها إلا ضال.
- (2)إثبات وجود الله تعالى ؛ فمذهب السلف أصحاب الحديث أهل السنة والجماعة هو أن وجود الله تعالى أمر فطري معلوم بالضرورة،والأدلة عليه في الكون والنفس والآفاق،والوحي أجل من الحصر؛ولذا لم يكن منهجهم البحث في وجود الله تعالى .

وأما الأشاعرة فعندهم دليل عقلي يتيم،وهو الاستدلال على وجود الخالق بحدوث العالم،واستدلوا على ذلك بحدوث الأجسام ،واستدلوا على حدوثها بأنها لا تخلو من الحوادث-وهي ما يقوم بها من الأعراض التي هي الصفات والأفعال-و لم تسبقها؛ وقالوا بأن ما لم يخل من الحوادث و لم يسبقها فهو محدث.

وهذا الدليل باطل في العقل ،محرم في الشرع ، وقد انتقده كثير من أئمة الأشاعرة أنفسهم وأبطلوه،وكل فريق من أهل الكلام والفلسفة ينقض دليل الفريق الآخر.

وممن ذكر تحريمه وأشار إلى بطلانه أبو الحسن الأشعري نفسه في كتابه (رسالة إلى أهل الثغر) ؛ وهذا الدليل يقوم على مقدمات تخفى كثير من تفاصيلها على كثير من الناس فظنوها صحيحة وهي باطلة ، والتزموا لأجلها إنكار صفات الله تعالى كلها أو بعضها على ما سنشير إليه.

- (3) يقسمون صفات الله-عز وجل- تقسيما مبتدعا يرجع إلى أصولهم العقلية الكلامية ،ويثبتون بعض الصفات وينكرون بعضها الآخر،وهو الجانب الأكثر .

والصفات التي يثبتونها هي عشرين صفة : [(الوجود)؛(القدم، البقاء، مخالفته للحوادث، وقيامه تعالى بنفسه، الوحدانية)؛(القدرة، الإرادة، العلم، الحياة، السمع، البصر، الكلام)؛(وكونه تعالى قادرا، مريدا، عالما، حيا، سميعا، بصيرا، متكلما)].

وهم يعتمدون في إثبات هذه الصفات على العقل لا الكتاب والسنة،ويسمون الصفات التي في القسم الثالث (الصفات العقلية) لذلك ،ويقولون عنها صفات المعاني ؛ والتي بعدها يسمونها(الصفات

المعنوية) ويزعمون أنها زائدة على صفات المعاني،وهو الحال الواجبة للذات ما دامت المعاني قائمة بالذات ، ويزعمون أنها أمر ثبوتي ليس بموجود ولا معدوم .

ولا ريب أن هذه مكابرة للعقل القاضي بأن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان؛ فكل ما هو غير موجود فإنه معدوم قطعا ،وكل ما هو غير معدوم فهو موجود قطعا.

وأما باقي الصفات مثل: [اليد،الوجه ،العين،..والاستواء على العرش، والعلو، والنزول، والمجيء،..والرضى، والغضب، والمحبة،..]

فينفونها لأن إثباتها لله تعالى يقتضي-على حسب دليلهم العقلي وجود الله-أن يكون الموصوف بها جسما،وإذا كان جسما كان حادثا ،وهذا يؤدي إلى الطعن في دليلهم العقلي، فنفوا الصفات لئلا ينتقض دليلهم العقلي على وجود الله تعالى.

يقول أبو المعالي الجويني في كتابه (الإرشاد)ص 161،وهو يتحدث عن حديث النزول: "ولا وجه لحمل النزول على التحول،وتفريغ مكان وشغل غيره،فإن ذلك من صفات الأجسام ونعوت الأجرام، وتجويز ذلك يؤدي إلى طرفي نقيض: أحدهما الحكم بحدوث الإله ،والثاني القدح في الدليل على حدوث الأجسام"

وهذا في غاية العجب: فالقول بحدوث الإله باطل ببداهة العقل، فلا يبقى إلا القدح في الدليل على حدوث الأجسام؛ وما الذي يترتب على القدح في هذا الدليل؟! يترتب عليه أنهم يفقدون دليلهم اليتيم على وجود الله.

فلكي يبقى لهم دليل اضطروا إلى نفي الصفات الاختيارية التي تقوم بذات الله تعالى؛ الفعلية، مثل: النزول والاستواء؛وغير الفعلية،مثل:الغضب والرضى والمحبة..

فيا سبحان الله ،يترك القرآن والسنة لهذه الشبه والأوهام، وتصير عنده أصلا ترد لأجله دلالات النصوص الشرعية.

ونشير هنا إلى أن بعض الأشاعرة يثبتون لله صفة السمع والبصر على خلاف الظاهر المتبادر منها.

فيقولون: السمع: صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالموجودات الأصوات وغيرها كالذوات.

والبصر: صفة أزلية قائمة بذاته تعالى تتعلق بالموجودات الذوات وغيرها.

فعندهم أن الله يبصر الأصوات ولو خفية جدا . انظر تحفة المريد ص46

فلا يكون حينئذ هناك فرق بين صفة السمع والبصر.

- (4) ويخالف الأشاعرة أهل السنة في مسمى الإيمان ؛ فلإيمان عندهم هو التصديق القلبي،واختلفوا في النطق بالشهادتين.

يقول صاحب الجوهرة:

وفسر الإيمان بالتـــصديق والنطق فيه الخلف بالتحقيق

وهذا هو مذهب الجهمية المرجئة.

ومذهب السلف كما هو معلوم أن الإيمان :تصديق بالجنان،وإقرار باللسان،وعمل بالأركان،يزيـد بالطاعة وينقص بالمعصية.

- (5) وخالفوا السلف أيضا في صفة الكلام،والقرآن.

فقالوا إن كلام الله معنى أزلي قائم بنفسه ليس بحرف ولا صوت؛ وهذا بناء على أصلهم الســابق وهو أن الله لا تقوم به الصفات الفعلية الاختيارية التي تتعلق بمشيئته وقدرته، ولا غير الأفعال ممــا يتعلق بمشيئته وقدرته.

وهذا الكلام النفسي الذي هو معنى فقط غير مخلوق؛ وأما الألفاظ عندهم فمخلوقة وهي ليست من كلام الله تعالى ؛ فالقرآن الذي بين أيدينا ،نسمعه،ونقرؤه،ونكتبه عندهم ليـــس كـــلام الله حقيقة،وإنما هو عبارة عن كلام الله النفسي [في تحفة المريد ص58:وأما القرآن بمعنى اللفظ الــذي نقرؤه فهو مخلوق] ؛وقد استدلوا على ذلك ببيت منسوب للأخطل النصراني:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فيا عجبا لهؤلاء القوم،يتركون الاستلال بظواهر القرآن والسنة ويحتجون ببيت لشاعر نصـــراني. وقد مضى تقرير مذهب السلف عند الحديث عن المعتزلة؛فلا يغبين عنك.

- (6) القدر:

ففيما يتعلق بفعل العبد أتوا بقول مختلق لم يسبقهم إليه أحد و لم يستطيعوا أن يقدموا له تفسيرا بينا واضحا،بل عجزوا عن ذلك.

فقالوا: إن للعبد كسبا في أفعاله؛ ثم هذا الكسب الذي أثبتوه لم يهتدوا إلى حقيقته،وإنما جـــاءوا بهذه النظرية ليتخلصوا من مذهب الجبرية والقدرية والمعتزلة؛ ولهذا قيل:

مما يقـــال ولا حـــقيقة تـــحته معقولة تدنـــو إلى الأفهـــام

الكسب عند الأشعري والحـــال عند البهشمي وطفرة النظام

ولذا قال الرازي محاولا تفسير الكسب: " إن الإنسان مجبور في صورة مختار"

ويقولون إن الكسب هو تعلق القدرة بالمقدور دون أن يكون لها تأثير فيه،والخالق منفرد بعمـــوم التأثير.

- (7) ومن المسائل الكبار التي خالفوا فيها الكتاب والسنة وإجماع السلف صفة علو الله تبـارك وتعالى واستوائه على عرشه؛ وزعموا أن الله لا داخل العالم ولا خارجه،وتأولوا الاستواء علـــى العرش وحملوه على معان ينبؤ عنها اللسان العربي،والنص القرآني،مع كثرة النصوص القرآنية على إثبات صفة العلو لله تعالى وأنه فوق خلقه أجمعين وأنه استوى على العرش استواء يليق بكمالـــه وعظمته ومعلوم في لغة العرب،والقرآن والسنة،أن كلمة استوى إذا تعديت بعلى فإنها تفيد العلـو والارتفاع،ومع كل ذلك صرفوا معناها ،واستدلوا على ذلك ببيت من الشعر،ينسب كســـابقه للأخطل النصراني؛وهو:

قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ولا دم مهراق

فتراهم يتركون الآيات القرآنية،والأحاديث النبوية ويتأولونها على أوجه غريبة،ويطعنـــون في دلالتها ثم يؤسسون مذهبهم في القرآن والعلو على هذين البيتين المنسوبين لشاعر نصراني.

وفوق ذلك ادعوا أن الله لا داخل العالم ولا خارجه ، وهذا رفع للنقيضين،وهو محال،وهـــذا مثل قولهم السابق في الصفات المعنوية أنها لا معدومة ولا موجودة.

هذه هي بعض مظاهر الانحراف في المذهب الأشعري، وبذلك يدرك العاقل الذي سلم مـــن طيش الهوى مدى مخالفته لأهل السنة والجماعة السلف أصحاب الحديث، ومدى اضطراب هـــذا المنهج الأشعري في أدلته وفي مسائله ذلك الاضطراب الذي لما تبين لأئمة هذا المذهب أورثـــهم شكا واضطرابا في أمهات العقائد، وسبقت رحمة الله إلى أعلام هذا المذهب فرجعـــوا في آخـــر عمرهم إلى مذهب السلف وتركوا تلك المباحث الكلامية والأدلة العقلية التي كـــانوا يســـمونها قواطع وبراهين،وحجج ويقين،ورجعوا إلى طريقة القرآن والسنة.